# إبليس في التصور الإسلامي

## بين الحقيقة والوهم

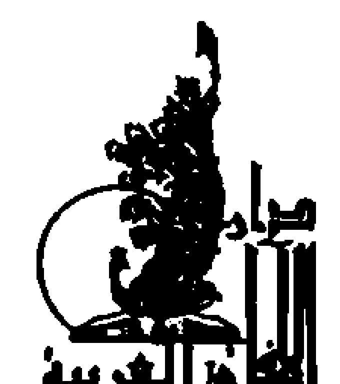
مع

تحقيق كتاب "الرد على مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين"

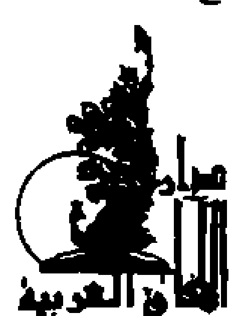
لأحمد بن يحيى

(ت ٣٢٥هـ)

إمام حنفي سيد عبد الله



الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٨٤٥٩ لسنة ٢٠٠٠
الرقيم الدولي : 977-5727-85-5

إهداء

إلى والدى



**الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعـــد**

تعرضت الأمة الإسلامية لكثير من النكبات والهزائم المريرة على طول تاريخها .. وكانت تستجمع قواها مرة بعد اخرى وتلملم شملها وتعود افضل مما كانت ..حدث ذلك بعد الفتنة الكبرى، وبعد سقوط بغداد واجتياح التتار لمعظم اجزاء العالم الإسلامى وتدميره .. ومن قبل ذلك حدث على يد صلاح الدين فى حطين .. فقد مزقت الدويلات الصليبية على ساحل الشام وحدة الأمة ولكن إلى حين .. ففى حطين ثبت ان سلامة هذه الامة في وحدتها .. وقوتها في رأب الصدع وتجميع القوى .. وأقرب الأمثلة على ذلك ماحدث فى حرب رمضان العبور .. لم يكن للأمة ان تنتصر إلا بعد ان عالجت اسباب الهزيمة .. فحرب ١٩٦٧ لم تكن دراساً فى الهزيمة العسكرية، بل كان درساً قاسياً فى الهزيمة الداخلية على كل المستويات الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية حتى المستوى النفسى .. ولكن بعد ان التفت المسلمون إلى داخلهم وعالجوا امورهم .. كان النصر المبين .

واليوم تتعرض الأمة إلى العديد من الهجمات الشرسة التى تستهدف امنها .. ومن وراء ذلك اليهود ومن وراء اليهود الغرب باسره .. اليوم جاءت إلى بلادنا شياطين العالم لتمزقه .. فماحدث في العراق من عامين حدث مثله في جنوب لبنان الأيام الماضية .. وما حدث فى الجزائر حدث شبه له فى افغاستان !. التشرذم والتمزق والعمالة والاستعمار .

إن التفرق شيطان لابد من محاربته .. علينا ان نواجه أنفسنا .. فنتسائل من الذى وراء عدم اجتماعنا حتى على مستوى جامعة الدول العربية ، لناخذ قراراً ولو شكلياً نحفظ به ماء الوجه .. من الذى وراء عدم اجتماع المنظمة الإسلامية ، لتاخذ قراراً على المستوى الإسلامى فى مواجهة ما يحدث فى الشيشان ؟!!

لبنان وجه العملة البارز لما يحدث فى كل الأراضى المحتلة ، من غارات غاشمة بالليل والنهار على قرى الجنوب ، تحت ادعاءات كثيرة باطلة لا اساس لها من

إسرائيل .. والمستهدف تمزيق الأمن العربي .. ولا يكفي أن تكون مصر هي الدولة الوحيدة التي تقف بشجاعة على الصعيد السياسي والعسكري للمواجهة مع إسرائيل وأمريكا ؛لأنهم يعتقدون أن السلام مرحلة وجولة يكسبون بها أو من خلالها تحقيق أهدافهم في الشرق الأوسط .. على العرب أن يدركوا أن هذه هي قاصمة الظهر التي تأذن بزوال دولتهم إن لم يتحدوا حقيقة ، بلا زيف أو مخادعة سياسية .

ومصر مستهدفة بشدة من قبل اليهود والغرب ، لعدة أسباب يعرفها الجميع ، منها التاريخ والحضارة وجغرافية المكان والثقل الثقافي والسياسي .. ولحكمة قادتها السياسيين .. فقد مضى أكثر من ربع قرن ، لم تستدرج لحرب مع إسرائيل ولا مع غيرها .. بدأت تتنفس الصعداء وتخرج من أزماتها المتلاحقة ، والتي كان سببها الحروب الخمس التي خاضتها في نصف القرن الأخير .. فقد استهدفت استنزاف مقدراتها الاقتصادية والعسكرية ..

واستهدف أمنها الداخلي عن طريق عملاء عديدين ، هم في الحقيقة شياطين من البشر تحركهم يد اليهود والغرب من الخارج .. فما حدث في الأقصر ، على سبيل المثال لا الحصر ، كان عمالة واضحة ، وكذلك ما حدث في الكشح مؤخراً .. ومحاولة تحريك الفتنة الطائفية بأي شكل وهو هدف وغرض استعماري واضح .. هو من قبيل العمالة .. لهز أمن مصر قلب العالم العربي والإسلامي .. فإن تزعزع أمنها استطاع الغرب النيل من كل العالم العربي والإسلامي بلا استثناء ..

من الذي يمول جماعات الإرهاب المسلح ؟! .. من الذي يفتح لهم أحضان عواصم الغرب لندن – وباريس – وواشنطن – تحت مسمى الحرية؟! .. شياطين العالم وقادة البشر ! .. من الذي يغزو مصر ثقافياً بسيل من القنوات المشفرة وغير المشفرة وصحف الفضائح والجنس .. فملأ الفضاء بقنوات الجنس لزعزعة البناء الاجتماعي لمصر ؟! شياطين العالم وقادة الشر فيه .. من الذي يحاول تشويه الإصلاح الاقتصادي بمصر والفصل بين روعة التنظير وصحة التطبيق؟! .. قادة الشر وشياطين الفساد في العالم ..

لقد تعرضت الأمة قديماً لإفساد نهضتها .. عن طريق حجب مناهج الإصلاح عن التطبيق .. وهز الثقة في المصلحين .. إن بطانة الفساد من العلماء والسياسيين المنتفعين دائما – أقصد بهم الطابور الخامس للغرب في بلادي – بالمرصاد لكل تيارات

التنوير والإصلاح – أقصد التنوير لا التخريب – واليوم علينا أن نصارع ، بإخلاص وصدق ، من أجل عودة الوعى وعودة الروح .. أقصد الوعى الجمعى للأمة .. وروح الوحدة للأمة .. فلا أمة بلا وحدة .. ولا وحدة بلا روح ..

واعتقد ان أولى لبنات الإصلاح فى الطريق إلى الوحدة الكبرى هو تصحيح عقائد المسلمين فى العالم العربى .. الذين خلفتهم عهود طويلة ركاماً إنسانياً وغثاء لاغناء فيه ، فلهثوا بلا خبرة خلف فكر متخلف ، لا علاقة له بالإسلام عقيدة وفكراً وسلوكاً! . وما أقدمه اليوم هو دراسة عن عقيدة المسلمين فى إبليس والجن ، ومدى فهمهم لعقيدة التوحيد .. وكيف اصطدمت هذه العقيدة بالخرافات الموروثة عن إبليس والجن ، وقراءة فى الفكر الذى تراكم على مدى القرون حول هذه العقيدة ... وهو حق مشروع لأى باحث مسلم .. والذى من شأنه إشاعة روح اليأس والهزيمة والتواكل .. والاعتقاد دائماً أن النصر من حظ دولة الشيطان على دولة الحق والإيمان! ..

إن الحرب مع الجماعات المسلحة لم تنته بعد؛ لأنها خلفت جماعات تكفر المجتمع وتدعوا إلى العزلة والجمود ، وتستقطب آلافاً من شباب المسلمين لا يقرأون ولا يطلعون على وسائل المعرفة المختلفة ! .. فالتليفزيون حرام وكذلك الراديو والدش والجرائد وكل ما هو نافذة أو أداة للمعرفة حرام ! ... فصاروا شباباً بلا وطن وبلا معرفة وبلاوعى .. ظاهرهم يعبر عن الاغتراب ، وباطنهم خواء تحفهم الأوهام والجهالات ، إنهم شياطين تحارب الأمة وتفسد وحدتها وتهيئتها لأى غزو خارجى .. ما اقسى أن تنحل الأمة من الداخل ، تحت ضغط العُزلة وعدم التفاعل والانفعال بقضاياها ، من قبل شبابها ! .

وليس هؤلاء فحسب بل هناك جماعات أخرى انتشرت للفساد الأخلاقى والانحلال ، ويعتبرون انفسهم طليعة التقدم والتمدن فى بلادنا ! .. وكأن التقدم لا يكون إلا بالجنس والمخدرات والدعارة والعرى ونبذ القيم والحضارة؛ والعيش فى مواخير الرذيلة ! .. أقرب هؤلاء من ذهنى الآن جماعات الهبز والدسكو وعبدة الشيطان وشاربى المخدرات ومروجيه .

أو ليس كل هؤلاء شياطين تعمل على دحر قوة الأمة والفت فى جسدها ! .. ماذا

بقى للأمة إن ضربت فى العراق أو لبنان أو ليبيا أو السودان أو الصومال ، فكانت عاجزة حتى عن التعبير عن أساها أو رفضها أو شجبها ؟!!

ثم ماذا بعد عقائد موروثة لا أساس لها من الصحة فى تصور المسلمين للجالس على عرش العالم هناك يذيق الأمة صنوفاً من الويلات والعذاب .. بل يتدخل فى تصريف أمورها ليلاً ونهاراً ، فى اليقظة وأثناء النوم ، فى الصلاة أو فى خارجها !.. إنه الوهم والزيف والباطل والخرافة .. وعبادة ألف صنم ووثن من دون الله .

لاشك أن لليقظة والصحوة الدينية الرشيدة والوعى الإعلامى الدينى أثر بارز فى تحريك وجدان الأمة نحو الوحدة ونحو تصحيح العقائد ، وتكتيل وتكثيف عواملها فى نفوس أبناء الأمة ، فالأمة فى حاجة إلى إصلاح دينى فى إطار العقيدة والقيم والحضارة.. لأن الغزو الثقافى ومحاولة تدعيم فكر الجبر والتواكل وإشاعة روح الانهزام من قبل الغرب مستمرة على قدم وساق ..

قابلت عالماً في التاريخ في إحدى الجامعات الأمريكية .. هو فى الحقيقة موظفاً لجهاز المخابرات الأمريكية ، واحد المهتمين بالشرق الادنى ومصر على قمة اهتماماته.. جاء من أمريكا خصيصاً ليدرس كتاباً عن القبور وزيارتها !.. تعجبت كثيراً ، ولذلك سألته عن ذلك ، فأجاب بأن من اهدافهم تسليط الأضواء على الإسلام الاصولى والسلفى .. فلما أعلنته بعدم فهمى .. أوضح لى أن الإسلام عندهم ليس واحداً ولكنه عدة أشياء .. فهناك الإسلام الأصولى والسلفى والإخوانى والقبورى والصوفى .. فهو أشكال وأنماط وصنوف مختلفة .. ونحن نحاول بعث مسائل الخلاف من قبر التراث حتى تلوكها عقول المسلمين .

كان الرجل واضحاً .. ولم يتوار خلف أى قناع عند حديثه معى .. ولما علم أنى أحاول بعث الإسلام الفكرى الواعى ، من أجل نهضة الأمة ومواجهة الصراع المحتدم على العلم والثقافة .. والبحث عن المنهج فى التاريخ والمنهج فى الواقع ، والوحدة فى التاريخ والوحدة فى الواقع .. ورسم خطوات واضحة لعودة الأمة ، تجنبنى ولم أره بعد ذلك !.. إن التراث الإسلامى مشحون بالنفيس والرخيص فى الوقت ذاته، وبعث الغث على حساب الرهان على الإسلام الآن؛ وكثير من الدارسين يقعون فى المنظور الأحادى عند القراءة وعند التفكير ، وهنا يقع الخلط بين ماهو ثابت وما هو متغير.

لن تبعث أمة العرب إلا إذا استيقظت مصر وأفاقت على كل المستويات، ولن تبعث أمة الإسلام ؛ إلا إذا دعتها مصر إلى ذلك - بما لها من ثقل علمي وسياسي وحضاري وإسلامي .. ومصر على أولويات دولة الشيطان .. ولن تتركها تستفيق بسهولة .. فيا مصر حكومة وشعباً .. تآلفي .. توحدي .. استجمعي قواك الإيمانية ثم الاقتصادية .. والإعلامية .. إلخ .. فالعالم كله ينتظرك لتعيدي له امنه الذى فقده .. بعد أن سقط العالم في براث القطب الواحد، وتلاشت التعددية السياسية والثقافية والاقتصادية؛ فصار الفقراء فريسة للأغنياء، والعالم الثالث سوقاً لأمريكا .. وتحكم فينا صندوق النقد الدولي والمنظمات الاستعمارية العالمية ! ..

ابحثوا عن شيطان العالم الأكبر ، تجدوا خيوط الإرهاب الدولي مجتمعة هناك .. وابحثوا في خطط جماعات الإرهاب المسلح ، تجدوا السبب واضحاً في محاربة مصر ..

ليس من الصدفة إغراق السوق الثقافي بغثاء من التراث العربي والإسلامي .. وغثاء من كتب الجنس وفضائح الفنانين والسياسيين .. إن الجامع يؤذن والحانة مفتوحة .. والمراة تعبر من امامي تلبس الحجاب ، فتصطدم باخرى كاسية عارية .. والكاسيت يذيع شريطاً للشيخ عبد الباسط .. وبجواره بائع القصب يذيع شريطاً من شرائط الغناء الجنسي ، الذى تروج له دكاكين الكاسيت والإنتاج المشبوهة!!! .. وهو تعبير عن اللامبالاة والتجاهل والصمم ، وفقدان الحلم القومي الواحد .

عندما سكتت الاصوات الجميلة ، وتاخرت العقول المستنيرة ، سقطت الأمة .. وعلينا جميعاً ان نتجمع في صفوف المواجهة ، بقوة وحزم وإصرار على البعث .. فهل يعود البعث من جديد ؟!

القاهرة في ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٠ إمام عبدالله

أولاً الدراســـة

# إبليس في التصور الإسلامي
# بين
# الحقيقة والوهم

تأليف

أ / إمام حنفي عبدالله

# المبحث الأول

## فى بيان حقيقة إبليس

**ويشتمل على أربعة فصول :**

# الفصل الأول

## إبليس والمعصية

# الفصل الأول

## إبليس والمعصية

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ [١] .

ذكر القصاص والمحدثون روايات كثيرة في خلق آدم ومعصية إبليس لربه وخروجه من الجنة ثم حسده لآدم ووسوسته له حتى خرج هو وزوجه من الجنة هو الآخر ، واغلب هذه الروايات عبارة عن إسرائيليات وأكاذيب وخيالات نسجها القصاص وروجوها ؛ لرغبة الناس فى سماعهم ورغبتهم فى مزيد من المعرفة عن قصة الخلق ونشأة الوجود والكون والحياة .

فمن يكون إبليس وما اسمه ومن اى شئ خُلق ، وما مدى صدق هذه الروايات التي تروى عنه وعن الجنه ؟! .. كل هذه تساؤلات لم يعدم القدماء الإجابة عنها ، لأسباب كثيرة ، منها نهمُ العامة فى معرفة هذه القصة ورغبتهم فى القص والحكاية، وطبيعة الشعوب العربية التي تعودت على السماع فى أنديتها وتجمعاتها .

وهناك فى هذه الروايات أوشاب مختلفة من التأثر بالديانات الشرقية وعقائد المجوس والمانوية والثنوية ، بالإضافة إلى ماذكرته التوراة وحكاه اليهود زيادة عما فيها ، فقد أضاف اليهود لتوراتهم الكثير من الحكايات عن بدء الخلق وتاريخ الإنسان والمخلوقات ، حتى غفل بعضهم فحكى ما لم يرو ولم يسمع عنه موسى، عليه السلام ، أو يهودى على الإطلاق ! .. فقصوا خبايا النفوس وما كان يحدث بين الجان وفى الغرف والأماكن المغلقة ؛ وقيل فى المثل إن كنت كذوباً فكن ذكوراً! .. إلا أن اليهود ائمة التزوير والتحوير والافتراء .. لم يستحوا .. لان للحياء اهله وهم لا يعرفونه !

القصد ؛ يروى أن إبليس من الجن واسمه الحارث وخلق من نار السموم ، وهذه المعلومات منها ما يمكن التثبت من صدقه ، عند عرضه على الكتاب ، قال تعالى : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [٢] .

---

( ١ ) سورة البقرة آية ٣٤ .

( ٢ ) سورة الكهف : آية ٥٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] .

**واختلف المتكلمون في إبليس ، هل هو من الملائكة أم لا ؟**

**( ١ ) فقال قائلون :** هو منهم، ولكنه أخرج عن جملتهم ، لما استكبر على الله ، عز وجل.

**( ٢ ) وقال قائلون :** ليس هو من الملائكة [3] .

ويروى ابن جرير حديثاً عن ابن عباس يحكى فيه أصل إبليس واسمه وكيف انضم إلى الملائكة وتربى معهم ، ثم يذكر الحديث نصاً ، يبرز به كيف بدأ الشر في الوجود، فقد كان إبليس سيِّدَ طائفةٍ من الملائكة دخلت في معركة مع الجن فسحقتهم وكان النصر لهم .. فقتلهم إبليس ومن معه ، حتى ألحقوهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه فقال : قد صنعتُ شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه .. يقول - أى الله عز وجل - : إنى قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه ، من كبر واغترار .. إلخ وهكذا . إلا أن ابن كثير يعلق على هذه الرواية ناقداً لها : هذا سياق" غريب" . وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها ، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور [4] . وهو يشير إلى تفسير السدى .. وهو مطبوع تحت عنوان « تنوير المقباس في تفسير ابن عباس » .

ويعقب ذلك رواية أخرى عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبى ، ﷺ ، عن بدء الخلق وكيف خلق الله آدم واعتراض الملائكة ، وما بدى من إبليس من الاغترار والكبر ، ويعلق عليها تعليق الناقد البصير ، فيقول : فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدى ، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج وليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة ؛ والله أعلم [5] .

---

( ١ ) سورة الرحمن آية ١٥ .
( ٢ ) سورة الحجر آية ٢٧ .
( ٣ ) الأشعرى : مقالات الإسلاميين؛ ٢ / ١١٤ .
( ٤ ) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١ / ٨١ .
( ٥ ) ابن كثير ؛ ١ / ٨٢ .

ويأخذ على الحاكم روايته مثل هذه الإسرائيليات في مستدركه ، الذى استدرك فيه على الشيخين ما لم يروياه من الصحيح على شرطهما ، فيقول : والحاكم يروى فى مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء ، ويقول على شرط البخارى . هكذا كان على وعى لخطورة مثل هذه المرويات ، ومع أنه ذكر ما سبقه إلى ذكره ابن جرير فى تفسيره[1] ، حتى ليعتبر علماء التفسير تفسير ابن كثير مختصراً لتفسير ابن جرير ، خلا من كثير من الحشو والروايات الخرافية ، إلا أنه ذكر بعضها كذلك ، ونبه عليه فى أغلب الأحيان .

ولتعليل كيفية دخول إبليس عالم الملائكة ، نجد رواية جاهزة لذلك عن سنيد بن داود بسنده قال : كانت الملائكة تقاتل الجن فسبى إبليس ، وكان صغيراً ، فكان مع الملائكة يتعبد معها ، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا ، فأبى إبليس[2].

ولكن محمد بن كعب القرظى يرى رأيا جبرياً خالصاً فى ربه فيقول بأنه : « ابتداء خلق إبليس على الكفر والضلالة وعمل بعمل الملائكة ، فصيره الله إلى ما أبدى عليه خلقه من الكفر » . وهذا الكلام - والعياذ بالله - يفترض أن الله خلق من خلقه عباداً ، ليكفروا به ويعصوه ويضلوا عباده ، وبالتالى فقد خلقهم للنار ابتداء !.. ولا أدرى لِمَ يقول فريق من الناس هذا الكلام ؟!.. غير أن المؤاخذة على من يصرحُ أو يروى - دون نقد - لمثل هذا الاتجاه الغاشم ، الذى ينقض أسس التوحيد الإسلامى من الجذور .

عموماً علل المفسرون رفض إبليس للسجود لآدم ، كما أمر الله ، بأنه حسد منه وكبر ، وهو صحيح ، فإبليس خلقه الله لطاعته ، كما خلق عباده ، وركب فيه حرية الاختيار ، دون أى جبر له على معصيته، فاختار معصيته، تعالى، واختار آدم طاعته ، وذلك حسداً منه لآدم ، وكبراً أن يسجد كما أمره ربه .

ووقف العلماء عند قضية هل يعطى الله من يعصيه من الكرامات وخوارق العادات مثل ما يعطى أنبياءه وأولياءه ، فقال من نرى صحة رأيه : إن ذلك جائز على سبيل

---

(١) السابق ١ / ٨٣ .

(٢) انظر تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن تحقيق الأستاذ محمود شاكر ط. المعارف القاهرة .

الاستدراج والإمهال ، وقياساً على ما اعطى الله لابن صياد والدجال من خوارق العادات للفتنة والابتلاء [1] .. وقد كان الشافعي يفرق بين الكرامة والاستدراج ، بعرض حال صاحبها على الكتاب والسنة ، فإن كانت لصاحب دين وتقوى عاملاً بالكتاب والسنة فهي له كرامة، اما الآخر فهي له فتنة واستدراج [2] : «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا امره على الكتاب والسنة» [3] . وهومعيار سليم وصائب للتمييز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . ولا اعتبار لخلاف المعتزلة مع أهل السنة في الكرامة؛ لأنها ثابتة بالكتاب والسنة ، واجمع السلف على ثبوتها في حق أولياء الله الصالحين ، ويجريها على أيديهم [4] .

إلا ان حديث المعجزة والكرامة اخذ منعطفاً آخر بعد الصدر الأول ، فغالي الرواة في ذكر معجزات النبوة لدعم قضية الإيمان في نفوس العوام؛ وغالى الصوفية في مسألة الكرامة ، والتي من أبرز خواصها الإخفاء ، حتى صارت في عداد الخرافة والكذب الصريح .

ويروى الحافظ ابو بكر بن مردويه بسنده عن أبي ذر ، قال : قلت يارسول الله ارايت آدم انبياً كان ؟.. قال : «نعم ، نبياً رسولاً يكلمه الله قبيلاً ، وقبيلاً يعني : عياناً» .. وهو كلام لا يصح ، لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[5] .. وهو من قبيل نقد المتن لتعارضه مع محكم الكتاب ، ولا حاجة لنا إلى دراسة السند ، لجواز صحته مع كذب المتن .. والمكذب هنا الراوى وليس النبى ، وهو أحد طرق نقد الحديث عند المحدثين ، وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على صور الوحي عدا المشافهة لنص الآية [6] . أما نبوة آدم، عليه السلام ، فقد خالف فيها بعض العلماء ، والصواب أنه رسول ونبى ، ولا اعتبار لحجة الخصوم ، لقوة النص القرآني في دعم القول بنبوته .

---

(١) انظر على سبيل المثال الإيجي : المواقف ، ص٣٧٠ ؛ والباقلاني : البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانةوالسحر والنارنجات .. والجويني : الإرشاد ، ص ٣١٦ – ٣٢١ .

(٢) البيهقي : الاعتقاد ؛ ص ١٩٥ .

(٣) الباقلاني : السابق ؛ ص٤٥ .

(٤) شرح المقاصد ؛ ٢/١٣٩ – ومابعدها .

(٥) سورة الشورى آية ٥١ .

(٦) انظر القاضي عبد الجبار : المحيط بالتكليف ؛ ص٣٠٩ .

ويدلنا على تعقب المحدثين للرواة أن ابن جرير ذكر في نوع الشجرة التي أكل منها آدم وزوجه ست روايات ، أربعة منها عن ابن عباس في أنها الكرم أو الحنطة أو البر أو السنبلة ، وثنتين عن أبي مالك ووهب بن منبه أنها النخلة أو شجرة التين ! . . وأمام حيرة الإمام الجليل ، ابن جرير الطبري ، وضع ضابطاً لما تمنينا أن يستخدمه في تفسيره باستمرار في مواجهة الكم الهائل من الروايات الخرافية أو الموضوعة على رسول الله ، ﷺ ، والتي رد على من انتقده فيها بأنه رواها بأسانيدها ، وهو على علم بمعرفة المحدثين بقيمتها الحقيقية أو بمدى صحتها من وضعها ، غير أنه قد فاته أن هذا التفسير سيعبر إلى عصور تجهل نقد الحديث وعلومه بالكلية، وسيؤتى الإسلام من هذا الجانب بين مكذب لحديث رسول الله ، ﷺ ، ورافض له ، لجهله بالحديث رواية ودرايه ؛ وبين عوام يروجون للخرافات فإذا سألوا ردوا الأمر إلى تفسير الطبري !! . .

أقول وضع الطبري في مواجهة هذه الروايات ضابطاً رائعاً وهو : « والصواب في ذلك أن يقال : إن الله ، عز وجل ثناؤه ، **نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها** ، فأكلا منها ، ولاعلم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين ؛ **لأنَّ الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك** في القرآن ولا من السنة الصحيحة . . وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به ، والله أعلم »[1] . ويقصد ابن جرير أن هناك علماً كقشور القمح أو كالطعام الفاسد ؛ لتفاهته لا ينبغي اجتراره أو شغل الناس به .

ويقول ابن كثير في قصة آدم وإبليس ونزولهما من الجنة معلقاً على روايات الرواة : وقد ذكر المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده ، وأبي العالية ، ووهب بن منبه وغيرهم – ههنا – أخباراً إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة ووسوسته .

ويبدو أن القدماء من القصاص كانوا يعجبون بإرضاء رغبات وميول العوام ، الذين يعنون بمثل هذا الأمور والتي تناسب عقولهم الكليلة وأنظارهم الضعيفة ، وهي لهم مادة سمر معتبرة .

---

( ١ ) انظر ابن كثير ، ١ / ٨٥ .

ولك أن تتأمل ما يذكره ابن كثير عن ابن جرير مختصراً في تفسيره ، عن قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] من أن الأمر آنف وكل شئ قرره الله قبل خلق الخلق ، فعلاً له وإرادة ماضية ، وقضاء وقدراً لا يرد ، فمن عصاه عصاه بإرادته ورغبته في عصيانه ، ومن أطاعه أراد له الطاعة ، محبة فيه وتنفيذاً لما سبق وكتبه عليه في اللوح ! [2] .

وهذا كلام ينقض آيات الكتاب ويهز عرش التوحيد والعدل ، ولا أرى كيف نقرأه كل يوم دون الوقوف – مجرد الوقوف – لفهمه والتنبيه عليه ؟! .. والرواية مهتزة فأبو إسحاق السبيعي يروى عن مجهول أشار إليه بقوله : عن رجل من بني تميم وهو اسم لقبيلة الرجل وليس اسماً له ، قال : أتيت ابن عباس فسألته ..؛ وهذه الرواية لا تعنيني في شئ والذى يعنيني التي تلتها، حيث قال : وفي رواية قال – أي السبيعي– أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير، أنه قال : قال آدم : يارب خطيئتي التي أخطأت شئ كتبته عليّ قبل أن تخلقني أو شئ ابتدعته من قبل نفسي؟ قال : بل شئ كتبته عليك قبل أن أخلقك . قال : فكما كتبته عليّ فاغفر لي .

وفي هذا الحديث وأضرابه إشارة إلى أن المسلمين قديماً قد انقسموا إلى قائلين بالاختيار وقائلين بالجبر، والأولون هم الأكثرون؛ أما القلة التي روجت للجبر فأغلبها من القصاص والرواة الذين قصرت عقولهم عن فهم الدين، والحق يأتي عندهم بعد أكاذيبهم ولا اعتبار لمدعى .

لم يأكل آدم من الشجرة إلا بعد أن أقسم له إبليس أن ما نهاهما الله عنه، من الأكل من الشجرة، لم يكن على سبيل التحريم ، وأنهما لا يستحقان بذلك عقوبة أصلاً ، بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الأبد، قال، تعالى، حاكيا عن إبليس أنه قال لهما : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [3] فلما نسى آدم ،عليه السلام، عهد الله إليه في أن إبليس عدو له ، أحسن الظن بيمينه [4] .

---

(١) سورة البقرة آية ٣٧ .

(٢) راجع القاضي عبد الجبار : المغنى ٦/ ٢١٨ – ٢٥٥ . والماتريدى : التوحيد ، ص٢٢٦ ، ومابعدها .

(٣) سورة الاعراف الآيات ( ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ) .

(٤) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ١٠ .

لقد كان كل فعل إبليس هومحاولة التاثير فى قرار آدم واختياره ، بعد أن عقد العزم على طاعة ربه ، فلما نسى عصى ربه .. فلما عاودته طبيعة الخير والطاعة ، طلب من ربه التوبة والمغفرة .

وهكذا يتبين لنا أن الروايات التى أذاعها القصاص والمحدثون عن قصة خلق آدم وإبليس وما حدث بينهما، فيها كثير من الخرافات والأساطير التى روجها اليهود ، وتمكنت هذه الإسرائيليات من توجيه أذهان المسلمين نحو عقائد لا تصح فى دينهم ولاسناد لها، مثل كون إبليس خلق للمعصية والفجور ، ولو أراد أن يتوب فلن يجد إلى ذلك سبيلاً .. وان آدم كان مجبوراً فى عصيانه لربه .. او ان لإبليس قدرة على الوسوسة والتأثير فى خواطر آدم وزوجه ! ..

وهذا يجعلنا نوجه الحديث فى الفصل القادم نحو خلق إبليس ، وهل خلقه الله لطاعته أم لمعصيته ، وكيف تصرف فى الحقيقة.

* * *

# الفصل الثاني

## خلق الله إبليس لطاعته

# الفصل الثاني

## خلق الله إبليس لطاعته

قال تعالى – في سورة الأعراف – في ثنايا حكايته لخلق آدم ومعصية إبليس : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾ [١] .

فقد بينت الآية ووضحت ان إبليس خلق فى الأصل لطاعة الله وامتثال أوامره وعبادته ، لا لمعصيته ومعاندته والإفساد بين العباد . فقضية ان يسجد اولا يسجد كانت له هو باختيار مطلق حر جبله الله عليه : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [١] ؟!! ولا يمكن أن يسأله ، تعالى، بيان سبب امتناعه عن سجوده وهو الذى منعه وجبره! . . فإبليس كان قادراً على ان يطيعه إذ عصاه ؛ ولان هناك سبباً داخله منعه – يخصه هو دون غيره –كان لابد من معرفته ، فلربما كان السب ب له علاقة بحرية الاختيار والقدرة والاستطاعة عليه ، ولكنه كان في النهاية راجعاً إلى كبره وصلفه على ان يطيع أوامر مولاه وخالقه والسجود – امتثالاً وخضوعاً له – لعبده آدم إذا أمره ؛ فقال ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾[١] ، وكيف يسجد الأفضل للمفضول ؟!. . هذا ما ظنه وهو قائم على اعتقاد خاطئ عنده أن النار خير من الطين وأشرف !. .

وهو قياس خاطئ كذلك؛ لأنه نظر إلى عنصره وإلى عنصر آدم ، ورأى أن عنصره الذى خلق منه خير من عنصر آدم ، ولم ينظر إلى تشريف الله لآدم حين خلقه بيديه ، ولا تشريفه له حين امر الملائكة بالسجود له تشريفاً وتعظيماً . .

ثم كيف قطع وجزم بأن النار خير وأشرف وافضل من الطين؟!. . فلربما كان الطين افضل من النار فى أصل العنصر وهو لا يدرى ، وأكثر نفعاً وفائدة من النار. . ولذلك ينبغي عدم الاعتماد على ظواهر الأشياء عند الحكم عليها ، لمخادعة هذه الظواهر للناظر إليها ، وكذلك سبر غورها لمعرفة كنهها ؛ والتأكد من صحة القياس وصوابه عند ضرورة القياس ؛ ونفى شهوات النفس وميولها ورغائبها عند الحكم على الأشياء؛

---

(١) سورة الأعراف الآيات ( ١١ – ١٢ ) .

واعتماد الخبرات السابقة ، واحترام من تأكد لدينا صدق نصحه وتوجيهه وإرشاده، وكل ذلك عانده إبليس فى الظاهر والباطن ، فكان حكمه مغالطاً للحقيقة والواقع .

ولنا وقفة مع مفهوم السجود فقد اختلف العلماء حوله هل كان لله ام لآدم؟ . . فقال بعضهم أنه كان له تعالى ، لخلقه عبده آدم على هذه الصورة . . فقال: اسجدوا لى لعظمة خلقي لعبدى آدم . . وهؤلاء قالوا انه لا يجوز السجود لغير الله مطلقاً . . أما كيف كان السجود ؟ . . فقد قالوا انه كان إيماء اوانه كان بمعنى الخشوع والامتثال، يقول الزمخشرى: «السجود لله، تعالى، على سبيل العبادة، ولغيره على وجه التكرمة، كما سجدت الملائكة لآدم، وأبو يوسف وإخوته له، ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه» [1] .

لقد كان إبليس فى منزلة رفيعة شريفة فى الجنة ينعم فيها برضا ربه عليه ، ولكنه عصاه وتكبر وذهب مغاضباً ، لحسده آدم وكبره فى نفسه ؛ وهذه الآفات لا ينبغى ان تكون فى عباد الله المتقين ؛ ومن يقترفها وجب أن يخرج من رضا الله إلى سخطه ومن جنته إلى عذابه، قال، تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] ، فالكبر اخرجه وحوله من منزلة المكرمين إلى درجة الأذلاء المحتقرين .

وكان لإبليس – ومتاح له – فرصة بعد اخرى ليتوب إلى ربه ويعود إلى كنف طاعته ، إلا أن كبره منعه ، فى حين سأل ادم ربه التوبة – بعد أن عصاه – فتاب عليه؛ وهنا ينبغى الوقوف لبيان أن ادم وإبليس ، كانت لديهما فرصة متساوية للتوبة والإنابة ؛ فاغتنمها آدم ؛ ولم يمنع الله إبليس من التوبة ، ولو تاب إليه لتاب عليه ؛ ولكنه آثر الهوى والكبر ولعبت به شهوات نفسه فلجَّ فى عناده ، وبدلاً من ان يتوب قال لربه : ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [3] .

---

(١) الزمخشرى : الكشاف ، ١/ ١٣٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٣ .

(٣) سورة الأعراف الآيات ( ١٤ – ١٧ )

أن يخرج إبليس من الجنة ويتحول من دار الكرامة إلى دار المهانة ومن منزلة التشريف إلى الذلة والصغار ، هذا ما زاد حنقه وغيظه ؛ وعول السبب – في ذلك كله – على آدم الذى عرف تاريخ ميلاده وقرأ سيرته هو وذريته ، ونسى أن السبب الحقيقي من عنده هو ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [1] لقد فسد داخله ففسدت تصرفاته ونظراته للأشياء ؛ وتعجل شأن نفسه وقطع عليها طريق العودة إلى كنف الطاعة ؛ وطلب من ربه أن يطيل فى عمره إلى يوم القيامة ، والذى كان يعرفه ، وأن لا يقضى عليه الموت إلى ذلك الحين ، فأجابه الله إلى طلبه وسؤله ؛ وعاودته الفرصة مرة أخرى وأمهل لعله يتوب؛ ولكنه أبان عن سوء قصده ونيته ؛ فاقسم على ربه ، بما قضى عليه وقدر من المهانة والذلة والاحتقار ، أن يفعل ببنى آدم ما يلحقهم بالعذاب والذلة يوم القيامة .

وهو قريب من رسم خطة في الفساد ، ومنهج في إضلال عباد الله ؛ خلقه الله لطاعته فآثر معصيته ، وخلقه للإيمان فكفر وسعى فى الأرض فساداً ؛ فقال : لاترصدن لهم عند كل صراط مستقيم لإضلالهم ، وسأفعل جهدى ووسعى حتى يكفروا بك ، فيجب عليهم ما وجب عليّ بسوء فعلي ! .

ولا ينبغي التسرع فى فهم هذه الآية ، فهذا مجرد كلام تافه من عبد تافه ضعيف ذليل أبان عن كمده وغظيه – فرقعة ، أو إرغاء ، أو تهويش – يقول ابن كثير : «وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم ، وقد وافق الواقع» [2] ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [3] .

فإبليس ليس فى يده تقديم شئ أو تأخيره ؛ أو هداية أحد أو إضلاله ، وكأنه تعالى يقول له ﴿ اذهب فأرنى ما بوسعك أن تفعل ﴾ .. يعنى : أنت يا إبليس أعجز من أن تفعل شيئا مما تقول . ووافق ابن قتيبة ما سبق من تأويل هذه الآية فقال : تأويله أن إبليس لما سأل الله ، تبارك وتعالى ، النظرة فأنظره ، قال : لأغوينهم ولأضلنهم

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٣ .

(٢) ابن كثير ٢ / ٢٢٩ .

(٣) سورة سبأ : ( ٢٠ – ٢١ ) .

ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ولاتخذنَّ منهم نصيباً مفروضاً [1] .

وليس هو - في وقت هذه المقالة - مستيقناً ان ما قدره الله فيهم يتم ؛ وإنما قاله ظاناً، فلما اتبعوه واطاعوه ، صدق ما ظنه عليهم اى فيهم ؛ ثم قال الله : وماكان تسليطنا إياه إلا لنعلم من يؤمن ، اى المؤمنين من الشاكين» [2] .

وهكذا يتبين لنا باليقين ان الله خلق إبليس لطاعته وعبادته ؛ ومنحه القدرة على ذلك ، وكلفه ما هو في وسعه وطاقته ؛ وكرمه تكريماً كبيراً حين اطاعه بأن جعله سيداً أو رئيساً أو كبيراً لطائفة من الملائكة يأتمرون بامره في الجنة ، وحاز من الولاية منزلاً رفيعاً ؛ ولأن التكليف ابتلاء ، واختبار في ان يطيع العبد ربه او لا يطيعه سأله، عز وجل، ان يمتثل لامره بالسجود لآدم .. فابى وعصى وأبدى من منكر القول والفعل ما استحق عنه الطرد من رحمة ربه .

ولعله كان أمام إبليس نماذج من الخلق عصوا ربهم فعذبهم الله ، وكان إبليس أحد جنود الملائكة الذين قاموا بطاعة الله في إهلاكهم .. فتعجب من عصيانهم رب الأرباب .. وتسائل عن أسباب الكفر والعصيان الذى وقعوا فيه ، وعرف انه الكبر والعناد ورد أمر الله وعدم الامتثال له ..

وهذه هي الآفات النفسية التى كانت متوارية في إبليس ، اظهرها كمده وغيظه من آدم وحسده له .. فاقسم على التمادى في المعصية بدلاً من طلب المغفرة ؛ وما كان قسمه إلا ظناً وافق ما فعله كثير من عباد الله من اولاد آدم .

* * *

---

( ١ ) في سورة النساء الآيات (١١٧ - ١١٩ ) ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩)﴾ .

( ٢ ) ابن قتيبة : تاويل مشكل القرآن ؛ ص؛ ص ٣١٠

# الفصل الثالث

## كيد إبليس في الواقع

**ويشتمل على خمس نقاط :**

**١ - كيد إبليس .**

**٢ - مس إبليس .**

**٣ - نزع إبليس .**

**٤ - إبليس والرسل .**

**٥ - إبليس وعيسى، عليه السلام .**

# ١ - كيد إبليس

إن خطوات الشيطان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (١) هى معاصيه ؛ وكل معصية لله فهى من خطوات الشيطان ؛ وهى نزغاته وخطؤه وخطاياه ؛ فمن فعل كفعله وسار على منهجه كان تابعاً له ، ولذلك كان السلف يذهب إلى أن النذر فى معصيته هو من خطوات الشيطان التى ينبغى التكفير عنها (٢) .

ويُفَسَّرُ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (٣) في ضوء قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ (٤) ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴿٦٥﴾ ﴾ (٥) ؛ فهو مجرد طلب وسعى وليس فيه جبر أو قهر ؛ وهو مجرد إيحاء من شياطين الإنس - لا الجن - لنطعم الخبيث من الطعام ونشرب الخبيث من الشراب ؛ والظاهر أن شياطين الإنس هى التى تسعى فى هذا الأمر وتحتال على من تريد حتى تغويه . فالصحبة السيئة فى البيئة الفاسدة هى التى عصت ربها وامتثلت لأمر شيطانها فمالت وغوت ، وكل من ينقاد لها مثلها تماماً .

وهكذا قال فى تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (٦) .

أى طريقه وأوامره كما اتبعها المشركون الذين حرموا مارزقهم الله (٧) . ولا يعقل ممن حذرنا من خطوات الشيطان وطريقه أن يسلطه أو يقدره علينا من أى سبيل ! . . قال الزمخشرى : ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشيطان ﴾ (١) ، فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية » (٨) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ

---

( ١ ) سورة البقرة اية ١٦٨

( ٢ ) ابن كثير ١ / ٢١٨ .

( ٣ ) سورة البقرة اية ١٦٩ .

( ٤ ) سورة ابراهيم اية ٢٢ .

( ٥ ) سورة الإسراء اية ٦٥ .

( ٦ ) سورة الأنعام : ١٤٢ .

( ٧ ) ابن كثير ٢ / ٢٠٥ .

( ٨ ) الزمخشرى، الكشاف، ٢ / ٧٣ .

الْغُرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ ﴾ [1] ، لقد أقام الله أسس الجزاء في الإسلام على أساس الثواب والعقاب ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾ [2] ، ولذلك كان صادقاً في وعده ووعيده ، بلا إيجاب عليه ولافرض ، فهو القادر على إنفاذ جزائه تصديقاً لما أمر، وهو أيضاً القادر على التجاوز والعفو تفضلاً لمن أراد ، ولا تعارض بين العدل والعفو؛ لأنهما من إله واحد أحد ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝ ﴾ [3] .

والدنيا تسحب أبناءها خلفها بإغرائهم وبما أبدوه من ميول ورغبات في إشباع غرائزهم ، فغايتهم اللذة والمنفعة وإشباع الهوى ، والشيطان على قارعة الطريق يزين لهم الباطل ويهون عليهم شأن المعصية ، ويزهدهم في وعد ربهم ويطمعهم في عفوه ، بعد أن حذرهم - تعالى - الوقوع تحت طائلة عقابه .

فهل يعقل ، بعد أن قص ربنا علينا خصومة إبليس لآدم وذريته، وبعد ما كان وأبدى من بغضاء وحسد لأبينا ولنا ، أن نتبعه ونتولاه وهو القائد للهلاك والضلال ؟!! . .

فتذكر ، ما نسيتم من شأنه ، واحذروا أن يضلكم في عقائدكم أو أعمالكم؛ وأبدوا له العداء سافراً كما أبداه لكم؛ ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والمعرفة وإرساء قاعدة الولاء والبراء ووزن إبليس وحزبه بميزان الحق ، وبغضهم [4] في الله والحذر منهم في كل وقت وحين ، ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ [5] ، واعتبار اتباع الشيطان ظلماً وأصحابه ظالمين ﴿ . . . بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ۝ ﴾ [6] .

* * *

---

( ١ ) سورة فاطر اية ٦

( ٢ ) سورة الزلزلة الأيتان ٧ - ٨ .

( ٣ ) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

( ٤ ) انظر الزمخشري؛ ٣ / ٥٩٩ .

( ٥ ) سورة الأعراف اية ٢٧ .

( ٦ ) سورة الكهف اية ٥٠ .

## ٢ - مس إبليس

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ... ﴾ (١) .

يقول ابن كثير : «أى لا يقومون من قبورهم - يوم القيامة - إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له ، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً » . (٢)

والتخبط عبارة عن الضرب على غير استواء واتساق ، أما المسُّ فهو الخبل والجنون(٣) ؛ فالمتعاملون بالربا المستحلون له لا يقومون يوم البعث إلا كقيام المصروع الذى تخبله الشيطان وصرعه ؛ وهو تشبيه جاء على ما تعارفه العرب في لغتها من إضافة الصرع وكل شئ قبيح إلى الشيطان ؛ ونظيره قوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) ﴾ (٤) .. واختار الرازى أن المراد بمس الشيطان : «دعاؤه إلى طلب الملذات والشهوات والاشتغال بغير الله ، ومن استجاب له كان متخبطاً فى امر الدنيا ، فتارة يجره الشيطان إلى الهوى وتارة يجره الملك إلى الهدى . وآكل الربا مفرط في حب الدنيا فإذا مات على ذلك الحب صار حجاباً بينه وبين الله تعالى، فالخبط الذى كان حاصلاً له فى الدنيا بسبب حب المال اورثه خبطاً فى الآخرة» .

فالناس يخرجون من قبورهم مسرعين ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) ﴾ (٥) ؛ إلا اكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون ، كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان ويسقط ؛ لأنهم أكلوا الربا فى الدنيا ، فأرباه الله فى بطونهم يوم القيامة حتى اثقلهم ، فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الإسراع فلا يقدرون .

وقال الزمخشرى: تخبط الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع. كما قال: إنهم يزعمون مس الشيطان للإنسان : «وهذا ايضاً من

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .. وتفسير الطبرى ٣/ ٦٧ - ٦٨ .

(٢) ابن كثير ١ / ٣٥٠ .

(٣) انظر المعجم الوسيط ١ / ٢١٥ مادة «خبط» ، ٢ / ٨٧٥ مادة «مسَّ» .

(٤) سورة الصافات آية ٦٥ .

(٥) سورة المعارج آية ٤٣ ، وانظر تفسير الطبرى ٢٩ / ٥٥ ، والأجداث : القبور .

زعماتهم، وان الجنى يمسه فيختلط عقله.. ورايت لهم فى الجن قصص واخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات !..» [1] .

وفى الآية بيان أن هناك من الناس من يمسه الشيطان بالجنون [2] ، وهوصحيح مشاهد فى حق من غفل عن ذكر الله وعن الصلاة ، فتتوزعه الأهواء وتشتت شمله الافكار فتذهب قوى عقله ويصير مجنوناً.

وقد أعجبنى التفسير الصوفى لهذه الآية إذ صرفها إلى محض جزاء القدرة الإلهية بنفس العبد العاصى الخارج عن حدود الادب ؛ إذ اقبل على ا لمعصية بعد معرفة حكم الله فيها معلناً تجاوزه لامر ربه ، وقد سقطت هيبة هذا الأمر فى الظاهر بعد سقوطها فى الباطن ، فاستحق التأديب باضطراب أحواله ، وكذلك الصوفى يحدث له ما يحدث لآكل الربا إن تعدى حدود الأدب ، وتفلتت عليه نفسه فأجازت له ما يسوّ من الخواطر الشاردة أو الفاسدة فيحدث له ما قال عنه شيخ الصوفية وإمام الطريقة سابر اغوار الحقيقة : «من أعرض عن الأمر ، ورخَّص لنفسه ، بما يسوِّله له خاطره من التأويل ، فلا استقلال لهم فى الحال ولا انتعاش فى المآل ؛ خسروا فى عاجلهم ، ولم يربحوا فى آجلهم .

ومن انتبه بزواجر الوعظ ، وكبح لجام الهوى ، ولم يطلق عنان الإصرار ، فله الإمهال فى الحال ؛ فإن عاد إلى مذموم تلك الأحوال ، فلينتظر واشك الاستئصال وفجاءة النكال » [3] .

وهو فهم رائع يحتمله النص فى إطار التفسير النفسى لخبايا النفس الإنسانية فى القرآن وعند الصوفية بعيداً عن الخرافة والتسطيح .

* * *

(١) الزمخشرى : الكشاف، ١ / ٣٢٠.

(٢) الطبرى ٣ / ٦٨

(٣) القشيرى : لطائف الإشارات ، ١ / ٢١١

## ٢- نـزغ إبليس

قـال تعـالي : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾ [١] .

النزغ النخس . . ونزغ الدابة : نسخها وحثها على الجرى . ويقال : هذا من نزغه الشيطان : اى وسوس له وزين له ما يريد فحركه إلى فعله .

والنزغ يأتي مصدراً ويأتي بمعنى مايوسوس به الشيطان من سوء كالإفراط في الغضب . . ونزغ بين الرجلين : افسد بما يوقع بينهما من العداوة والبغضاء [٢] .

وتفسير الآية أن الله ، تعالي ، أوحي إلي عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك ، نزغ الشيطان بينهم ، واخرج الكلام إلى الفعال ، واوقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم ؛ وعداوته ظاهرة بنية، ولهذا نهي ان يشير الرجل الى اخيه المسلم بحديدة ، فإن الشيطان ينزغ في يده اى فربما اصابه بها [٣] . . ويستوى في هذا النزغ شيطان الإنس والجن [٤] . . وقال الزمخشرى مثل ذلك : «النزغ: اعتراض، يعني يلقي بينهم الفساد ويغرى بعضهم – على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة» [٥]، ولا يحدث لهم ذلك إلا إذا بعدوا عن منهج ربهم وطريقه وجعلوا كتابه وأحكامه وراءهم ظهيراً . فالشيطان عدو للطهارة والأطهار ، والوحدة والقوة والذكر .

وهذا ما تفعله إسرائيل دائماً وأبداً، تعمل على إفساد ذات البين، وتمزيق الصف العربي؛ وكأنها رسولُ الشرِّ في المنطقة العربية! . . وحق لها ذلك طالما أنها تستشعر من نفسها تفوقاً عسكرياً وذرياً ، أو تفوقاً اقتصادياً عن طريق حليفتها الكبرى سيدة العالم! . . .

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٣ .

(٢) انظر المعجم الوسيط ، ٢ / ٩٢١ مادة «نزغ».

(٣) انظر في ذلك ما رواه مسلم والترمذى ، والحاكم في مستدركه ، مسلم ، ١٦ / ١٦٩ ( كتاب البر والصلة ) ، والترمذى ، ٤ / ٤٠٣ ( كتاب الفتن ، باب ٤ ) حديث ( ٢٦١٢ ) ، واحمد ٢ / ٢٥٦ – ٣١٧ – ٥٠٥ ، ٦ / ٢٢٦ ، والطيالسي ج ( ٥٢٠ و ٨٨٤ ) ، والسيوطي في الجامع الصغير ، ٢ / ١٦٤ ، وهو صحيح .

(٤) ابن كثير، ٣ / ٥٢

(٥) الزمخشرى الكشاف، ٢ / ٦٧٢ .

## ٤ - إبليس والرسل

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [١] .

يعلق ابن كثير على قصة الغرانيق وما قيل فيها على ألسنة المفسرين قائلاً : « ولكنها في طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح .. قال ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم ، فلما بلغ هذا الموضع ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٢] قال : فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجي ، قالوا : ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ .. ﴾ [١] .

وقال ابن أبي حاتم بسنده [٣] كذلك عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ، ولكنه لايذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر ، وكان رسول الله ﷺ اشتد عليه مناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم، فكان يتمنى هداهم .

فلما أنزل الله سورة النجم قال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [٤] ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال : وإنهن لهن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى ، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا : محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد ، وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك ،

---

( ١ ) سورة الحج آية ٥٢ .

( ٢ ) سورة النجم الآيات من ١٩ - ٢٠ .

( ٣ ) وأخرجه كذلك البزار والطبراني وابن مردويه .

( ٤ ) سورة النجم الآيات من ١٩ - ٢١ .

غيـر ان الوليـد بن المغيـرة كان رجلاً كبيراً فرفـع مـلء كفـه ترابا فسجد عليـه ، فعجب الفريقان – كلاهما – من جماعتهـم فى السجود لسجود رسول الله ﷺ .. إلخ .. : وهـذا – ايضا – مرسل ، وكـذلك مـا ذكـره القصـاص واصحاب المغازى والسـيـر: «وكلها مرسلات ومنقطعات» .

وقد ذكر البخارى فى كتاب التفسير ، باب : «فاسجدوا لله واعبدوا» حديثاً جاء خاتمة لما رواه ابن ابى حاتم عن ابن شهاب ، فرفع الحديث إلى ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : «سجد النبى ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» [1] .

وروى عن عبد الله – هو ابن مسعود – رضي الله عنه قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة ، والنجم ، قال : «فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف» [2] .

علق الكرمانى على من قال بان سجود المشركين كان لما القى الشيطان فى اثناء قراءة رسول الله ﷺ قائلاً: لا صحة له عقلاً ولا نقلاً [3] .

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح ان ما جاء فى قصة الغرانيق له أصل؛ لانه روى من ثلاثة طرق كلها مراسيل، ولكن منها ما هو على شرط الصحيح ، ولكنه آثر تأويل القصة ؛ وأحال اخذها على ظاهرها ؛ لانه يستحيل ، عليه الصلاة والسلام، أن يزيد فى القرآن – عمداً – ما ليس منه ، وكذا سهواً ، إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته ؛ وللعماء تأويلات عديدة منها القوى ومنها ما لا يصح ، من ذلك ان ما جرى كان فى سنة من النبى ، ﷺ ، اصابته ؛ فلما علم بذلك احكم الله آياته .

وبعضهم قال بان الشيطان الجاه ﷺ لما قال ، وهو مصادم للعصمة والنبوة من كل وجه؛ فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقى لاحد قوة فى طاعة ؛ وقال آخرون ان ما ذكره النبى كان على سبيل التوبيخ للكفار ، واخذ بهذا الأخير القاضى عياض فى «الشفاء» ، والباقلانى .

---

(١) ، (٢) انظر الفتح ٤ ٨ / ٤٨٠ كتاب التفسير حديث ٤٨٦٢ – ٤٨٦٣ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ٨ / ٤٨١ .

غير أن الحافظ ذكر وجهاً وصفه بالقوة والاستحسان ، وهو أن الشيطان تحين سكتة من سكتات النبي ﷺ فنطق بما نطق ، بعد أن حاكى صوت النبي ونغمته ، وتبعه فى استحسانه ابن العربي وعزا ذلك للطبرى [1] ؛ وهو وجه لا يخلو من نقد وضعف لما فيه من تسلط عدو الله على نبي الله ؛ وقدرته على التمثيل والوحي مما يقدح فى الكتاب، ثم أنى له ذلك والله من يبلغ على لسان نبيه المعصوم!!

وقد برر الزمخشرى هذه الرواية مصاحباً لمن يثبتها فيقول: «إن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت، مكن الله الشيطان ليلقى فى أمانيهم مثل ما ألقى فى أمنيتك، إرادة امتحان من حولهم، والله ، سبحانه ، له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن، ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد فى عقاب المذنبين. [2] والتساؤل الذى يرد على الزمخشرى أنه من قال أن ما يفعله الشيطان تمكين من الله له ، ثم هل يمكن الله لأعدائه من أوليائه ؟ وما فائدة هذا التمكين إذا كان الله سينسخ ما يلقى الشيطان - الذى مكنه من قبل - ويحكم آياته؛ معلناً قدرته وعظمة علمه وخلقه وأمره ؟!!..

ادعى صاحب «الانتصاف» أن مجموع طرق هذا الحديث يقوى بعضها بعضاً ، وعلق على ابن عياض حيث قال: إن من ذكر من المفسرين وغيرهم - أى لهذه الرواية- لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب إلا رواية البزار.

وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى ما ذكره ، وفيه ما فيه مع وقوع الشك ، قلت : أما ضعفه فلا ضعف فيه أصلا . فإن الجميع ثقات ، وأما الشك فيه ، فقد يجئ تأثيره ولو فرداً غريباً، لكن غايته أنه يصير مرسلاً، إنما هو حجة عند عياض وغيره ممن يقبل مرسل الثقة، أما هو حجة إذا اعتضد عند من يرد المرسل ، إنما يعتضد بكثرة المتابعات ، بتتبع ثقة رجالها.

وأما طعنه فيه اختلاف الألفاظ ، فلا تأثير للروايات الضعيفة الواهية فى الرواية القوية. فيعتمد من القصة على الرواية الصحيحة ، أى يعتمد على الرواية المتابعة، وليس فيها ولا فيما تابعها اضطراب ، والاضطراب فى غيرها ، فيكفى لأنه ضعيف

---

(١) الفتح ٨ / ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) الزمخشرى: الكشاف ٣ / ١٦٥

برواية الكلبي، ويكفي ما عداها ؛ وأما طعنه فيه من جهة المعنى، فله أسوة كثيرة من الأحاديث الصحاح التي لا تؤخذ بظاهرها، بل يرد بالتأويل المعتمد إلى ما يليق بقواعد الدين »[1] .

ومع أن هذا المصنف يأخذ بالظاهر دائما وينقد القائلين بالمجاز والتأويل ، إلا أنه هنا بعد أن أثبت الحديث؛ قبل التأويل.

لقد آثرت ذكر ما سبق لبيان أن سيلاً من الروايات تزاحم على الشغب وتشويه هذا الدين ؛ وخاض العلماء في معميات من الخرافة وصار للهزل سوق ؛ وخاض الجميع في التفسير والتأويل والتصديق والتكذيب لمثل هذا الكلام .. ولا تفسير لذلك عندي إلا تضييق الحكام على العلماء ، فحرموهم من ممارسة حرية التفكير في السياسة أو الإصلاح الاجتماعي أو الاقتصادي أو حتى الديني في كثير من الأحيان ، فلم يبق لهم إلا هذه الشقشقات الغريبة على الدين والإغراق في اللفظية ، التي أدت بدورها إلى الوقوف عند القشور ، أو تعمد تحقيق الخرافة ثم تأويلها !! ..

وأحياناً يذكر المفسرون تهافت مثل هذه الروايات ، فاسمع البغوي يتسائل قائلاً في تفسيره : « كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله ، تعالى ، لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ؟! .. »[2] ونحن معه نتسائل ولا نجد إجابة سوى أن إغراقاً وسيلاً من المفتريات قد داخلت الحديث، ومع أن المحدثين تمكنوا من نقدها ، إلا أن هناك ما يحتاج للنقد بشدة في ضوء منهج النقد الداخلي للنص .. أو نقد المتن الذي عرفه علماء الحديث وأصّلوا له، ولكنهم لم يستخدموه بكثرة لتنقية حديث رسول الله ، ﷺ ، من كثير من النصوص التي لا تصمد للنقد ، إن عرضت على الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، أو على أصول التوحيد والدين ؛ أو ما اشتهر عن الصحابة ، أو ما صح من قواعد العقل ، حيث أن العقل ، الصريح لا يتناقض - إن سلمت أدواته - مع النقل الصحيح ، والله أعلم .

* * *

---

(١) المصدر السابق، نفسه بالهامش.

(٢) ابن كثير ٣١ / ٢٥٤ ، والزمخشري ٣٣/١٦٤.

## ٥ - إبليس وعيسى

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾ (١) .

اى عوذتها بالله عز وجل من شر الشيطان ، وعوذت ذريتها وهو ولدها عيسى عليه السلام ، فاستجاب الله لها ذلك (٢) . وأعيذها بك : أمنعها واجيرها بحفظك ، من العوذ، وهو أن تلتجئ إلى غيرك وتتعلق به . يقال : عاذ فلان بفلان إذا استجار به ؛ ومنه العُوذَة ، وهي التميمة والرقية (٣) .

ذكر البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من بني مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان ، غير مريم وابنها . ثم يقول ابو هريرة ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾ (١) .

وقال الحافظ ابن حجر : قوله : «غير مريم وابنها» . تقدم في «باب إبليس» بذكر عيسى خاصة ، فيحتمل أن يكون هذا بالنسبة إلي المس ، وذاك بالنسبة إلى الطعن في الجنب ، ويحتمل أن يكون ذاك قبل الإعلام بما زاد ، وفيه بعد لأنه حديث واحد ، وقد رواه خلاس عن أبي هريرة بلفظ «كل بني آدم قد طعن الشيطان فيه حين ولد غير عيسى وامه ، جعل الله دون الطعنة حجاباً فاصاب الحجاب ولم يصبهما» (٤) !! . .

والذى يظهر أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ؛ والزيادة من الحافظ مقبولة، واما قول بعضهم يحتمل أن يكون العطف التفسيرى ، والمقصود-الابن ، كقولك : اعجبنى زيد وكرمه فهو تعسف شديد (٥) .

وقد طعن الزمخشرى في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال : «إن صح هذا الحديث فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها ، فإنهما كانا معصومين ، وكذلك من كان في صفتهما ، لقوله تعالى ﴿ لأغوينهم اجمعين إلا

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٦ .

(٢) ابن كثير ؛ ١ / ٣٨٥ .

(٣) انظر صفوة البيان لمعاني القرآن ، ص٧٩ .

(٤) البخارى ؛ ٦ / ٥٤١ حديث ( ٣٤٣١ ) ، وكذلك ، ٨ / ٦٠ حديث ٤٥٤٨ ؛ ورواه مسلم واحمد .

(٥) الفتح ؛ ٦ / ٥٤٢ .

عبادك منهم المخلصين ﴾ قال : واستهلال الصبى صارخاً من مسّ الشيطان تخييل لطمعه فيه ، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول : هذا ممن اغويه » [1] .

واما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا ؛ ولو ملك إبليس على الناس نخسهم ؛ لامتلأت الدنيا صراخاً [2] !

ورغم تعرضنا لهذا الحديث فيما بعد .. إلا ان هناك دائماً من يرى قبولاً ورضاً عندما تصح لديه رواية تدعو للتجسيم أو التشبيه او تترك المسلمين في بلبلة وحيرة، ثم يأتي فيتفنن في الجمع بين المتقابلات او يروج للآراء الفاسدة المتناقضة !.. فيجوز لديه الحق والباطل والتوحيد والشرك والإيمان والكفر ، ويؤخر العقل وأسس الشرع لما بعد ذلك .

ومن ذلك قول صاحب « الانتصاف » عن الحديث : « اما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته، فلا محيص له إذاً عن تعطيل كلامه، عليه السلام، بتحميله ما لا يحتمله جنوحاً إلى اعتزال منتزع في فلسفة منتزعة في إلحاد ظلمات بعضها فوق بعض .. وما ارى الشيطان إلا طعن في خواصر القدرية حتى يتخيل، كما قال في هذا الحديث، ثم نظره بتخييل ابن الرومي في شعره؛ جراءة وسوء أدب ، ولو كان معنى ما قاله صحيحاً ، لكانت هذه العبارة واجباً أن تجتنب، ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن – على بعد – ان يكون تمثيلاً .

وما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل ، إلا الاعتقاد الضئيل وارتكاب الهوى الوبيل » [3].

وهذا الرجل اشعرى يدين بالجبر وينبذ الاعتزال الذى يتبنى فكرة التوحيد والعدل وحرية الإنسان في الاختيار والفعل؛ ومع ان كلامه في مجمله ضرب من الهذيان والسباب؛ إلا ان لنا عليه تعليق بعد ذلك . ولو علم ان الدين فوق المعتزلة والاشعرية وصراع المذاهب ، وانه مسئول عما يقول يوم القيامة ، لما قال ما قال ، ومن الذى طعن الشيطان في خاصرته ، الذى يريد لدينه أن يبرأ من الخرافة .. ولتوحيده ان يسلم من الشرك وافعال الشيطان أم من يجعل الشيطان شريكاً لربه؟!!..

---

(١) انظر الزمخشرى؛ الكشاف؛ ١ /٣٥٧.

(٢) انظر فتح البارى ؛ ٨ / ٦٠ ، والزمخشرى ؛ ١ /٣٥٧.

(٣) الزمخشرى: الكشاف ؛ ١ /٣٥٦.

# الفصل الرابع

# في ذكر الجن وثوابهم وعقابهم

**ويشتمل على نقطتين:**

١ - الجن وثوابهم وعقابهم .

٢ - الجن قبل وبعد البعثة .

## ١ - الجن وثوابهم وعقابهم

عقد البخارى فى صحيحه باباً عن الجن، ومن قبل عقد باباً عن إبليس وجنوده؛ وذلك لأهمية الموضوع فى الإسلام عقيدة ومعرفة .. وبنى الحافظ الكبير ابن حجر العسقلانى على ذلك مقالته عن الجن ، ورأى علماء المسلمين وغيرهم فى وجودهم وطبيعتهم ؛ ومصادر معرفتهم ، وتكليفهم ؛ وحياتهم ، وجزائهم ..

قال الإمام البخارى : باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم . لقوله : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)** ﴾ [١].. وقال مجاهد ﴿ **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا** ﴾ [٢] : قال كفار قريش : الملائكة بنات الله وأمهاتهم بنات سروات الجن ، قال الله ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)** ﴾ [٣] : سيحضرون للحساب . ﴿ **جُندٌ مُّحْضَرُونَ (٧٥)** ﴾ [٤] عند الحساب .

– وروى بسنده عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة الانصارى عن ابيه انه اخبره ان أبا سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال له : **«إنى أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت فى غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فأرفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ»** [٥] .

وتتضمن ترجمة البخارى شيئين هو إثبات وجود الجن وكونهم مكلفين .

– **أمـــا الأولى** : وهو إثبات وجودهم : فقد اختلف فيه أهل الملة مع الزنادقة والفلاسفة والقدرية الذين انكروا وجودهم راساً ، وهذا هو ما ذكره الجوينى إمام

(١) سورة الانعام الأيات ١٣٠ – ١٣٢ .

(٢) سورة الصافات الأية ١٥٨ .

(٣) سورة الصافات : نفسها .

(٤) سورة يس الأية ٧٥ .

(٥) البخارى ، ٦/ ٣٩٥ حديث ٣٢٩٦ .

الحرمين فى كتابه «الشامل» .. وهو يقصد الفلاسفة غير الإسلاميين أصحاب فلسفة الإشراق وعلى رأسهم الكندى والفارابى وابن سيناء ، لأن هؤلاء يؤمنون بوجودهم ويعلمون أن إنكاروجود الجن جحد لكتاب الله وما ينبغى أن يعتقده المسلم ضرورة .. ولكن الذى يحير هو من يقصد الإمام الجوينى ت ٤٧٨ هـ بالقدرية؟!.. هل هم المعتزلة أم الجهيمية أم منكروا القدر الذين يقولون أن الأمر انف ، وإنما هى أدوار موزعة حسب ما قضى الله وقدر، والنتائج معروفة سلفاً وأهل الجنة والنار ماضون لما قدره الله عليهم .. أم يقصد بالقدرية أهل العدل والتوحيد من الزيدية والمعتزلة، وكل من قال من السلف بحرية الإنسان والاستطاعة قبل التكليف ، والتكليف قدر الوسع والطاعة .. من يقصد الجوينى من كل هؤلاء ؟!..

ويعقب الجوينى على مقالته : ولا يتعجب ممن أنكر ذلك من غير المشرعين ، إنما العجب من المشرعين مع نصوص القرآن والأخبار المتواترة قال : وليس فى قضية العقل ما يقدح فى إثباتهم . قال : وأكثر ما استروح إليه من نفاهم حضورهم عند الإنس بحيث لا يرونهم ولو شاءوا لأبدوا أنفسهم ، قال : وإنما يستبعد ذلك من لم يحط علماً بعجائب المقدورات [1] .

وظاهر حديث الجوينى أن هناك من الإسلاميين من ينكر وجود الجن مع أن النصوص متواترة فى شأنهم .. ومع جواز وجودهم وإمكانه عقلاً .. وعلة المنكرين هو أن الإنسان لايراهم مع وجودهم !.. وهو جائز لأنهم من عنصر النار ، والنار عنصر لطيف .. وكما لا نرى الملائكة لا نرى الجن .. ولا غرابة فى ذلك .

وقد أشار القاضى أبو بكر الباقلانى صاحب كتاب «التمهيد» ت ٤٠٣ هـ إلى أن من هؤلاء من يثبت وجودهم وينفيه .. فهم مترددون .. كما أن منهم من يثبتهم وينفى تسلطهم على الإنس [2] .

ويبدو أن القاضى من القائلين بتسلط الجن على الإنس ، ولا أدرى ما النص الذى صرح فيه الله ، عز وجل ، فى محكم التنزيل بأنه سلط على بنى آدم الجن ؟ فتركوا ما خلقوا له من طاعة وعبادة ، واشتغلوا بالتسلط على بنى آدم إغواء ووسوسة !!

---

(١) ، (٢) الفتح ٦١ / ٣٩٦

أما عن طريق إثباتهم هل هو السمع أم العقل أم هما جميعاً .. فقد أشار إلى ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي الشهير ت : ٤١٥ هـ فقال : «الدليل على إثباتهم السمع دون العقل ، إذ لا طريق إلى إثبات أجسام غائبة ؛ لأن الشئ لايدل على غيره من غير أن يكون بينهما تعلق ، ولو كان إثباتهم بإضطرار لما وقع الاختلاف فيه ، إلا أنا قد علمنا بالاضطرار أن النبي ﷺ كان يتدين بإثباتهم ، وذلك أشهر من أن يتشاغل بإيراده» [١] .

فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم به عن هذا الظاهر ، فهو كافر مشرك حلال الدم والمال [٢] .

يقول ابن حزم : «لم ندرك بالحواس ، ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم أيضا بضرورة العقل ، لكن علمنا بضرورة للعقل إمكان كونهم ؛ لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها ، وهو ، عز وجل ، يخلق ما يشاء ؛ ولا فرق بين أن يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء ، فيسكنهم الأرض والهواء والماء ، وبين أن يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء ، فيسكنهم الهواء والنار والأرض ، بل كل ذلك سواء ممكن في قدرته» [٣] .

ويشير ابن حزم إلى أن معرفة وجود الجن مما يجوز عقلاً لإمكانه ؛ وهو كلام نظري إذ كيف يستدل العقل على هذا الإمكان بدون سمع؟!.. وهو يخلط بين الممكن في حق الله والممكن في عقولنا.. أما بالنسبة له فهو لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء وهو خلق الاكوان بعجائبها .. وأما بالنسبة لنا فوجود الجن او عدم وجودهم فهو قضية نص وسمعيات ، وقد جاء الوحي بإثبات وجودهم.. وكان النبي يدين بذلك .

والصواب ما ذكره بعد ذلك : «لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله ، عز وجل ، بصدقهم ، بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع ، بنص الله ، عز وجل ، على وجود الجن في العالم ، وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم» [٤] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن حزم : الفصل ٥ / ١١١ .

(٣) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥ / ١١١ .

(٤) المصدر السابق .

أما في صفة الجن وطبيعتهم فيقول القاضى ابو بكر الباقلانى قال بعض المعتزلة : الجن أجساد رقيقة بسيطة ، ووافق الأشاعرة المعتزلة في مقالتهم : وهذا عندنا غير ممتنع إن ثبت به سمع .

ونقد ابو يعلى بن الفراء المعتزلة فقال: الجن اجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ، يجوز ان تكون رقيقة وأن تكون كثيفة خلافاً للمعتزلة في دعواهم أنها رقيقة ؛ وإن امتناع رؤيتنا من جهة رقتها .

ولكن الحافظ ابن حجر رد عليه بأن الرقة ليست بمانعة عن الرؤية ، ويجوز ان يخفى عن رؤيتنا بعض الأجسام الكثيفة إذا لم يخلق الله فينا إدراكها .. وهذا الكلام غيرمفهوم ، ومليئ بالغموض .. إن الحياة خلقها الله ، عز وجل ، وخلق قوانينها .. فهل من قوانين الإدراك والإحساس عدم رؤية المخلوقات الكثيفة ورؤية المخلوقات اللطيفة كالهواء مثلاً ؟!

وما رواه البيهقي صاحب «الأسماء والصفات» ت ٤٤٩هـ عن الإمام الشافعي ت ٢٠٥ هـ في كتابه «مناقب الشافعي» من افضل ما قيل في رؤية الجن حيث يقول : «من زعم انه يرى الجن ابطلنا شهادته إلا ان يكون نبياً .. وهذا من اجود ما رأيت من آراء في المسألة» [1] .

ولكن الحافظ يعلق على مذهب الشافعي في المسألة فيقول : «وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها ، وأما من ادعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتطور على صورشتي من الحيوان فلا يقدح فيه ، وقد تواردت الاخبار بتطورهم في الصور» .. وهذا الكلام مردود عليه بدوره ؛ لأن الجن في صور الحيوان لا يمكن معرفة هويتهم وأنهم جان .. إلا بالتخمين والتنجيم !

فما يصوره لنا الحافظ هو الجنون المعقول او معقولية الجنون ، وبكل بساطة علينا تقبله بلا نص أو قليل من عقل .. فما هي تلك الاخبار التي تواردت بذكر تطورهم في الصور؟!!

---

(١) وقد نقله ابن كثير كذلك في مقدمة تفسيره عند تفسيره للفاتحة بالجزء الاول.

وقد كان أقرب لأصول الدين والمعقول ما ذكره علماء الكلام ، الذين قال بعضهم بأنه يستحيل انتقالهم من صورتهم التي خلقهم الله عليها ، فقالوا بأن الأمر مجرد تخييل فقط . يقول ابن حزم : « وإذا أخبرنا الله ، عز وجل ، أننا لانراهم – في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ يراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (١) – فمن ادعى أنه يراهم أو رآهم فهو كاذب ، إلاأن يكون من الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، فذلك معجزة لهم ، كما نص رسول الله ﷺ انه تفلت عليه شيطان ليقطع عليه صلاته ، قال : « فاخذته فذكرت دعوة أخي سليمان ، ولولا ذلك لاصبح موثقاً يراه أهل المدينة ، أوكما قال ، عليه السلام ، وكذلك في رواية عن أبي هريرة للذى راى إنها هى معجزة لرسول الله ﷺ وسلم ، ولاسبيل إلي وجود خبر يصح برؤيتهم ، حتى بعد موت النبي ﷺ وسلم ، وإنما هى منقطعات ، أو عمن لا خير فيه » (٢) . .

وهذا راى مقبول أحسن فيه ابن حزم ، وهو محدث وفقيه ومتكلم جاء في وقت كان ملوك وأمراء الطوائف في الأندلس يتصارعون ويتنابذون فيما بينهم على أشبار من الأرض ، وتركوا الجهاد وراءهم ظهرياً وقربوا أهل الخرافات والبدع ، وأبعدوا أصحاب الدين والعقل والورع ، فكان ما كان من سقوط دولة الإسلام ، لما سقطت دولة القرآن والإيمان . . وهذا حالنا الآن إن لم نتدراك الأمر ولم نقم كتاب الله بيننا ، وطرحنا الخلاف والتعصب والطائفية والجهل ، وتآلفنا على تصور واحد للوحدة الإسلامية يجمعنا .

وقال فريق آخر من المتكلمين ، حاول استرضاء القائلين بانتقالهم في صور الإنس والحيوانات ؛ بانهم يتنقلون ، لكن لا باقتدار على ذلك بل بضرب من الفعل إذا فعله انتقل ، كالسحر وأبدوا رأيهم بالأثر الصحيح الذى أخرجه ابن أبي شيبة . . أن الغيلانى ذكروا عند عمر فقال : « إن أحداً لا يستطيع أن يتحول عن صورته التي خلقه الله عليها ، ولكن لهم سحرة كسحرتكم ، فإذا رأيتم ذلك فاذنوا » . (٣)

وهذا الكلام فيه إثبات للنص والمعقول ، ثم نقض له عن طريق كلام لا دليل عليه

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) ابن حزم : الفصل ٥ / ١١١ ، ١١٢ .

(٣) المصدر السابق : الفتح ٦١ / ٣٩٦ .

من نص أو معقول .. ولعل هناك بواعث تاريخية واجتماعية وشعبية هي التي شاركت في تدعيم تصور ما للجن في عالم الوجود ، ويمكن بحث ذلك في الأدب العربي الخيالي ، في الف ليلة وليلة وحكايات وروايات العرب عن الجن وصنيعهم ، وهو ليس موضوع بحثنا الآن .

وقد ذكر الأشعري في كتابه « المقالات » تساؤلاً عن حقيقة رؤية الشياطين، وإجابة أهل الإسلام عليه فقال :

واختلفوا في الشياطين : هل يُرون في الدنيا أم لا؟

( ١ ) فقال قوم : لا يجوز؛ إلا أن يريهم الله، سبحانه ، نبياً ، أو يجعل رؤيتهم علماً ودليلاً على نبوة نبي، وقد يقدر، سبحانه، أن يُري عباده الملائكة والشياطين من غير أن يقلب خلقهم، وقد يرى الإنسان الملائكة في حال المعاينة.

( ٢ ) وقال قائلون : لا يجوز أن يُرَوا بحال ؛ إلا أن يقلب الله خلقهم ويخرجهم عما هم عليه.

( ٣ ) وقال قائلون : جائز أن يُروا في الدنيا من غير أن يقلب الله خلقهم ، ومن غير أن يجعل ذلك دليلاً على نبوة نبي.

( ٤ ) وذهب إلى إنكار الجن والشياطين ذاهبون، وزعموا أنه ليس في الدنيا شيطان ولا جن؛ غير الإنس الذين نراهم [١] .

يقول ابن حزم : « وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم وعنصرهم النار ، كما أن عنصرنا التراب .. والنار والهواء عنصران لا لون لهما ، وإنما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ما تشتعل فيه من الحطب ، والكتان والأدهان وغير ذلك ، ولو كانت لهم ألوان لرأيناهم بحاسة البصر ؛ ولو لم يكونوا أجساماً صافية رقاقاً هوائية ؛ لأدركنا بحاسة اللمس » [٢] .

واختلف العلماء في أصل الجن فقال بعضهم إنهم ولد إبليس ؛ فمن كان كافراً

---

( ١ ) الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ٢ / ١١٤ .

( ١ ) ابن حزم : الفصل ١ ٥ / ١١٢ .

سمى شيطاناً ، وقال آخرون : إن الشياطين فحسب هم أولاد إبليس ، أما من عداهم فليسوا من ولده .. والصواب أنهم نوع واحد خلقوا مرة واحدة ويموتون مرة واحدة ، وإبليس منهم بنص القرآن ولكنه كفر وعصى وتكبر فسمى شيطاناً ، وكل من ندَّ عن الإيمان والطاعة منهم سمى كذلك .

كما اختلف المتكلمون حول كون الملائكة من الجن أم ليسوا بجن ..

( ١ ) فقال قائلون : هم جنٌّ ؛ لاستتارهم عن الأبصار ، ومن هذا قيل للجنين إنه جنين .

( ٢ ) وقال قائلون : ليسوا بجن [١] .

أما هل هم مكلفون أم لا ؟ .. : « اتفق أهل القبلة من السلف والمعتزلة بأنهم مكلفون بنص الكتاب ، قال عبد الجبار : لانعلم خلافاً بين أهل النظر فى ذلك . إلا ما حكى زرقان عن بعض الحشوية أنهم مضطرون إلى أفعالهم وليسوا بمكلفين .. وهذا الرأى من الحشوية يتناسب مع طبيعة تفكيرهم فى الدين وميولهم إلى الشذوذ عن أهل القبلة والابتداع فى الدين أصولاً وفروعاً .. حتى إنه لا يحكى الشاذ من التشبيه والتجسيم أو الجبر على الله إلا من هؤلاء القوم . يقول ابن حزم : « إنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة ، موعودة متوعدة متناسلة يموتون » [٢] .

والدليل على أنهم مكلفون قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٣] ، فهم مخلوقون للطاعة والامتثال لشرع الله ودينه ..

قال الأشعرى واختلف الناس فى الجن : هل هم مكلفون أم مضطرون ؟

( ١ ) فقال قائلون من المعتزلة وغيرهم : هم مأمورون منهيون ، قد أمروا ونهوا ؛ لأن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [٤] وإنهم مختارون .

---

( ١ ) انظر الأشعرى : المقالات ، ٢ / ١١٥ .

( ٢ ) ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل ؛ ٥ / ١١١ .

( ٣ ) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

( ٤ ) سورة الرحمن آية ٣٣ .

( ٢ ) وزعم زاعمون أنهم مضطرون مأمورون ؛ وكذلك اختلافهم في الملائكة وفي أنهم مأمورون أومختارون على سبيل اختلافهم في الجن [١] .

وفي قصة الجن قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾ [٢] . فهم مكلفون وجوباً ، ومجازون على عملهم حقاً وصدقاً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) ﴾ [٣] .

فهل من يدعي بعد ذلك أنهم مخلوقون للوسوسة والإغواء ومضطرون في أفعالهم وأنهم جلبوا على الشر عقلاء مصيبون ؟!.. قال القاضي عبد الجبار : « الدليل للجماعة ما في القرآن من ذم الشياطين والتحرز من شرهم وما أعد لهم من العذاب ، وهذه لاتكون إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي ، مع تمكنه من أن لا يفعل والآيات والأخبار الدالة على ذلك كثيرة جداً » .. وهذا صحيح تماماً .

فهل يكون من الجن أنبياء بعثوا فيهم ؟ .. اختلف العلماء فمنهم من أجاز ومنهم من منع ذلك ؛ ولكن جمهور العلماء على أن رسل الإنس رسل للجن في نفس الوقت، أما ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ [٤] فمحمول على أن رسل الجن يسمعون الوحي من رسل الجن ويبلغون به قومهم ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) ﴾ [٥] .

ولكن ابن حزم [٦] له تفصيل في المسألة هو أن لهم رسل منهم ، حتى جاء

---

( ١ ) الأشعري : المقالات ، ٢ / ١١٣.

( ٢ ) سورة الأحقاف الآيات ٢٩ - ٣٢ .

( ٣ ) سورة الجن : ١ ، ٢ .

( ٤ ) سورة الأنعام : الآية ١٣٠ .

( ٥ ) سورة الأحقاف : الآية ٣٠ .

( ٦ ) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٤ / ٤٥ .

النبى، ﷺ ، فصار نبياً للإنس والجن جميعاً .. وهذا من خصائص البعثة المحمدية انها لجميع الخلق، وكان كل نبى يأتى لقومه خاصة .. قال الإمام الجوينى [1] في «الإرشاد» : «وقد علمنا ضرورة أنه ﷺ ادعى كونه مبعوثاً إلى الثقلين» .

أما عن طبيعة ماكلفوا به ، فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام ، وأما ماعداه من الفروع فاختلف فيه ، لما ثبت من النهى عن الروث والعظم وأنهما زاد الجن ، وسيأتى فى السيرة النبوية حديث أبى هريرة وفى آخره : «فقلت ما بال الروث والعظم؟ قال هما طعام الجن» الحديث ، فدل على جواز تناولهم للروث ، وذلك حرام على الإنس [2] .

هذا نص كلام الحافظ ، فهل ترى فيه شيئاً معقولاً يرضى الله ورسوله ؟! هل يتصور مسلم عاقل ان الله جعل فى نجاسات الإنسان طعاماً لمخلوقات اخرى ، عاقلة مكلفة من طبيعة غير طبيعة الإنسان ولا تتفق معه فى خلق أو أصل أوتكوين أو عناصر طينية .. أن تكون النجاسة طعامها ، والله ، عز وجل ، تعبدها بالطهارة وبماتعبد به الإنسان .. من الذى خصص التكليف وقيده فى الأصول دون الفروع .. هل هذا الحديث وأمثاله يصلح ان يقيد تكليفاً ؟!

ما أريد التأكيد عليه أن فى تراثنا الفكرى والدينى ، أشياء عزيزة نعتز بها وفكراً - يبدو أنه فكر - لا يجوز أن يطرح من أصله لغثاثته ، اما ان يوجد من يجعل منه ديناً فهو ماجنى على نفسه وأمته ، وربنا حسبنا وحسبه .

غاية ما فى الموضوع أن الكلام عن اكل أو شرب الجن مجرد اجتهاد لا دليل عليه، وماورد فى السنة عن أنهم يأكلون مع الإنسان ، إن لم يسم - كقوله ﷺ : «مازال الشيطان يأكل معه فلما سمى استقاء ما فى بطنه» [3] هذا عن الذى أكل أمامه ولم يسم إلا فى آخر الطعام .. وهو مجرد تصوير لاينبغى ان يأخذ على حقيقته، لانه يعنى ان الشيطان متلبس بالإنسان وهو ما لا يحسه احد ولو كان يأكل

---

(١) الجوينى : الإرشاد ، ص ٢٩٦ .

(٢) الفتح ، ٦ / ٣٩٧

(٣) رواه أبو داود ، ٣ / ٣٤٧ حديث رقم ( ٣٧٦٨ ) فى ( كتاب الاطعمة ، باب التسمية على الطعام ) ؛ وأبو داود ؛ ٣/ ٣٤٧ حديث ( ٣٧٦٨ ).

معه لشعر بذلك .. واتفاق الطبيعتين بين ما هو طين ونار فى الأكل من طعام الأرض ونقض لحديث الروث والعظام وروى ابن ماجه عن جابر عن رسول الله ، ﷺ ، قال : «لا تأكلوا بالشمال ، فإن الشيطان يأكل بالشمال» [1] .

وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله ، سمع النبى ، ﷺ ، يقول : «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان . لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر الله عند طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء» [2] ، وفي حديث الأعرابى والجارية .. قال : «إن الشيطان ليستحل الطعام الذى لم يذكر اسم الله عليه ، وإنه جاء بهذا الأعرابى يستحل به ، فأخذت بيده ، وجاء بهذه الجارية يستحل بها فأخذت بيدها ، فوالذى نفسى بيده إن يده لفى يدى مع أيديهما» [3] .

وقد نهى النبى ، ﷺ ، عن الأكل والشرب بالشمال تأدباً ومخالفة للشيطان : «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» [4] .

يقول الطيبى : «أى يحمل أولياءه من الإنس على ذلك ، ليضاد به عباد الله الصالحين .. فإن الشيطان يحمل أولياءه على ذلك» .. وقال القرطبى : «ظاهره ان من فعل ذلك تشبه بالشيطان ، وأبعد وتعسف من أعاد الضمير فى شماله على الآكل» .. وصرح ابن العربى بإثم من أكل بشماله ، واحتج بأن كل فعل ينسب إلى الشيطان حرام ..

ولكن ابن حجر يعلق على كلام الطيبى قائلاً : «وفيه عدول عن الظاهر ، والأولى حمل الخبر على ظاهره ، وأن الشيطان يأكل حقيقة ، لأن العقل لايحيل ذلك ، وقد ثبت الخبر به فلا يحتاج إلى تأويله» [5] .

---

( ١ ) ابن ماجه ٢ / ١٠٨٨ ( كتاب الأطعمة ، باب الأكل باليمين ) حديث ( ٣٢٦٨ ) .

( ٢ ) أبو داود ٣ / ٣٤٦ ( كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ) حديث ( ٣٧٦٥ ) ، ومسلم ١٣ / ١٩٠ .

( ٣ ) أبو داود ٣ / ٣٤٦ ، حديث ( ٣٧٦٦ ) .

( ٤ ) مسلم ١٣ / ١٩٠ ( كتاب الأشربة ، آداب الطعام .. ) ، ومسلم فى مسنده

( ٥ ) انظر ابن حجر : الفتح ٩ / ٤٣٣ .

والعقل لا يحيل أن تطعم الجن وتشرب ، ولكن من قال أنهم يطعمون طعام البشر.. ولو كان الجن يأكلون طعامنا لانتهى من الأرض كل مزروع يأكله البشر كما أنه يناقض حديث أنهم يأكلون العظم والروث .. لقد أخطأ الحافظ فى حمله على الظاهر .

روى ابن عبد البر عن وهب بن منبه أن الجن أصناف فخالصهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون ، وجنس منهم يقع منهم ذلك ، ومنهم السعالى والغول والقطرب ..

روى ابن حبان والحاكم : **والجن على ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء ، وصنف حيات وعقارب وصنف يحلون ويظعنون»** [1] ..

كما ذكر العلماء أنهم يتناكحون ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [2] ، ويحاسبون فمنهم من يدخل الجنة وينعم فيها ، ومنهم من يدخل النار ويعذب فيها .

كما اختلف المتكلمون حول هل يجوز أن ينقلب الشياطين فى صور الإنس أو فى غير ذلك من الصور إذا أرادوا ذلك أم لا؟

( ١ ) فقال قائلون : جائز أن ينقلبوا إلى أى صورة شاءوا من الصور ؛ فيكون الشيطان مرة فى صورة إنسان ومرة فى صورة حية .. وهذا ما سنناقشه فيما بعد .

( ٢ ) وقال قائلون من المعتزلة وغيرهم : ذلك غير جائز، ولم يجعل الله سبحانه إليهم أن ينقلبوا متى أرادوا .. وهذا مانراه صواباً وحقاً [3] .

* * *

---

( ١ ) رواه الطبرى والحاكم والبيهقى فى الأسماء عن ثعلبة الخشنى ، وقال السيوطى صحيح ، الجامع الصغير ؛ ١ / ١٤٥ ، والبيهقى : الأسماء والصفات ؛ ص ٤٩٢ .. قال المناوى :.. «صحيح الإسناد» : فيض القدير ٣ / ٣٦٥ ، وابو نعيم : حلية الأولية ، ٥ / ١٣٧ .

( ٢ ) سورة الرحمن آية ٧٤

( ٣ ) انظر ؛ مقالات الإسلاميين؛ ٢ / ١١٤ .

## ٢- الجن قبل الإسلام وبعده

ثبت بالقرآن الكريم تسمع الشياطين على الملأ الأعلى ومحاولتهم استراق السمع وخطف شئ منه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) ﴾ [١] .

وقال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) ﴾ [٢] .

فالقرآن يذكر أن الجن والشياطين يعيشون فى الهواء وطبقات الجو العليا بعيداً عن الأرض ، ولكنهم ينزلون أحياناً إليها ، ومنهم من يحاول استراق السمع على عالم الملائكة أو الاتصال به ، ومحاولة استراق شئ من الوحى ، فما يكون نصيبه إلا الرمى بالقذائف الحارقة والشهب النارية من كل جانب ؛ فتقتله وفى قتله عبره لغيره من مردة الجن الذين يفكرون فى المحاولة مرة أخرى .

أما من يفلح فى خطف شئ من الوحى أو غيب السماوات ، وهو أمر الله فى الأكوان، فجزاؤه الرمى بشهاب مسلط عليه لا يفلته . إذاً لا شئ يفلح الشيطان فى قنصه أو خطفه، وكل ما يلقونه إلى الكهان هو مجرد وهم وتخييل لا أكثر، يظنه الكهان من غيب السماوات وهو ليس كذلك ، وما جاء فى سورة الجن على لسانهم يوضح الصورة أكثر ، ويبين طبيعة هذه العلاقة التى كانت موجودة بين بعض مردة الجن وكهان العرب واليهود قبل البعثة المحمدية وفى زمن الفترة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) ﴾ [٣] .

---

( ١ ) سورة الحجر الآيات ١٦ – ١٨ .

( ٢ ) سورة الصافات الآيات ٦ – ١٠ .

( ٣ ) سورة الجن الآيات ٤ – ٩

هذا النص يصور حالة الجن فى عالمهم بعد عيسى، عليه السلام، وتفشى عقيدة التثليث فى النصارى ؛ فيبين أن بعض شياطين الجن، أو إبليس على وجه الخصوص، ساهم فى تأصيل عقيدة التثليث بين الجن، كما وجد من شياطين الإنس من ينشرها بين الناس، لتشويه نقاء التوحيد ؛ فآمن بعض الجن بما لبسه عليهم هذا السفيه الناشز عن التوحيد ، فلما اهتدوا إلى التوحيد بإيمانهم بمحمد، ﷺ ، ودعوته والوحى المحفوظ المنزل من ربه، جاء اعتذارهم عن زمن طويل كانوا فيه مصدقين للمقالة النكراء ، وما روجه السفهاء منهم بينهم.

فالله ، عز وجل ، منزه عن الصاحبة والولد ، فما حاجته ، تعالى ، للصاحبة أو للولد وهو الغنى ذو الجلال والإكرام المتصف بصفات الكمال؟!.. وكذلك يقول القرآن على لسان الجن أن هذه المقالة جاءت تبعاً لما حسبناه لا يقع من الإنس والجن ، وهو الكذب على الله والشرك به وإلحاق النقص عليه ، تعالى عن تصورهم فيه علواً كبيراً فصدقناهم .

وهذا يجعلنا نقف وقفة مع المنهج الإسلامى فى تصور التوحيد ، فهو قائم على عدم اتباع الأجداد وتقليدهم ، وكذلك التحقق والتثبت فى تلقى الأخبار، فالتصديق بلا تحقيق غرة وغفلة ، وتشجيع للسفهاء والكذبة وناقصى العقول فى ترويج عقائدهم الخرافية والوهمية بين الناس، والتأصيل لها وإحاطتها بهالة من الطقوس والطوطميات التى ما أنزل الله بها من سلطان .

أما عن علاقة الكهان بالجان فيقررونها فى هذه السورة، وكانت قائمة فى الجاهلية.. طمعاً من بعض الكهان فى استخدام الجان، أو ظناً من بعض العرب فى البوادى أن للجان مراكز ومواطن تجمع يتجمعون فيها ، لهم فيها قوة وسطوة فكانوا يعوذ ون بهم ، مما جرأ الجان على الإنسان المتعوذ به ، فمارسوا المحرمات وبثوا الشرك بين الناس بتأثيرهم .

وكان القرآن ونور الدعوة المحمدية والتوحيد ، هو خلاصهم من أسر الجن فاستعاذوا بالله الواحد الأحد القهار مالك الملك ، من شر الشيطان الرجيم وكل مارد لعين من الجن.

اما التسمع على غيب السموات فمع نزول القرآن منع الجن من اماكن التلصص والاستراق وتعقبتهم الملائكة بالتعذيب والإحراق بالشهب والصواعق وصدق الله تعالى حين قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾ [١] .

وقد اختلف المتكلمون قديماً حول هل يخبر الجن الناس بشئ أو يخدمونهم؟ .. على مقالتين :

( ١ ) فقال النظام وأكثر المعتزلة وأصحاب الكلام: لا يجوز ذلك؛ لأن في ذلك فساد دلائل الانبياء، لأن من دلالتهم ان ينبئوا بما نأكل وندخر.

( ٢ ) وقال قائلون: جائز أن يخدم الجن الناس؛ وأن يخبروهم ما لايعلمون [٢].

وانتهى عهد كان الجن يقذفون للكهان - ظناً وإيهاماً - بغيب السموات وما يحدث في عالم الاكوان بين الناس وبينهم ، ولانهم مردة كانوا يبثون لهم الكذب ويختلقونه اختلاقاً ويلقونه إليهم .

اما مع نور الإسلام فسقطت هذه الاوهام والخرافات، واقر الجن بذلك وبينوا أنهم كالإنس تماماً مكلفون بالإيمان والطاعة ، وان الله ابتلاهم بانهم يختارون، ومنحهم القدرة على الاختيار ولم يسلط عليهم من الاعمال شيئاً يمنعهم أو يقهرهم فلا يؤمنون ، فهم عقلاء مستطيعون ، والتكليف واجب في حقهم وداخل في مقدرتهم، قال تعالى في بيان الصورة الكلية لعالم الجن على لسانهم :

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ ﴾ [٣] .

جاء في تفسير الزمخشري أن الشياطين كانت تسترق في بعض الأحوال، فلما بعث رسول الله ﷺ ؛ كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة ؛ حتى تنبه لها الإنس والجن؛ ومنع الاستراق اصلاً .

---

( ١ ) سورة الحجر الآية ٩ .

( ٢ ) انظر الاشعري: مقالات الإسلاميين؛ ٢ / ١١٠ .

( ٣ ) سورة الجن الآيات ٩ - ١٢ .

- وعن معمر: أنه كتب للزهرى: أكان يرى بالنجوم فى الجاهلية؟

قال: نعم . قلت : ارايت قوله تعالى ﴿ وأنا كنا نقعد ﴾ فقال : غلظت وشدد أمرها حين بعث النبى ﷺ .

- وروى الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس، رضى الله عنهما؛ بينما رسول الله ﷺ؛ جالس فى نفر من الانصار إذ رمى بنجم فاستنار ، فقال : ماكنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية؟

فقالوا: كما نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم [(١)].

وقوله: ( ملئت ) دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة؛ وكذلك قوله ﴿ نقعد فيها مقاعد ﴾ أى : كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب؛ والآن ملئت المقاعد كلها، وهذا ذكرما حملهم على الغرب فى البلاد حتى عثروا على رسول الله، ﷺ، واستمعوا قراءته.[(٢)]

فكل شئ فى قبضة الله وتحت سيطرته، والجن اعجز من أن يشتغلوا بغير عبادته، ومن فسق منهم فهو فى شقاء ، كما نجد من فسق أو كفر من بنى آدم فى شقاء وضنك دائبين؛ وهم فى بحث دائم ودأوب عن الهدى والحق والخير ، ومن وفق له بحمد الله ، تعالى ، عليه لما فيه من سعادة الدنيا والآخرة له ، قال ، تعالى ، على لسانهم :

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [(٣)] .

والنجس والرهق يقول فيه الزمخشرى : «اى جزاء ولا رهق؛ لانه لم ينجس احداً حقاً ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما» .

---

(١) مسند احمد ١ / ٢١٨ .

(٢) الزمخشرى: الكشاف ٤ / ٦٢٦ .

(٣) سورة الجن الآيات ١٣ - ١٧ .

وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أى يجتنب المظالم. ومنه قوله ، عليه الصلاة والسلام: «المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأموالهم» [1] .

ويجوز ان يراد: فلا يخاف ان ينجس بل يجزى الجزاء الأوفى، ولا ان ترهقه ذلة ، من قوله ، عز وجل: «وترهقهم ذلة» [2].

أما تفسير قوله تعالى : ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه .

ويجوز أن يكون معناه: وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ، ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم ، لنفتنهم فيه لتكون النعمة سبباً فى اتباعهم شهواتهم، ووقوعهم فى الفتنة [3] .

هذا هو التصور القرآنى لطبيعة الجن وما هم عليه ، على وجه الحقيقة واليقين ، بعيداً عن الوهم والخرافة والأساطير ؛ وهم فى شغل بأمر انفسهم وماجاءهم من الحق على لسان محمد ﷺ ؛ من أن يفتنوا بنى آدم ويضلوهم ، والقرآن بدد ظلام الجهل ووهم الكذب فى العقول ، ولذلك لا يليق بمسلم واعى ؛ يتلقى صفاء ونقاء التوحيد من كتاب ربه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أن يعتقد غير ذلك فى الجن ، فهم عباد أمثالنا مكلفون فى عوالم غيرعالمنا ، ومن اتصل منهم بنا أوكان مارداً ناداً عن مجموعهم ، أو حتى حاول إيذاء الإنسان ، فالله حسبنا من دونه ، وما علينا إلا بالاستعانة بخالقه ، تعالى ، عليه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴾ [4] .

* * *

---

( ١ ) اخرجه ابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد . . وفى كشف الخفا ؛ ٢ / ٣٩٠ ، والبزارح ( ٢١ ) وابن حبان ، ح ( ٢٦ ) ، والحاكم ، ١ / ١١ ، والهيثمى ١ / ٥٤ . . وابن ماجة ، ٢ / ١٢٩٨ ح ( ٣٩٣٤ ) .

( ٢ ) الزمخشرى : الكشاف، ٤ / ٦٢٨ .

( ٣ ) المصدر السابق؛ ٤ / ٦٢٩

( ٤ ) سورة الاعراف الآية ٢٠٠ .

# المبحث الثاني

## أحوال إبليس مع الإنسان

**ويشتمل على ستة فصول:**

**الفصـــل الأول** : افعال إبليس بين الحقيقة والمجاز .

**الفصل الثانـــي** : والله خير حافظاً .

**الفصل الثالــث** : وهم لابد من رده .

**الفصل الرابـــع** : ليس لإبليس سلطان على الحياة .

**الفصل الخامس** : الشيطان يجرى مجرى الدم .

**الفصل السادس** : دولة إبليس .

# الفصل الأول

## أفعال إبليس بين الحقيقة والمجاز

١- هل سحر النبي ﷺ ؟!

٢- هل يعقد الشيطان على قافية المسلم ؟!

٣- هل يبول الشيطان في أذن المسلم ؟!

## المبحث الثانى

## أحوال إبليس مع الإنسان

عقد البخارى باباً عن صفة إبليس وجنوده في كتاب بدء الخلق ؛ وتعود أهمية هذا الباب فى كونه جمع فيه سبعة وعشرين حديثاً عن إبليس وأفعاله وكيفية الاستعاذة به.. وهو يمثل جزء من التصور الإسلامى عن إبليس لابد من بيانه ومعرفته .. وليس المقصود حكاية ما ذكره البخارى من أحاديث فى هذا الباب فقط .. ولكن ذكر موقف العلماء من هذا التصور ووضعه فى مكانه اللائق به .. فكل حديث من هذه الأحاديث يمثل إضافة هامة فى فهم موقف السلف الأول من هذه القضية ، وكيف استقبلوا حديث رسول الله ﷺ فهل كان إبليس قوة خارقة لا حجم لها .. وهل تصوروه مسلطاً على الإنسان حتى على رسول الله ﷺ والوحى .. فقد رووا أنه ﷺ قد سحر ، وأن الشيطان ألقى فى الوحى ما هو شرك خالص .. فهل هذا صحيح ، وإن كان صحيحاً فهل له تأويل وتوجيه عرفه السلف؟!

إن المسلمين ليسوا فى حاجة إلى مزيد من الإرشاد فى قضية الإيمان ولا يعانون نقصاً فى إيمانهم، ولكنهم – حقيقة – يعانون نقصاً فى عقولهم وفهمهم للنصوص ، وفى الحالة الإسلامية نجد محدثين عقولهم من وراء ما يروون ، يحاولون جهدهم تصدير تصورهم وفرضه على التصور الإسلامى بأسسه وخصائصه ومقوماته ، دون مراجعة أو فهم – وهذه الحالة تخص بعضهم – ونجد فقهاء راشدين يزنون الأمور بميزان دقيق يحكمه المعقول والمنقول، والتصور الأساس وما يعرض له من آراء متعارضه ؛ فلا يزيغ بصرهم ولا يضل رأيهم ، فهل نأخذ بما يفرضه علينا المحدثون زاعمين أن من يرد حديثاً لرسول الله ، ﷺ، فقد كذبه ، ومن ثم يحكمون عليه بالزيغ والكفر، وما كذب الفقهاء والناظرون غير رواة كذابين أو فرقاً ضالة إسلامية ، أو غير إسلامية ، شحنت التراث الحديث بما يوافق هواها وآراءها ضاربين عرض الحائط بالقرآن الكريم وما صح وتواتر من سنة النبى ﷺ، وهى تكذبهم قولاً وعملاً .

* * *

# الفصل الأول

## أفعال إبليس بين الحقيقة والمجاز

اعتاد العرب على نسبة كل الأفعال القبيحة للشيطان .. فيقول : فعل شيطانى .. أو الشيطان فعل كذا .. او هذه شيطنه .. اى انها افعال لا تجب في حق بنى آدم .. وذلك لأن الشيطان تجاوز الحد عندما فسق عن امر ربه ، واتى منكراً من القول وزوراً لم يكن لمثله ولا غيره ان ياتيه .

وحملت لغة العرب هذه الروح فنسبت كل قبيح للشيطان ، اى أنها أفعال كان لا ينبغي أن يفعلها سواه .. أو هى منسوبة له ؛ لأنه اول من عصى وفسق .. أو لأنها تماثل افعاله وتجاريها .

ولغة العرب لغة تصويرية وبيانية .. تعتمد فى كثير من تراكيبها على المجاز والكناية والاستعارة والتشبيه ، ولذلك ينبغي حمل كل ما جاء عن الشيطان على هذا الوجه ، فهو إما على سبيل ضرب الأمثال للتقريب والتفهيم او كناية عن .. لا فعلاً له..

وفى ضوء حقائق وثوابت العقيدة والتصور الإسلامى للتوحيد – ذاتاً وصفاتاً – وما ينبغى أن ينسب لله وحده ، يمكن فهم ما جاء فى السنة ، كذلك فقد وردت بعض الأحاديث تشير إلى انه ﷺ سحر .. سحره يهودى اسمه لبيد بن الأعصم واثر سحره فيه .. والسحر باب من أبواب الشيطنة والاستعانة بالشياطين .. فهل ما حدث كان سحراً وهل حدث فعلاً .. وما تفسير ذلك وتوجيهه ، فى ضوء عصمة النبى ﷺ والوحي .. وحفظ الله لكتابه ؟!

كما ان الكتاب والسنة اشارا إلى وسائل كثيرة ، يحفظ بها المسلم نفسه من الشيطان ، فهل بعد ذلك له قدرة على العبث بأمنه وإيمانه ، والتغلغل إلى وجدانه وخواطره .. وزيادة على ذلك ان ياتيه فيعقد على راسه او يبول فى أذنيه !.

ما مدى حقيقة هذه الأفعال .. وهل لها تاويل وتفسير ، ام هى مُسَلَّمٌ بها إلى النهاية؟!

إن الإسلام دين جاء لتحرير قوى الإنسان من سيطرة كهنة الأوثان وأوهام الأصنام،

والعبودية لغير الله .. وكان ثورة على الجهل والخرافات والأساطير .. وما كان لدين جاء لتحريرنا أن يؤصل للوهم والزيف والخرافة ..

وكما حارب الإسلام عبادة غير الله والشرك به ، فصرعها - أصناماً كانت أو مجوسية أو بوذية أو مانوية أو نصرانية - كعقائد باطلة منافية للتصور الإسلامي للألوهية والتوحيد - صرع الإسلام عبادة الشيطان ، وكانت معروفة وأصحابها يقدسون إبليس ، ويعتبرونه إلها من دون الله أو شريكا له ، يتصرف في دولة الشر أو عالم الملكوت أو في الأرض وماعليها .. وهذا هو تصورهم ان الله خلق العالم ، وأوكل الحكم والملك فيه لإبليس وجنوده ، وما أسوأ هذا التصور العاجز القاصر .. وما أقبحه! .. فلا هم عبدوا الله فأخلصوا التوحيد .. ولا كفروا به وجهلوه فعذروا .

ولذلك نوجه حديثنا لكل الاتجاهات الضعيفة التي اصابت الكيان الإسلامي بالشلل والهزال ، وهي تدري أو دون أن تدري .. ماذا يبقى للإسلامي - إن نحن تبعناهم في تصوراتهم المنحلة - من توحيده وعدله .. لقد سلطوا فكراً قاصراً على التوحيد فشحنوه بالتشبيه والتجسيم ، واعتمدوا الجبر في أبواب القضاء والقدر ونسبوا الكفر والمعاصي وفعل الشيطان لله ، عز وجل .. وتمادوا في باطلهم ؛ وكأنه حق لا يرد ! ..

ولذلك رأينا انه من الواجب تحرير العقل المسلم ، من الوهم والزيف حتى تعود الأمة إلى سابق عهدها وحدة واحدة ،شعارها الله غايتنا والقرآن كتابنا والرسول قائدنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا .

نحن لا ننصر مذهباً على آخر ولا فرقة على خصمها ولا اتجاهاً على ما يناقضه، فمعظم تصورات المذاهب الإسلامية صحيحة تماماً ، غير أن تراكم الخلاف حول الصغائر والشكليات والوقوف على الجدل والمغالطي والإيهام اللفظي خلّف لدينا تصوراً فاسداً للسلف، وأحدث ثنائيات، السنة في مقابل الشيعة، والسلف في مقابل الخلف، والاشاعرة في مقابل المعتزلة! .. وهكذا تضخم حول عقائدنا خلاف لا نهاية له حول السفاسف وشقشقات، إهمالها بضخمها والتعرض لها يبعث خلافات قد ماتت أو ما زالت تؤجج نيرانها تحت الرماد .. وطالما ان مصيرنا إلى إحقاق الحق، وتاليف قلوب الأمة حول كتاب ربها وسنة نبيها ، فلا ضير.

## ١ - هل سحر النبى ﷺ ؟!

روى البخارى بسنده عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : « سحر النبى ﷺ ، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما يفعله ، حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال : أشعرت أن الله أفتانى فيما فيه شفائى ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند راسى والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما للآخر : وما وجع الرجل ؟ فقال ؛ مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : فبماذا ؟ قال : مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر . قال : فأين هو؟ قال : في بئر ذروان.

فخرج إليها النبى ﷺ ، ثم رجع فقال : لعائشة حين رجع : نخلها كأنه رءوس الشياطين . فقلت : استخرجته؟ فقال : لا . أما أنا فقد شفانى الله ، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً . ثم دفنت البئر » [١] .

والمقصود بيان أن السحر من الشيطان وأعوانه .. وأهل السنة يجوزون وقوع السحر وأن الساحر يفعل أموراً خارقة للعادة بواسطة كلمات يعلمها يسخر بها الجن .. والمعتزلة ينكرون السحر أصلاً .. ويعتقدون أنه مجرد خيالات باطلة لا حقيقة لها تحدث من بعض الناس ، فتنة لغيرهم وابتلاء واستدراجاً لهم .. وهو كلام يطول شرحه ربما استدركنا عليه فى كتاب آخر عن موقف الإسلام من السحر ..

ويقول الحافظ ابن حجر عندما ذكر هذا الحديث فى كتاب الطب باب السحر حكم الساحر فى الإسلام ، وأنه يقتل إن كان فى سحره ما هو كفر ولم يتب عنه[٢] .. أما ما حدث لرسول الله ﷺ على يد لبيد بن الأعصم ، فيقول فيه : ووجه إيراده هنا من جهة أن السحر إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك .. ويقول ابن القيم : إن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك.

وقد أنكر ابن حزم أن يكون ذلك سحراً وإحالة طبيعة ، وهو مجرد مرض ظن فيه أنه فعل الشئ وهو لم يفعله .. فهو تأثير لقوة الصناعة ، ويتسائل إن كان السحر يحيل الأعيان ويقلب الطبائع فما الفرق بين النبى والساحر ؟! [٣] فالنبى لم يسحر ؛

---

( ١ ) البخارى : ٦ / ٣٨٥ - ٣٨٦ ، حديث رقم ٣٢٦٨ .
( ٢ ) البخارى : ١٠ / ٢٤٦ حديث رقم ٥٧٦٦ .
( ٣ ) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ؛ ٤ / ١٠٤ .

لانه معصوم والمعصوم لا يؤثر فيه سحر لحفظ الله له ؛ ولكنه مجرد فعل اليهودى فاخبر الله نبيه به وعافاه منه ؛ ولو كان ماحدث قد اثر بالفعل فى النبى ، ﷺ ، على سبيل السحر الذى يعتقده بعض الناس لكان قادحاً فى نبوته ﷺ وفى نص الوحى الذى قال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ ﴾ [1] . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [2] ومن تمام حفظ الذكر حفظ النبى ﷺ من كل مكروه وسوء .

وقد وقف علماء الإسلام قديماً حول مفهوم وحقيقة السحر فجاءت اجتهاداتهم على ثلاث مقالات :

١- فقال المعتزلة وغيرهم من اهل الإسلام: السحر هو التمويه والاحتيال وليس يجوز ان يبلغ الساحر بسحره ان يقلب الاعيان ، ولا ان يُحدث شيئاً لا يقدر غيره على إحداثه.

٢- وقال قائلون: يجوز ان يقلب الساحر بسحره الإنسان حماراً، وان تذهب المردة إلى الهند فى ليلة وترجع.

٣- وقال قائلون: السحر ليس على قلب الاعيان، ولكنه اخذ بالعيون، كنحو ما يفعله الإنسان مما يتوهمه المتوهم على خلاف حقيقته [3] .

فاى حال من هذه الحالات كان النبى الحبيب ﷺ المعصوم الطاهر المطهر الذى سلمه الله من كل سوء؟!.

* * *

(١) سورة النجم آية ٣ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) الاشعرى: المقالات ، ٢ / ١١٥

## ٢ - هل يعقد الشيطان على قافية المسلم؟

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عقد ، ويضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليل طويل، فارقد . فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدهُ كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» [١] .

عقد البخارى لهذا الباب عنواناً على النحو التالى : باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ؛ ومن هذا العنوان يفهم ان المقصود به شيطان الجن لا شيطان الإنس وعلى الأغلب إبليس، وأنه يقوم بهذه المهمة كل ليلة ويفعل ذلك مع المؤمنين المسلمين الموحدين، الذين يصلون الليل ويداومون عليه بغية ان يتركوا ما اعتادوا من الصلاة .

وقد استدرك على ما صدر به الباب ابن التين بانه مخالف لظاهر حديث الباب؛ لانه دال على انه يعقد على رأس من صلى ومن لم يصل !.. وكأنه يوسع الدائرة ويبين مدى قدرة وإمكانيات عدو الله فى إغواء عباد الله ، وسيطرته وسلطانه على مالم يجعل الله له عليهم سلطاناً .

وابن حجر يتناول قضية وجوب صلاة الليل من عدمها ، وهل المقصود صلاة العشاء أم الليل ، فى مداخلة تشعرنا بان الامر مُسلَّمٌ به ، وان هذا العدو الذليل الضعيف فى مواجهة متساوية مع الله والإنسان فى صراع الخلاص والتملص من قواه الروحانية الهائلة ، فإن نجح اثابه الله وإن اخفق عاقبة الله ؛ فما ذنب الإنسان فى تسليط ربه لعدوه عليه؟!.. وهل من العدل إن اخفق العبد فى الخلاص من حبائل الشيطان ان يقع فى النيران .. وما مدى صحة الجزاء على هذا التكليف الذى حاول تصويره اتجاه كبير من علماء المحدثين ؛ وليس من فقه فى دينه كمن جهل !!

---

(١) البخارى ٤ / ٢٨٦ حديث رقم ٣٢٦٩ - ومسلم ، وابو داود ، والنسائى ، وابن ماجة وفى موطأ مالك ، واحمد فى مسنده .

ثم هذه العقد التى يعقدها الشيطان فى وقت واحد على أقفية جميع البشر أم يخص بذلك أهل التوحيد ؟!

يرى ابن حجر أن ذلك يعم المخاطبين ومن فى معناهم ويمكن أن يخص منه من تقدم ذكره . ومن ورد فى حقه أنه يحفظ من الشيطان كالأنبياء ومن تناوله قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (١) ، وكمن قرأ آية الكرسى عند نومه فقد ثبت أنه يحفظ من الشيطان حتى يصبح ، وهذا كلام يسلم بداية بأن البشر فى قبضة الشيطان ؛ ولا تدركهم عناية الرحمن أبداً إلا بعد الذكر أو كانوا أنبياء !!

إن القول بأن لإبليس قدرات مساوية لقدرات ربه فى توجيه قوى الإنسان دون أن يدرى هذا الإنسان أو يشعر من أين يأتيه عدو الله قدح فى عدل الله وتوحيده . . فالله هو العادل الحكيم ولا يجوز فى عدله وحكمته تسليط عدوه على وليه ، وما يذكره هذا الاتجاه قدح فى التوحيد وشرك بالله كبير ، حيث يسوون بين عدو الله وخالقه فى كل ما يفعل ويدع بالإنسان ، فإذا كان قادراً على توجيه قوى الإنسان الحسية والروحية بالوسوسة والإغواء والتحايل عليه بكل سبيل ، فماذا تركوا للمسلم فى تصوره للألوهية والتوحيد ؟! . .

أما كيف يضرب الشيطان على مكان كل عقدة فهو بحث آخر ؛ فهناك عقدة بل عقد وعاقد ومعقود عليه ؛ والعاقد إبليس والمعقود حبل – على الحقيقة أو المجاز – فى أحسن الأقوال المعقولة ؛ ومعقود عليه وهو عبد الله المؤمن الموحد الذى نام مصلياً أو غير مصلى ، أما الذى غفل عن الصلاة فهو فى أسر إبليس لا محالة ؛ ولا قدرة له على الإنفلات من أسره ، لأنه لا يتوضا ولا يصلى فضلاً عن عدم ذكره الله ، تعالى ؛ فاحتمال دخوله خطيرة الإيمان ابتداء ممتنع بناء على ما يقولون ؛ لأنه لا يملك هذه الأدوات ، ولا فرصة عنده للاختيار لإحكام إبليس قبضته عليه!

فالشيطان يضرب على كل عقدة بمعنى أنه يحجب الحس عن النائم ، حتى لا يستيقظ ومنه قوله تعالى ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾ (٢) ، اى حجبنا الحس أن يلج فى آذانهم فينتبهوا (٣) .

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٥ .

(٢) سورة الكهف : آية ١١ .

(٣) قارن : تفسير الطبرى : ٥ / ١٣٧

عن ابى سعيد : «ما احد ينام إلا ضرب على سماخه بجرير معقود» . وعن ابن عمر: «ما اصبح رجل على غير وتر إلا اصبح على رأسه جرير قدره سبعين ذراعاً» .. اى حبل.. هذا ما ذكره الحافظ تأييداً لما يفعله بنا الشيطان، فقاس فعله بما فعل الله باصحاب الكهف !!.

ولا يوجد إنسان عاقل له مدارك حسية سليمة ادرك ما يفعله الشيطان من وسوسة أو عقد .. وهذه المدارك الحسية هى التى يدرك الإنسان بها الافعال الحسية .. وانا أعلم أن هناك من ضعاف الفهم من يقول إن ذلك يحدث للإنسان وهو نائم .. حسناً؛ فماذا عندما يستيقظ ويجد نفسه معقوداً عليه ، فلا شك انه يدرك ان للشيطان فعلاً حدث فى تكوينه النفسى والحسى سمح به الله لعدوه!

واختلف العلماء فى طبيعة هذا الفعل ، فمنهم من قال إن هذا العقد على وجه الحقيقة كما يعقد الساحر من يسحره ؛ واغلبهم يوافق على هذه المقولة ؛ وقال آخرون إنه على سبيل المجاز كانه شبه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور .. وقال غيرهم المراد به عقد القلب وتصميمه على الشئ كانه يوسوس انه بقى من الليلة قطعة طويلة فيتأخر عن القيام ، وإنحلال العقد كناية عن علمه بكذبه فيما وسوس به . أو ان العقد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم .. واغرب بعضهم فقال بانه الأكل والشرب والنوم !.. وذكر الشيخ الملوى ان العقد يقع على خزانة الإلهيات من الحافظة وهى الكنز المحصل من القوى ، ومنها يتناول القلب ما يريد التذكر به [1] .

وهكذا صار لإبليس سيطرة كاملة على الإنسان ، وعلى أخص ما وهبه الله له من قوى حسية وعقلية وروحية ، فماذا بقى له من حرية الاختيار والإدراك ؟!.. إن كان فى لحظة واحدة يستطيع إبليس الدخول على الحافظة الذاكرة ( الإلهية ) ، وإفسادها أو السيطرة عليها أو ان ينسى الإنسان ما يعتقد ويؤمن به ؟!

والمدهش ان يتمادى أفاضل العلماء وراء هذا الجدل الخطير ؛ والذى يثبت به الشئ ونقيضه والتوحيد والشرك ، ببساطة .. ويتفننون فى تحليله وتأويله بما هو جائز من وجه ومستحيل من وجوه آخر.. وهو ما يؤدى إلى تذويب قضية الإيمان الاصلية فى

---

(١) الفتح ٣ / ٣١ ، ٣٢ ، والنووى على مسلم ٦١ / ٦٤ .

بحر من الروايات ، فمثلاً مسالة أن يصبح الإنسان المسلم «**طيب النفس**» أو «**خبيث النفس**» يجد لها الحافظ ابن حجر مسارب ليتشقق الحديث حولها عن طبيعة هذا الشعور الذى يصيب المسلم ، هل هو لقيامه الليل أو صلاته المكتوبة ؛ وهذا الكسل هل هو بسبب هذه العقد الثلاث أو لعدم قيامه بأداء صلاة الليل ؛ وهو ما يتعارض مع حديث آخر قال فيه ﷺ : «**لايقولن أحدكم خبثت نفسي**» وأن هذا الحديث ينهى عن إضافة الخبث للذات ، أما الآخر فهو يضيفه إلى الفعل فهو وصف لها . وهكذا .

أكثر من ذلك يفرق الحافظ بين قرب الشيطان المعنوى وقربه الحسى ؛ عند الرد على من عارضه بحديث آية الكرسي «**إن قارئ آية الكرسي عند نومه لايقربه الشيطان**» [1] فهل نعلم لإبليس قرباً حسياً حتى نعلم قربه المعنوى ؟! هذه مجرد مداخلة فقط ؛ وليس شغباً على دليل .. وما نريد إثباته هو أن الجن خلقوا للعبادة مثلنا ولهم ما يشغلهم عنا ؛ ومن رام بإنسان إيذاء أو مكراً فهو شياطين الإنس كشياطين الجن تماماً وما يقع منهم ولا فرق بينهما .

غير أن شياطين الإنس أشد إيذاء وأسرع مكراً ، أما شياطين الجن فلا سلطان لهم على عباد الله الذين دخلوا فى كنفه وآمنوا برسوله ، فهم إما فى ذكر الله أو تلاوة للقرآن أو صلاة أو طلب علم شرعى، ومن كان هذا حاله فكيف يقربه شيطان!

لقد كان لشياطين الإنس والجن مكائد عديدة لإفساد عقائد الناس منذ فجر التاريخ الإنسانى؛ فإذا فسدت العقائد وجب على الناس العذاب بعدما أهدرت أعمالهم ؛ لأنه لا أثر لعمل صالح فى الآخرة مع عقيدة فاسدة؛ ويأتى اختلاف الناس فى إطار من الإيمان بالقضاء والقدر لا شك فيه قال تعالى : ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)** ﴾ [2] ولا مانع من الاختلاف والاجتهاد والنظر فهو كله خير ، عدا الاختلاف حول ثوابت العقيدة وأساسياتها فهو الهلاك المبير.

---

(١) البخارى : الفتح ؛ ٨ / ٦٧١ (كتاب فضائل القرآن - باب فضل سورة البقرة) .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٣.

## ٢ - هل يبول الشيطان فى أذن المسلم؟

عن عبد الله ، رضى الله عنه ، قال : « ذُكر عند النبى ﷺ وسلم رجل فقيل : مازال نائماً حتى أصبح ماقام إلى الصلاة ، فقال : « بال الشيطان فى اذنه » .

وعبدالله هو عبد الله بن مسعود ؛ والرجل الذى يعنيه هونفسه « وايم الله لقد بال فى اذن صاحبكم ليلة »[١] يعني نفسه .

وفى طبيعة ما يفعله الشيطان اختلف العلماء ، هل ما يفعله على الحقيقة أم المجاز ، فمن قال إنه على حقيقته لم ير فى ذلك مانع إذ لا إحالة فيه ؛ لانه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح ، فلا مانع من أن يبول . وهذا الرأى مردود على صاحبه وهو القرطبى بانه من أين لك أن الشيطان يأكل ويشرب ، وإذا ثبت لك ذلك بنص قرآن أو رواية حديث ، فهل يصح القياس عليهما فى البول ؟!.. أو لا يجوز على من وصفتموه بخوارق العادات أن لا يبول أو ينكح .. وبوله ونكاحه من الأمور الحسية فهل وجدت أحداً جاءك ببول الشيطان أو شاهد نكاحه .. ومن ينكح ؟ اتثبت للجن إناثاً يضعون فيهم شهواتهم على ما افترضتم ؟!

كل ما سبق هو ضرب فى هواء ، ولا يصح منه شئ والثابت من نص الكتاب يرده ؛ والإيمان به يدخلنا فى باب واسع من الخرافة التى لا تجوز فى الدين ، وقد تكون مسبباً فى الكفر به .

أما الرأى الآخر الذى يرى أصحابه أنه كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر ، فهو أمر حسى يفعله كذلك الشيطان ، ونافذتنا على المعرفة هو الإدراك الحسى ، ولم يحدث لنا أو لغيرنا أن وجد سدادة أو شيئاً من هذا القبيل حتى نثبته !

أما من قال بأن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل ، فحجب سمعه عن الذكر ، فهو يثبت فعلاً للشيطان فى الإنسان يجبره عليه بغرض أن يترك طاعة ربه ، فهل على

---

(١) البخارى ، ٣ / ٣٤ كتاب التهجد باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان فى اذنه .. حديث ١١٤٤ ، ٦ / ٣٨٦ كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس حديث ٣٢٧٠ ؛ وكذلك فى مسلم كتاب صلاة المسافرين حديث ٢٠٥ ، والنسائى ، وابن ماجة ، واحمد فى مسند ١٥ / ٣٧٥ وغيرها .

المجبور على فعل ما من حرج؟! .. وهل كل من نام عن صلاة وجد بولاً فى أذنيه أو بات على باطل.. وكيف يجتمع حقٌ هو التوحيد والذكر والصلاة مع باطل .. أو لم نر من قبل كلامكم عن الذى نام ولم يصل ، أو صلى وعقد الشيطان على قافيته ، أنه نام مسلماً موحداً يأتى الصلاة والذكر ، ولكن حدث له ماحدث فأخذ تم فى تبرير ما وقع له !

وزاد بعضهم فقال هو كناية عن إزدراء الشيطان به .. أو استيلاء الشيطان عليه واستخفافه به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول ..

وأقرب ما يكون للتأويل الصحيح أنه مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم ، كمن وقع البول فى أذنه فثقل أذنه وافسد حسه ، والعرب تكنى عن الفساد بالبول قال الراجز : **«بال سهيل فى الفضيخ ففسد»** ؛ وكنى بذلك عن طلوعه ؛ لأنه وقت إفساد الفضيخ فعبر عنه بالبول .

روى أحمد عن أبى هريرة : **«قال الحسن إن بوله والله لثقيل»** !! وروى عن ابن مسعود : **«حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان فى أذنه»** وهو موقوف صحيح الإسناد [1] فالنص الأول يشير إلى ثقل بوله ، والثانى يؤكد فعله ؛ فهل لنا أن نحسه أو نلمسه أو نجد أثره ؟!..

إن من ذهب إلى حقيقة هذا الفعل أغرب وأبعد ونسب للشيطان قدرات تفوق قدرات الملائكة الحفظة والمقربين وأولياء الله وأنبيائه وكل من أطاعه ، وعدا قدره فنسب له قدرات على الفعل هى لله الواحد الأحد القادر ؛ ودخل فى حساب عويص من الشرك والجبر وقدحٍ فى توحيده؛ ومن يؤمن بهذا الكلام على حقيقته يؤمن بكلِ شئ ولا دين له أصلاً ولا عقيدة .. فلا ثبات لأصول التوحيد مع هذا الهراء الأجوف إن أخذناه على حقيقته وآمنا بالله الحفيظ الوكيل . ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾[2] .

ومن جنس هذا الكلام الغريب ما يذكره الحافظ عن الطيبى فى بيان سبب ذكره ﷺ للأذنين دون العينين رغم أن النوم والنعاس أخص فيهما من الأذنين ؛ لأن

---

( ١ ) البخارى : المصدر السابق ، نفسه .

( ٢ ) سورة الطلاق : ٣

المسامع موارد الانتباه ؛ والبول أسهل دخولاً في التجاويف وأسرع نفاذاً إلى العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء [1] وكان الشيطان يحقن عبد الله بمخدر سريع المفعول لاخلاص له منه إلا بمعصيته الله وتركه للصلاة والطاعة ، أفلا فكر هذا القائل في الله الحافظ لعباده من شر الإنس والجن ، حين ترك أصل الاعتقاد في هذا الفعل إلى تفسيره تفسيراً غريباً يوهم العوام بسلطان إبليس والجان على الإنسان .. وإحالتهم كل أفعالهم بعد ذلك لما يفعله الشيطان فيهم !

ويحسن هنا ذكر تفسير النوم عند النفسانيين حيث يقول أحدهم : « والنفس لاتنام فالنوم خاص بمادة الجسد ، فهي من يوم أن تخلق تظل حارسة لهذا البدن . والنوم نوعان :

( ١ ) النوم الاتصالي : وهو الذي تبقى فيه النفس مع الجسد أثناء النوم، ونجد النائم في هذه الحالة فيحرك يديه ورجليه وينقلب على الفراش يسره ويمنة ، وهو في الغالب لا يدري ويصحو بسهولة ؛ بل أقل حركة تجعله يهب من نومه، وهذه النفس المتيقظة قد تجعله يحلم أحلاماً من أحاسيس النفس فيه ، فإن قرب منه ثعبان أو عفريت مثلاً توحي إليه النفس بذلك ، أو توحي إليه بخطر مهول يتهدده ، فيقوم فزعاً، أو تسمع النفس أغنية فيرى النائم المغني نفسه يزوره في بيته ومعه عوده يغني له خاصة، وربما ناقشه وتكلم معه ، هذا كله من أفعال النفس ، وقد جربت كثيراً من ذلك في نومي .

( ٢ ) النوم الانفصالي : وفيه تنفصل النفس عن الجسم، كما يحدث أحيانا فيما نسميه النوم العميق ، تماماً فكما أنه لا يرى ولا يسمع ولا يحس من حوله فإن النفس هنا لا تحلم أحلاماً قد تكون من واقع ما تحسه قريباً، فإذا ناديته لا يجيب، وإذا أردت صحوه ناديته مراراً وربت على كتفيه ، وهززته حتى

---

( ١ ) الفتح ٣١ / ٣٥ .

يفيق، واحذر في هذه الحالة ان تزعجه في نومه بأن تدفعه دفعاً أو تصيح عليه صيحات شديدة أو تضربه ( كما يحدث من بعض الجهلاء ) فلربما حدث ما يسمى انفصال الشخصية [1] .

« وفي هذا الصنف من النوم، تسبح النفس في ذكرياتها الماضية وأمانيها ومعضلات ( الشعور ) فتذهب إلى حلها مساعدة للشعور، وتتصل بما فيها من قوة الأقتدار على قراءة ما خفي من كتاب الكون ..... إلخ » [2].

والنفوس إذا انفصلت عن الأجساد بسبب الموت ترى الملائكة والشياطين ، حيث أنها أصبحت مخلوقات أثيرية مثلها ، ويمكن للنفس ان تصعد للسماء وتذهب حيث تريد .

وبعد فهل يمكن احتمال قبول مثل هذا الأثر – على الأقل – على حقيقته ؟!

* * *

---

( ١ ) د/ عبد الكريم دهينة: صراع بين النفس والعقل؛ ص ١٦٠ ، ٦١ .

( ٢ ) المصدر السابق، ص ١٦٢ .

# الفصل الثاني

# والله خير حافظا

١ – الاستعاذة من الشيطان .

٢ – الحرز من الشيطان .

٣ – الشيطان والعلاقة الزوجية .

# الفصل الثانى

## والله خير حافظاً

ينبغي المسلم أن يعلم أن الله الواحد الأحد حفيظ وكيل وهو حسبه .. فلا شيطان الإنس ولاشيطان الجن يستطيع أن يصل إليك مادمت مع الله ، تعالى ، متجه إلى قبلة التوحيد والإيمان .. مخلصاً له .. فالله قادر .. والله رازق .. والله حافظ .. والله قاهر فمن يقدر على من استعاذ بالله الأعظم خالق الخلق .. من له الأسماء الحسنى . قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴾[١] .

وقال : ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) ﴾[٢] .

وقال : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴾[٣] .

وقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) ﴾[٤] .

وقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) ﴾[٥] .

فإذا كان ربك سميعاً عليماً بصيراً رباً للأكوان والأزمان والناس وجميع المخلوقات فمما تخاف ومن ذا الذى يطيق لله ، تعالى ، عداء ومناوءة ؟!

إن التصور الإسلامى لحقيقة الألهية بدد ظلام الخرافة وقوى قلب المسلم فى مواجهة الحادثات .. فشياطين الإنس والجن في مواجهة براهين التوحيد أصفار .. فلا سلطان عليك أيها المسلم فلا تخف أوهاماً وخرافات تعيش خبيئة فى جنح الظلام كالخفافيش .. أنت حر فلا تتعلق بأهداب الزيف .. فإبليس والشيطان والجن أسماء لمخلوقات مثلك يشغلها عنك تكليف ، كلفها الله به هو ، كما كلفت به تماماً فلا تظن أنها تركت ما أهمها واشتغلت بك ..

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٠٠ .

(٢) سورة غافر آية ٥٦ .

(٣) سورة المؤمنون الأيتان ٩٧ - ٩٨ .

(٤) سورة الفلق آية ١ .

(٥) سورة الناس آية ١ .

ومن ند عن أمر ربه وعصى فالله حفيظاً لك من دونه ، وهو لايصل إليك بحال فقد أعلنها الله ، تعالى ، أن الشيطان ليس له على الإنسان سلطان .. إلا من أطاع الشيطان وعصى الرحمن وبات أسير هواه وشهواته ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] .

فعباد الله المتقين الصالحين لا يقدر إبليس على إغوائهم وإضلالهم ؛ لأنهم في كنف الله ورعايته وعنايته ؛ وتوكلهم عليه واستعانتهم به واستعاذتهم من عدوه وعدوهم كافياً ؛ لأن يحفظهم من شره. يقول الزمخشرى : «فإن قلت : كيف جاز أن يأمر الله إبليس بأن يتسلط على عباده مغوياً مضلاً ؛ داعياً إلى الشر، صاداً عن الخير ؟.

قلت : هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية ، كما قال للعصاة : اعملوا ما شئتم» [2] .

و ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [3] .

ويقول في معنى إغوائه إياه : «تسبيبه لغيه . بأن أمره بالسجود لآدم ، عليه السلام، فأفضى ذلك إلي غيه . وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله ؛ ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك.

والله ، تعالى ، برئ من غيه ومن إرادته والرضا به، ونحو قوله : ﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ ﴾ [4] .

وقوله : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [5] في أنه إقسام ، إلا أن أحدهما إقسام بصفة ، والثاني إقسام بفعله ، وقد فرق الفقهاء بينهما .

ويجوز أن لا يكون قسماً، ويقدر قسم محذوف ، ويكون المعنى : بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلنّ بهم نحو ما فعلتَ بي من التسبيب لإغوائهم ، بأن

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٥ .

(٢) سورة الحجر آية ٤٢ .

(٣) الزمخشرى : الكشاف، ٢ / ٦٧٨

(٤) سورة الحجر آية ٣٩ .

(٥) سورة ص آية ٨٢

أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم ﴿ في الأرض ﴾ في الدنيا التي هي دار الغرور ، كقوله تعالى ﴿ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [1] .

أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء، فأنا عليَّ التزيين لأولاده في الأرض أقدر.

أو أراد : لأجعلن مكان التزيين عندهم الأرض، ولأوقعن تزيين فيها ، أي : لأزيننها في أعينهم ولأحدثنهم بالزينة في الدنيا وحدها، حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها » [2] .

يقول الهادي راداً على المجبر الذي احتج بالآيات السابقة على جبر الله لخلقه ليفعلوا الخير والشر كما أراد لا كما أرادوا : توهم، لجهله وسوء نظره وعلمه، أن الله ، تبارك وتعالى، حال بين إبليس وبين العباد حولاً ، ومنعه من الوسوسة لهم منعاً ، وقسرهم عنه قسراً، وليس ذلك كما قال.

ألا تسمع ما ذكر الله عن آدم وزوجته، وكيف كانت وسوسته لهما حتى أوقعهما فيه، وكذلك اعترض لعيسى بن مريم حتى دحره ، ولم يطمعه في شئ مما ذكره، ولغيرهما من الأنبياء والمؤمنين ، فلو منعه الله من أحد من المؤمنين منعاً ، وقسره على الوسوسة له قسراً ، لكان ذلك لأبيهم آدم ، ﷺ ، ولكنه ، سبحانه ، منعه من ذلك بالنهي له والزجر عما هو عليه من إغوائه ، وعاقبة عليه ، وأعد له النار والعذاب فيه ، فقال : ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [3] .

فأما السلطان الذي ذكر الله، عز وجل ، أنه ليس له على المؤمنين ، في قوله ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [4] .

فهو ما علم من المؤمنين من طرده ودحره وترك طاعته في وسوسته وأمره، وأنهم لا يجعلون له عليهم سلطاناً بشئ من الطاعة له من العصيان لربهم، وأنهم لايزالون مؤثرين لطاعة الرحمن ، محترسين من الشيطان بتلاوة القرآن والاعتصام بذي الجلال

---

( ١ ) سورة الأعراف آية ١٧٦ .

( ٢ ) الزمخشري : الكشاف ، ٢ / ٥٧٨ .

( ٣ ) سورة هود آية ١١٩ ، والسجدة آية ١٣ ، وص آية ٨٥ .

( ٤ ) سورة الحجر آية ٤٢ .

المنان ، فهم أبداً لله مراقبون ، وفي طاعته ساعون، وللشيطان اللعين معادون، كما أمرهم ربهم حين يقول : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾ [1] .

وفي كل ما أمرهم به مخالفون ، فاولئك هم المهتدون الذين على ربهم يتوكلون ، فليس له على هؤلاء سلطان ، وإنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، وكذلك سلطانه على أوليائه ، وهو دعاؤه لهم وإغواؤه إياهم ، وقبولهم منه، ومثابرتهم عليه، فلما ان قبلوا منه ولم يعصوه كانت طاعتهم له السلطان عليهم، إذ أطاعوه وفي دعائه اتبعوه » [2] هذا هو التصور الصحيح الذى نرتضيه .

* * *

---

( ١ ) سورة فاطر آية ٦ .

( ٢ ) انظر الهادى : في الرد على الحسن بن محمد بن الحنفية ، ٢ / ٢٥٩

## ١ - الاستعاذة من الشيطان

قال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [١] . النزع هو النخس ، وذلك بحمل الشيطان للإنسان بوسوسته على خلاف ما أمر الله من عقائد أو أوامر ونواهي شرعية جاءت بها الرسل ، وثبت ذكرها في الكتاب ، والاستعاذة هي الاستعانة برب الناس على عدوهم وعدوه وعدم طاعته ، وقد نزلت هذه الآية على رسول الله ، ﷺ ، عندما قال : « كيف يارب والغضب » فنزلت الآية ، ويجوز أن يكون النزع اعتراء الغضب [٢] ، كما قال ابو بكر ، رضي الله عنه : « إن لي شيطاناً يعتريني » [٣] .

وقال تعالى ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٤] ، كانت الشياطين تحث الناس على المعاصي ويغرونهم عليها ، والأز كالهمز ﴿ تؤزهم أزاً ﴾ ، فالاستعاذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه ، والاستعاذة من أن يحضروه ويحوموا حوله ، وعند تلاوة القرآن كما قال ابن عباس [٥] .

وقال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٦] .

يستدل ابن كثير على أن الله ، تعالى ، يامر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة ، ويأمر بالاستعاذة من العدو الشيطاني لا محالة ، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحساناً ، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل . .

وتكون الاستعاذة قبل تلاوة القرآن وعند الصلاة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ

---

( ١ ) سورة الاعراف الايتان ١٩٩ - ٢٠٠ .
( ٢ ) الزمخشري : الكشاف ، ٢ / ١٩٠ .
( ٣ ) انظر طبقات ابن سعد ، ٣ / ١٣٩ ، وابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ١ / ١٦ .
( ٤ ) سورة المؤمنون الايتان ٩٦ - ٩٨ .
( ٥ ) الزمخشري : السابق ، ٣ / ٢٠٢ .
( ٦ ) سورة فصلت الآيات ٣٤ - ٣٦ .

الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ [١] . فهى من جملة الأعمال الصالحة التى يجزل الله عليها الثواب [٢] .

وقال أبو سعيد الخدرى : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل استفتح صلاته وكبر قال : «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا إله غيرك - ثم يقول لا إله إلا الله - ثلاثاً ثم يقول - أعوذ بالله السميع العلم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» [٣] .

وقال سليمان بن صرد ، رضى الله عنه : استب رجلان عند النبى ﷺ ، ونحن عنده جلوس ، فأحدهما يسبُّ صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبى ﷺ ؛ «إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقالوا للرجل ، ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ ؟ قال : إنى لست بمجنون» . [٤]

والجمهور على أنها مستحبة ؛ والجهر بها أولى عند الجمهور ، وإن حكى الإسرار فى إحدى قولى الشافعى ؛ وفى الصلاة هى للتلاوة وقال البعض هى للصلاة ؛ وذكر العلماء لفوائدها كثير من الأمور منها أنها طهارة للفم ولتلاوة كلام الله ، وهى استعانة به واعتراف له بالقدرة ، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطنى الذى لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذى خلقه ، ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالإحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان . .

ومعناها الالتجاء إلى الله ، تعالى ، والالتصاق بجانبه من شر كل ذى شر والعياذة تكون لدفع الشر واللياذ يكون لطلب جلب الخير قال المتنبى :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به ممن أحاذرُهُ

لا يجبر الناس عظماً أنتَ كاسره ... ولا يهيضون عظماً أنت جابرُهُ [٥]

---

(١) سورة النحل آية ٩٨ .

(٢) الزمخشرى : السابق ؛ ٢ / ٦٣٢ .

(٣) رواه أحمد ، والترمذى ؛ ٣ /٣٤٢ (باب ما يقول عند افتتاح الصلاة) ح (٢٤٢) .

(٤) رواه مسلم ، والبخارى ؛ ١٠ /٥٣٥ (كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب) ح (٦١١٥) ؛ وأحمد ، ٦ /٣٩٤ ، والطيالسى ، ح (٥٧٠) .

(٥) ديوان المتنبى ؛ ص ٤٣ .

ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اى استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم ان لايضرنى فى دينى أو دنياى او يصدنى عن فعل ما أمرت به ، او يحثنى على فعل ما نهيت عنه ، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ، ولهذا أمر ، تعالى ، بمصانعة شيطان الإنس ومدارته بإسداء الجميل إليه ، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن ؛ لانه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل ؛ لانه شرير بالطبع ، ولا يكفه عنك إلا الذى خلقه [١] .

يمكن تشبيه النفس بالحصن الذى يتحين الشيطان غفلة صاحبه ليقتحمه ويدكه فينهار عن آخره ويستسلم الإنسان .. وصاحب الحصن يمكن أيضا اعتبار العقل حفيظاً عليه وعلى نفسه .. وهو قريب من تخيل أفلاطون لقوى النفس المعرفية والشهوانية والجنسية [٢] .

وحماية النفس يتطلب وضعها تحت رعاية العقل وكفالته ومعرفة مواطن الضعف التى يتسلل فيها الشيطان إلى هذه النفس .. فلا يصرع الشيطان نفساً صاحبها يقظ دائم الذكر والعبادة وتقوى الله ..

والثغرات التى يدخل منها الشيطان الغضب والشهوة ، فالغضب غول يلتهم العقل ويقضى عليه ، وليس هناك أخطر من أن يصبح الإنسان بلا عقل .. يقول إبليس : « كيف يغلبى ابن آدم إذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه ، وإذا غضب جئت حتى أكون فى رأسه » [٣] لإفساده بالكبر والغرور ، والرضا عن الذات بالثقة المفرطة ، وبالتهور فى الحالة الثانية ومجاوزة الحد .

ثم ا لحرص والحسد ، فالحرص يعمى العقل ، وحبك للشئ يعمى ويصم ، ونور البصيرة يطمس ظلام الحرص والحسد ، يقول الشاعر .

لا تحرصن فالحرصُ ليس بزائد      فى الرزقِ بل يشقى الحريص ويتعبُ

وبالحرص والحسد طرد إبليس من رحمة ربه وآدم من الجنة .

---

( ١ ) ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم ؛ ١ / ١٥ – ١٧ .

( ٢ ) انظر عبد الكريم دهينة : صراع بين النفس والعقل ، ص ١٨٣ .

( ٣ ) احياء علوم الدين ، ٣/ ١٥٧ .

ثم التنعيم الزائد والإسراف ، فالشبع يقوى الشهوة ، وأكبر أسلحة الشيطان وبه يذهب الخوف من الله والرحمة من القلب وهجر الطاعات ومباشرة الموبقات وغض الطرف عن موعظة الحكماء وإغلاق القلب عن سماع الحق ، والسقوط فى الأمراض النفسية والعضوية[1] .

ويأتى بعد ذلك الرغبة فى الدنيا ومتاعها ، وهو يتدرج حتى يصل بصاحبه إلى الأنانية والذاتية واللامبالاة بالآخرين والصرع فى حب المال وكنزه[2] .

أما حب الطمع فهو يصيب صاحبه بالنفاق والريا ومصانعة الأغنياء وقهر الفقراء وكسر خواطرهم والتحالف من الشيطان وإرضائه ، ومناصرة الظالمين والطمع فيما بين أيديهم[3] .

أما العجلة وعدم التريث؛ فيورث حجب البصيرة ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[4] ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً (11) ﴾[5] وقال ﷺ : «العجلة من الشيطان» .

والتنافس فى سبيل المال والتخلق بأخلاق البخلاء ، «لو أن لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له واديان»[6] . ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ﴾[7] . فأخذ الإنسان المال من غير حقه ومنعه من حقه من المهلكات[8] .. وهو يقابل هؤلاء الدين ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (9) ﴾[9] .

أما التعصب المتطرف للمذهب فهو الآخر من الشيطان ، وكذلك الميل للأهواء والحقد على العلماء ومن يخالفهم فى الرأى والازدراء والاحتقار لهم .. وتبنى الآراء الشاذة والمهجورة من أجل الشهرة.

* * *

---

(١) السابق ؛ ٣ / ١٦٣ .

(٢) صراع بين النفس والعقل ؛ ص١٨٥ .

(٣) الإحياء ؛ ٣ / ٢٢٣ .

(٤) سورة الأنبياء آية ٣٧ .

(٥) سورة الإسراء آية ١١ .

(٦) متفق عليه ، وفى حلية الأولياء ؛ ١ / ٣٣٧ ، وأحمد ، والترمذى .. والجامع الصغير انظر ؛ ٢ / ١٣١ .

(٧) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(٨) الأحياء ؛ ٣ / ٢٢٣ .

(٩) سورة الإنسان آية ٨ ، ٩

## ٢ - الحرز من الشيطان

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»** [١] .

**والحديث خير شاهد على أن ذكر الله يحفظ الإنسان ويقيه من شر شياطين الإنس والجن ومن ضرهم .. فنحن جميعاً صنعة حفيظ قدير وليس اقدر على حفظ صنعة من صانعها .. وشياطين الإنس اقدر على اذانا والكيد لنا باى ضر وكل ضر في الصباح والمساء .. وعند الذهاب والرواح وفي مواطن اللقاء ، فالعين حق وقد قال ﷺ لمن رأى ما سره : «هلاً قلت بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله» .. والسحر حق .. والحافظ هو الله ..**

**ورد عن النبي ﷺ : «من قال حين يدخل السوق لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير...»** [٢] **الحديث ، مما يدل على أن المقصود حماية المسلم من أذى الناس للناس، ومكرهم بهم عند البيع والشراء من الحيلة والخلابة والمخادعة وغير ذلك .**

**والحقيقة أن الأحاديث التى جاءت في الحرز والتحصين من شرور الشيطان والسحر والعين كثيرة جداً ، وهي مرتبطة بالحالة النفسية وسلامة الذات من جنس هذه الشرور، فلا مانع من التعوذ بها في مواجهة السحر الأسود وغيره**

**جاء رجل إلى أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، فقال : يا أبا الدرداء قد احترق بيتك ، فقال : ما احترق لم يكن الله ، عز وجل ، ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله، وقد قلتهن اليوم ثم قال : انهضوا بنا فانتهوا إلى داره ، وقد احترق ماحولها ولم يُصبها ، وهذه هي الكلمات :**

---

(١) البخاري ، ٦ / ٣٩٠ - حديث ٣٢٩٣ ، وفي ١١ / ٢٠٤ حديث ٦٤٠٣ .

(٢) رواه ابن ماجة ؛ ٢ / ٧٥٢ ، والترمذي ؛ ٥ / ٤٩١ وقال : هذا حديث غريب ، واحمد ؛ ١ / ٤٧ ، والحاكم ؛ ١ / ٥٣٨ وكذلك ابن السني والطبراني وابو يعلى والطيالسي .

قال النبي ﷺ : من قال حين يصبح وحين يمسى : **«اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . أعلم أن الله على كل شئ قدير . وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً . اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها . إن ربى على صراط مستقيم» لم يصبه في نفسه ولا أهله ولاماله شئ يكرهه»** [١] .

وقال النبي ﷺ : أما لدنياك فإذا صليت الصبح فقل بعد صلاة الصبح : **«سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله»** [٢] . ثلاث مرات يوقيك الله من بلايا أربع : من الجنون والجذام والعمى والفالج .

**وأما لآخرتك فقل : «اللهم اهدنى من عندك وأفضْ علىَّ من فضلك وانشر علىَّ من رحمتك وأنزل علىَّ من بركاتك» والذى نفسي بيده وافى بهنَّ يوم القيامة لم يدعهن ليفتحنَّ له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء »** [٣] .

وقال النبي ﷺ : ما من رجل يدعو بهذا الدعاء في أول ليله وأول نهاره إلا عصمه الله من إبليس وجنوده **«بسم الله ذى الشأن عظيم البرهان ، شديد السلطان ، ما شاء الله كان أعوذ بالله من الشيطان»** [٤] .

وقال النبي ، ﷺ : «من قال حين يصبح وحين يمسى : **« حسبى الله لا إله إلاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»** سبع مرات كفاهُ الله تعالى ، ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ) [٥] .

وقال النبي ﷺ : من قال حين يمسى : **«بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم»** ثلاث مرات ، لم يصبه فجاةَ بلاء حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجاة بلاء حتى يمسى [٦] .

---

( ١ ) رواهُ ابن السنى عن أبى الدرداء .

( ٢ ) رواه ابن السنى ، وأحمد ، والمناوى ؛ ٤ / ٨٥ ، والسيوطي فى الجامع الصغير ؛ ١ / ٣٠ .

( ٣ ) رواه ابن السني عن ابن عباس .

( ٤ ) رواه الحاكم وابن عساكر عن الزهير ، والديلمى : فردوس الأخبار ؛ ٤ / ٣١٣ ح ( ٦٤٥٩ ) . .

( ٥ ) رواه ابن السنى عن أبى الدرداء ؛ ٣٧ .

( ٦ ) رواه أبو داود وابن حبان والحاكم عن عثمان ، والترمذى ، ٥ / ٤٣٤ ح ( ٣٣٨٨ ) ، وأبو داود ، ٤ / ٢٣

وقـال النبى ﷺ ، قل : «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصـبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ» [1] .

وقال النبى ، ﷺ : ( يقول الله ، عز وجل ، قل لامتك يقولوا : «لا حول ولا قوة إلا بـالله» عشراً عند الصـباح ، وعشراً عند المساء ، وعشراً عند النوم ، يُدفع عنهم عند النوم بلوى الدنيا ؛ وعند المساء مكايدة الشيطان، وعند الصباح أسوأ غضبى ) [2] .

والأحـاديث في هذا البـاب كثيرة، غيـر أن المسلم الواعى هو الذى يتـخيـر منهـا وينتخب ما يسـهل حفظه ولا ينسى ذكره فى صلواته ، أو عند المواطن التى يستجاب فيها الدعاء ويقبل فيـها الرجاء ، ويتوكل على الله فى كل وقت وحين ، فهـو حَسبه ونعم الوكيل.

* * *

( ١ ) رواه الترمذى والنسائي وابن ماجة عن عبد الله بن خبيب، فى سنن الترمذى ٥ / ٥٣٠ ح ( ٣٥٧٥ ) .

( ٢ ) رواه الديلمى عن ابى بكر ، ٥/٣٥٥ ح ( ٨١٤٦ ) ؛ وكنز العمال؛ ح ( ٣٦٠٧ ) .

## ٣- الشيطان والعلاقة الزوجية

عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : **«ولو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني ؛ فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه»** [١] .

ويحتمل تأويله بأنه كناية عن وقاية الإنسان من فعل الشيطان من شهوات النفس ونوازع الشر والفسق والفجور فيها ؛ أو أن يكون ذلك الشيطان إنسي يعتدى على حرمات الإنسان ويتجاوزها فيعتدى على الأبناء بالتدخل في تربيتهم فيسيئ إلى الإنسان وذريته .. وشيطان الإنس أقرب إلى الوسوسة والإساءة من غيره .

أما القول أن الحديث على ظاهره فهو يعني أن شيطان الجن يتدخل في جماع الإنسان لزوجته ويتسلط على أبنائه ، وهذا ما لا يدركه حس أو يستدل عليه عقل ، وهي نوافذ المسلم لقبول التكليف والعمل به ؛ كما أن الشرع أتى بغير ذلك **﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾** [٢] و **﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾** [٣] **﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾** [٤] .

كما أن من تسلط عليه الشيطان لا أمل له في إيمان أو طاعة ، إذ أن تسلط الشيطان عليه مانع له ومؤثر على قواه العقلية والوجدانية فكيف يؤمن ؟! ..

كما أن من قال الدعاء عند لقائه بزوجته سلم وسلمت ذريته ، والمشاهد أن كثيراً من أبناء الصالحين ليسوا كذلك . فكيف يمكن التوفيق بين الحديث والواقع ؟! ..

ثم إن التسلط يتعارض مع العدل **﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾** [٥] ، **﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾** [٦] فبين ، تعالى ، أن ظلم الإنسان راجع له هو ومن دخيلة نفسه .

---

( ١ ) البخاري ٦١ / ٣٨٨ حديث ٣٢٨٣ .

( ٢ ) سورة البقرة : ٢٨٦ .

( ٣ ) سورة الطلاق : ٧ .

( ٤ ) سورة المدثر ٣٨ .

( ٥ ) سورة يونس ٤٤ .

( ٦ ) سورة النساء : ١١٠ .

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ، ﷺ قال : « **أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا ، فرزقا ولداً ، لم يضره الشيطان** » [1] .

ذكر الحافظ بن حجر حول ذلك الضرر المنفى على التأبيد في الحديث ان العلماء اختلفوا هل هو على الظاهر منه أم ان المقصود ذلك الضرر الذى جاء في الحديث : إن كل بنى آدم يطعن الشيطان في بطنه حين يولد إلا من استثنى ؟!!

اما المعنى المقصود في قوله «**لم يضره الشيطان**» انه لا يسلط عليه من اجل بركة التسمية ، بل يكون من جملة العباد الذين قيل فيهم ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾ [2] .. ونفى سلطان الشيطان على جنس الإنسان وليس على من كان صالحاً منهم فحسب ، غير أن من أراد الغواية واتباع الشيطان فهو له ، ولن يمنعه الحفظ من أن يختار ما أراد لنفسه .

اما ان يكون المراد ان لا يضره بطعنه في بطنه حين مولده ، فهوتخصيص من غير مخصص .. وليس تخصيصه بأولى من تخصيص هذا» ..

وقال البعض : المراد لم يصرعه أو لم يضره في بدنه ، وقال ابن دقيق العيد : يحتمل ان لا يضره في دينه ايضاً . ولكن هل هذا يعنى العصمة لمن لا عصمة له ؟!.. ولذلك ذهب البعض ان لا يفتنه عن دينه ، فيكفر ، اما المعاصى فلا عصمة له منها .. ويرد عليهم بأن الذى يعصمه من الكفر يعصمه مما هو دونه !

اما من قال بأنه لا يضره بان يشارك ابيه في جماع أمه ، ويؤيد مقالته بحديث مجاهد : «**أن الذى يجامع ولا يسمى يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه**» فقد رأى الحافظ أن ذلك اقرب للصواب ، وهذا كلام يأباه الشرع والعقل ؛ ومعتقد ذلك جامع بين الشئ ونقيضه ، إذ إن طبيعة الإنسان تخالف طبيعة الجان ، فهذا خلقه الله من طين ، وهؤلاء خلقهم الله من نار السموم ، فكيف تجامع النار الطين أو العكس ؛ والطبيعة مختلفة فهل يجامع الجنى الإنسية دون ان تشعر أو

---

(١) البخارى ، ٦ / ٣٨٦ الحديث رقم ٣٢٧١ . وكذلك ٩ / ١٣٦ كتاب النكاح باب ما يقول الرجل إذا اتى اهله حديث رقم ٥١٦٥ . ومسلم في كتاب النكاح ،حديث (٦) ، وابن ماجه ، حديث ١٩١٩ ، وكذلك عند الترمذى وابى داود ، ٢١٦٠ ، واحمد ، والطياسى ، ح ٢٧٠٥ .

تحس به .. ومن قال لهؤلاء ان للشيطان خلقة وتكويناً كخلقة الإنسان وتكوينه .. او ان له شهوة ولذة ورغبة فى النكاح كالإنسان .. ولا يوجد نص يدل على ذلك؟!

فهل شاهد احد من هؤلاء الشيطان وهو يلتف على إحليل الإنسى ثم يجامع معه زوجته ؛ أو زوجة غيره ؟!.. ولا يشهد احد ذو ديهن بذلك .. كما انه يعنى ان اغلب بنى آدم أولاد شياطين !

وحول طبيعة إبليس سنلقى الضوء على بعض آراء الأصوليين ولن نتدخل بتعليق ، لكفاية ما ذكرنا فى رد ما لا يعقل من آراء تصطدم بالدين واسس العقيدة .

واول هذه الآراء هو اختلافهم حول مدى قدرات الشيطان فى تحمل ما لا يطيق البشرحمله من اعباء وتكليف وتصرفات خارجة عن طاقة الإنسان .

( ١ ) فقال قوم : جائز ذلك ، وأن يحمل الأشياء الكثيرة .

( ٢ ) وأنكر فريق ذلك ، وأرجعوا رفضهم إلى أنه يبطل دلائل الرسل ، وهومقال مشهور للجبائى من المعتزلة [١] وهو راى صحيح وله اعتباره .

وثانى هذه الآراء هو هل يجوز ان يتقلب الشياطين عن صورها؟

( ١ ) أجاز ذلك فريق من المتكلمين .

( ٢ ) ومنعه فريق آخر [٢] .

وللفريق الأول رأيه الذى يدافع عنه وهو عقلاً لا مانع منه ، اما الثانى فقد استقرأ النص ، فلما لم يجد دليلاً على الجواز قطع بالمنع ، وهو اكثر حرصاً على ضبط القضايا السمعية بمراعاة أصولها ودلائلها وهو قول رشيد .

* * *

---

( ١ ) الاشعرى : مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ١١١ .

( ٢ ) الاشعرى : المقالات ؛ ٢ / ١١١ .

# الفصل الثالث

## وهم لابد من رده

١- الشيطان والصلاة .

٢- الشيطان وصلاة الرسول ، ﷺ .

٣- الشيطان والالتفات في الصلاة .

٤- المار شيطان

# الفصل الثالث

## وهـم لابـد مـن رده

ان تتصـور ان الشيطان يخطر للإنسان المسلم في صلاته ، وانه يعرض لرسول الله في صلاته ، ويختلس من المسلم في صلاته فيجعله يلتفت او انه يحاول ان يمر بين يدى المصلى .. اقول إن تصورك كل ذلك حقيقة وليس مجازاً .. مع إيمانك بالله الواحد وصفاته وأسمائه الحسنى وكتابه وما جاء فيه .. هوجمع بين المتناقضات .. وإسقاط لبديهيات العقول ومكابرة لا حد لها ..

إلى أين يهرب المسلم من الشيطان إذا كان يخترق أجلَّ وأعظم العبادات ويعبث بنا ونحن بين يدى الله في الصلاة ؟!.. إنك انت الذى توسوس نفسك .. فتدخل الصلاة ومعك هواك وخواطرك وشغلك بالدنيا وشهواتها وتستسلم لشلال مغرق من الوهم والخيال الذى يداعبك طوال الصلاة .. وكأنك تستدعيه لساعة الإخلاص والتوجه .. فتصير بجسدك وروحك مع وساوسك وخيالك السارح في الآفاق .. انت نحو قبلة ربك متجه .. وقلبك نحو هواك متجه .. وهذا ما فعله إبليس.. أراد ان يعبد الإنسان الله ويطيعه على شرطه هو لا على شرط ربه .. أراد هواه وربه فاسلمه الله لنفسه فهوى.. وانت تفعل كفعله وتستسلم لشريك هو نفسك .. فهلا أسلمت لله وحده.. وتوجهت روحاً وجسداً له !.

هنا يكون خلاصك من الخواطر والوساوس .. فانت مطارد من داخلك وخلاصك من داخلك .. فاقرا القرآن بقلبك لا بلسانك .. واجمع امرك ولا تشتته .. فشيطانك نفسك وهواك وما توزعك من الملذات والشواغل .. فاقلل من دنياك وأكثر من دينك .. واستحضر ربك واستر نفسك تتحقق لك الطمانينة والسكينة بإذن الله.

وشبيه بذلك الاعتقاد بان الامة قد دخلت نفقاً من التخلف والتبعية والتشرذم ولا فكاك لها منه ابد الدهر ، وأنه قدر قدرهُ الله عليها ، فامريكا سيدة العالم ونحن عبيدها ، وعلى رقبتنا وضع سيف الديون الخارجية من صندوق النقد الدولى (الاستعمارى) والسوق الواحدة – الجات ، والمنظمة الدولية للسوق المشتركة بعد

ذلك - والعولمة، وتحكم الشركات متعددة الجنسيات فى مقدراتنا الاقتصادية بتدويل الخصخصة .. وهذا وهم وخطأ فادح ، فقدر الله وقضاؤه لا يعلمه إلا الله .. وامريكا ليست شيئاً يذكر ، ولا يعني كونها المهيمنة والحفيظة على مقدرات العالم ، والقائمة بدور المرشد والموجه له لا يعنى شئ ؛ فذلك القطب الواحد لا يتفق مع سنة الله فى الكون ، وانهيار روسيا وتبعية أوربا لأمريكا وحلف الأطلنطى شئ غير طبيعى وشاذ ومؤقت ؛ ولذلك علينا نبذ وهم الشيطان الأكبر وعدم الخضوع لمخططاته فى المنطقة.. فما أحدثته فى امريكا اللاتينية من مؤامرات وتبعية وإذلال لدولها ليس بخفي ، من نيكارجوا إلى شيلى ، ومن كوبا حتى البرازيل .. وعلينا أن نعتبر بصمود الصومال ، ذلك البلد العارى الفقيرة الموارد كيف أبى تدخل امريكا فى شأنها الداخلى .. وكيف هزت إيران كبرياء ذلك الشيطان .

إن ما احدثته الدول الاستعمارية فى القرن الماضى لا ينسى ، ولا ينبغى له ان ينسى ، فقد دخلت أوربا حربين عالميتين وحاربت تحت شعار « سنحارب حتى آخر جندى فى مستعمراتنا » !.. وإذلال هتلر للحلفاء ومحاولته السيطرة على العالم بإيحاء من فلسفة نتشه وهولمز العنصرية ، وتضخم الانا وتجاهل الآخر حتى دمر نفسه وشعبه ، هو تصرف شيطانى بحت.

متى نتعلم أن الشيطان أهون من أن نخافه ، وإن كان علينا الحذر منه ومحاربته .. متى نثور لكرامتنا العربية الجريحة فى لبنان على يد اليهود وفى العراق .. من قال أن سبعة عشرمليون عراقياً رهائن القصف الامريكى وطائرات قوات التحالف لعشر سنوات متصلة .. هل نزعت الرحمة من قلوبنا .. هل ماتت ضمائرنا .. هل بعناها مع كل ما بعنا من أشياء غالية ؟!.

* * *

## ١- الشيطان والصلاة

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال النبى ﷺ : **«إذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط ، فإذا قضى أقبل ، فإذا ثُوّب بها أدبر ، فإذا قُضى أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه فيقول : أذكر كذا وكذا ، حتى لايدرى أثلاثاً صلى أم أربعاً ، فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً سجد سجدتي السهو»** [١] .

وفي الحديث بيان أن الشيطان يفر عند سماع النداء بالصلاة وله ضراط وكذلك يفر عند الإقامة ، أما والمسلمون فى الصلاة يقبل عليهم بخواطره ووساوسه ، فيتدخل بين عقل الإنسان وقلبه فيشغله عن ذكر ربه والصلاة ، فيفقد المسلم السيطرة على إدراك عدد الركعات التى أدّها أو التي لم يؤدها بعد ..

وهذا الحديث إما أن يحمل على ظاهره ، وهومحال لتعارضه مع القرآن الكريم واللغة وأساسيات التوحيد والعدل ؛ فخواطر الشيطان التى يقذفها فى قلب الإنسان ووسوسته له ، تعنى أن للشيطان قدرات هائلة تساويه بخالقه ، عز وجل عن هذا الكفر والشرك البيّن ..

كما أنه يتعارض مع حقيقة التكليف والعدل الإلهى ، أن يسلط عدوه على وليه فى أخص لحظات العبادة وهو الصلاة ، فلا يبقى له اختياراً فهو إذن مجبور جبراً على السهو والخطأ بفعل غيره ، وهو الشيطان ، ثم كيف يخطر للإنسان دون أن يشعر الإنسان بذلك عن طريق حاسة من الحواس ! ..

وكذلك الكلام إن قالوا إنه من شياطين الإنس ؛ لأن المشاهد أنهم لا يوسوسون لنا فى الصلاة ،أما من قال إن له منقاراً يصل به إلى قلب الإنسان من أذنيه ، فهو لغو باطل وهراء لا يقبله إلاالحمقى .

والصواب أن معنى هذا الحديث هو كناية عن خواطر النفس ووساوسها للإنسان فتلهيه عن الصفاء والطمانينة فى الصلاة ، وهو جائز ، أما القول بشيطان يفعل ذلك على الحقيقة من الجن أو الإنس فهو محال ، ثم كيف يدخل الشيطان إلى أماكن

---

(١) الفتح ٦١ / ٣٨٨ ، حديث رقم ٣٢٨٥ .

الطهارة والعبادة ، على عباد الله المتطهرين ، في عبادة هي ذكر خالص لله ، تعالى ، فيوسوسهم .. اليس ذلك ناقضاً لما قالته المجبرة وسائر طوائف المسلمين من قبل أن الذكر والقرآن والطهارة حرز من الشيطان، والصلاة جامعة لها ؟!

اولا يتعارض ذلك مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (١) .

إن المشكلة ليست فيمن وضع قانوناً للتاويل والفهم ، ومعايير وضوابط لقبول الرواية أو طرحها زائدة على كونها صحيحة من ناحية السند ؛ المشكلة الحقيقية في طائفة تأخذ الكلام على ظاهره ، وتجريه كما هو ، فتفقد القرآن مصداقيته والفكر الإسلامي اهم حقائقه ، وهو توحيد الله الواحد القادر ، الذى لا شريك له من إنس او جان او غيرهما من المخلوقات ؛ فالله ، تعالي عن ذلك ، لم يجعل لإبليس سلطاناً مساوياً لسلطانه وقدرات حرم منها أوليائه للتصرف في الكون، وفي مقادير الأمور وقلوب أوليائه على وجه الخصوص ليفتنهم ، ولو فعل ذلك لكان إبليس في تسلطه ووسوسته مطيعاً لربه ، يستحق الثواب والمكافاة ، وكان الله ظالماً لعباده !..

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد اختلف المتكلمون الإسلاميون حول شر وسواس الشيطان ، كيف يوسوس؟

( ١ ) فقال فريق منهم : إنهم يوسوسون ، وقد يجوز أن يكون الله ، تعالى ، جعل الجو اداةً لهم ، أو جعل لهم أداة ما غير الجو ، وذلك متصل بالقلب ، فيحرك الشيطان تلك الآلة من جهة بعض خروق الإنسان فيوصل الوسوسة إلى قلبه بتلك الآلة ، مثال ذلك انك تأخذ الرمح وبينك وبين الإنسان عشرة اذرع ، فتكلم فيه فيسمع الإنسان إذا كان الرمح مجوفاً ، وكان متصلاً بسمعه (٢) .

ولا خلاف في أن إمكانية الاتصال معقولة ولا يشك فيها أحد ، وتطور وسائل الاتصال في عصرنا تطوراً مذهلاً يساعدنا على استيعاب إمكانية وسوسة الشيطان الجنى للإنسان من طرف خفى ، غير ان الخلاف في هل

---

( ١ ) سورة الإسراء آية ٦٥ .

( ٢ ) الأشعرى ؛ مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ١٠٩ .

يصل ذلك إلى القلب والعقل ويتغلغل في النفس والخواطر ويتطرق إلى الرؤى والفكرام لا ؟!.. ويساعدنا ان كل ذلك من قبيل الحسيات التي يمكن إدراكها أو عقلها .

( ٢ ) الفريق الثاني: قال بأن جسم الشيطان أرقُّ من اجسامنا ، وكلامه اخفى من كلامنا ؛ فيجوز أن يصل إلى سمع الإنسان فيتكلم بكلامه الخفيِّ ، فيكون ذلك هو وسوسته .

وهذا الرأى يعترض عليه باختلاف القابل والماهية ، مما يعنى عدم استقبال احدهما عن الآخر ، وإن امكن ذلك من الشيطان للإنسان فهلا أدركه الإنسان وتحاور معه .. ام أن النتائج مقدمة على الوسائل والرسالة تصل مشفرة دون اى حامل لها ؟! [١]

( ٣ ) وقال فريق ثالث : قال بل يدخل إلى قلب الإنسان [٢] . بنفسه حتى يوسوس فيه .

وهذا الفريق لا يبالي باعتراض المعترضين ولا شغب الخصوم ؛ وآراؤه وافكاره سابقة على العقل والنص معاً ؛ ويأتي بعد ذلك فيبحث فيهما عما يؤيد آراؤه . وهم أصحاب الطبع أومن يؤيد الأسطورة والخرافة ويؤثر الفكر السلفي أياً كانت قيمته واهميته ، فتقليد الآباء ومتابعة الاجداد امر يلزمهم تماماً .

ينبغي بعد ذلك معرفة رأى الكلاميين في قضية علم الشيطان لما في القلوب ، حيث يذكر الأشعرى في مقالاته انهم اختلفوا حول : هل يعلم الشيطان ما في القلوب أم لا؟ على ثلاث مقالات :

( ١ ) فقال إبراهيم ومعمر وهشام ومن اتبعهم : إن الشياطين يعلمون ما يحدث في القلوب ، وليس ذلك بعجيب ؛ لأن الله ، عز وجل ، قد جعل عليه دليلاً ؛ ومحال أن يدخل الشيطان قلبَ الإنسان .

---

( ١ ) المصدر السابق ؛ ٢ / ١٠٩ .

( ٢ ) السابق ، الصفحة نفسها .

مثال ذلك أن تشير إلى الرجل : أقبِل – أو أدبِر . فيعلم ما تريد ، وكذلك إذا فعل فعلا عرف الشيطان كيف ذلك الفعل ، فإذا حدَّث نفسه بالصدقة والبرّ عرف ذلك الشيطان بالدليل فنهى الإنسان ، عنه ، هكذا حكى «زرقان»[1] .

وهذا الرأى يتفق مع العقل من حيث كونه يحمل أشارات وأمارات ودلالات على معرفة الشيطان لتصرفات الإنسان الحركية والقلبية من حركاته .

(٢) فريق آخر من المتكلمين من المعتزلة وغيرهم رأى أن الشيطان لا يمكنه معرفة ما فى قلب الإنسان ؛ فإذا حدَّث الإنسانُ نفسه بصدقة أو بشئ من أفعال البرّ نهاه الشيطان عن ذلك ، على الظن والتخمين» .[2]

وهذا الرأى يلاحظ اتفاق ما ينهجه في هذه المسأله مع أصول الدين وآيات القرآن الحكيم قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾[5] .

ولا يوجد فى كتاب الله آية تصرح أو تلميح على أن الشيطان يعلم سرائر النفوس وخبايا القلوب .

(٣) **وقال فريق ثالث** : إن الشيطان يدخل فى قلب الإنسان فيعرف ما يريد بقلبه[6] .

وهذا الرأى هو ما نعارضه بشدة فى كتابنا ، وحسبنا من تهافته تعارضه مع الشرع والعقل ولا يحظى بالقبول سوى فى الأوساط الساذجة ، والتى طرحت العقل وراءها ؛ وتبنت الخرافة بشدة .

* * *

---

(١) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ٢١ / ١١٠ .

(٢) المقالات ٢١ / ١١٠ .

(٣) سورة الملك آية ١٣ .

(٤) سورة يس آية ٧٦ .

(٥) سورة الأنعام آية ٣ .

(٦) السابق ، الصفحة نفسها .

## ٢- الشيطان وصلاة الرسول، ﷺ

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه : **«عن النبى ﷺ أنه صلى صلاة فقال : إن الشيطان عرض لى فشدَّ علىَّ يقطع الصلاة علىَّ ، فأمكننى الله منه .. فذكره»** [١] .

كما ذكره البخارى بتمامه في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ( ص : ٣٠ ) : ﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : **«إن عفريتاً من الجن تفلّت البارحة ليقطع علىَّ صلاتى ، فأمكننى الله منه ، فأخذته ، فأردت أن أربطه على سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخى سليمان ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾** [٢] سورة ص ٣٥ . **فرددته خاسئاً »** [٣] .

قال الحافظ قوله ﴿ **فذكرت دعوة أخى سليمان** ﴾ اى قوله ﴿ **هَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي** ﴾ (سورة ص ٣٥ ) ، وفى هذه إشارة إلى انه تركه رعاية لسليمان عليه السلام ، ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن فى جميع ما يريده لا فى هذا القدر فقط . .

وهذه العبارة الأخيرة غير مفهومة فقد بين النبى ﷺ أنه ترك هذا الجنى رعاية لأخيه سليمان ، وكان قادراً على أن يربطه ولم يفعل .. ثم يظهر من كلام الحافظ أن خصوصية سليمان باستخدام الجن منعت النبى ﷺ من ذلك ، فأى خصوصية هذه ، والنبى يقرر أنه رغب فى ربطه ، اى أنه كان قادراً على ذلك ؟!

ثم ذكر الحافظ كلاماً للخطابى ، صاحب المعالم والمتكلم الأشعرى المعروف ، يفيد إمكانية رؤية الجن، استدل الخطابى بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن فى أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم ، قال : وأما قوله تعالى ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بنى آدم ، وتعقب بأن نفى رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية ، بل ظاهرها أنه ممكن ؛ فإن نفى

---

( ١ ) البخارى ٦ / ٣٨٨ ، حديث رقم ٣٢٨٤ ، ٣ / ٩٨ .

( ٢ ) جاء فى الفتح ٦ / ٥٢٧ خطأ بين فى المطبوعة ﴿ رب هب لى .. ﴾ والصحيح ما اثبتناه ، وهو خطأ مطبعى لا غير .

( ٣ ) الفتح ٦ / ٥٢٧ .

رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ، ولا ينفى إمكان رؤيتنا لهم فى غير تلك الحالة.

وهذا كلام غير مفهوم ورد لكتاب الله بلا مبرر واضح ، غير انه تصور أن فى الحديث ما يدل على رؤيتهم ولذلك يذكر الحافظ راى أكثر العلماء بأن نفى الرؤية فى الآية على العموم ، ومن قال بغير ذلك فهو مخطئ : « ويحتمل العموم ، وهذا الذى فهمه أكثر العلماء متى قال الشافعى : من زعم انه يرى الجن ابطلنا شهادته . واستدل بهذه الآية [1] .

ورحم الله الشافعى كان نوراً يهتدى بعلمه واجتهاده ونظره .

وقد تطرق إلى هذه المسالة الاصوليين : هل يرى الإنسان الشياطين فى الدنيا أم لا ؟

( ١ ) **فقال فريق** : لا يجوز ؛ إلا ان يريهم الله ، سبحانه ، نبياً ، أو يجعل رؤيتهم علماً ودليلاً على نبوة نبى ، وقد يقدر الله ، سبحانه ، ان يُرى عباده الملائكة والشياطين من غيران يقلب خلقهم ، وقد يرى الإنسان الملائكة فى حال المعاينة .

( ٢ ) **وقال فريق آخر** : لا يجوز ان يُروا بحالٍ ، إلا ان يقلب الله خلقهم ويُخرجهم عما هم عليه .

( ٣ ) **وقال فريق ثالث** : أنه يجوز أن يُروا فى الدنيا من غير ان يقلب الله خلقهم ، ومن غير ان يجعل ذلك دليلاً على نبوة نبى .

( ٤ ) **أما الفريق الرابع** : فقد انكر الجن والشياطين ، ونفى وجودهم على الأرض ، واثبت وجود الإنسان وحده [2] .

فاى هذه الآراء اقرب إلى قلبك وعقلك ، او ليس ما جاء فى كتاب الله واتفق مع أصول العقيدة ومناهج التوحيد ؟!!

ويقول احد العلماء النفسانيين : أما الشياطين فهم أرواح غيرمنظورة ، ولا يمكن

---

( ١ ) الفتح ٦١ / ٥٢٠ .

( ٢ ) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ٢ / ١١٤

الاستدلال عليها بالحواس وهى ترانا من حيث لا نراها ، قال الله ، تعالى ، محذراً من الشيطان الأكبر إبليس وفتنه : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] . والشيطان من خليقته الآذى والكبرياء وإلحاق الضرر بالإنسان بدون سبب أو معرفة سوى دوافع الحقد والمقت ؛ لأنه يعتبر الإنسان عدوه المبين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[2] فهو ماكر محتال وسياسى ما هر فى إضلال الإنسان .

وللشيطان مع النفس الغريزية تحالف وانسجام ، وهى ما نسميه لمة الشيطان فى مقابل الملك فى النفس العليا ، وكثيراً ما تحاول الأولى خداع الثانية فتخدعها، بإقامة المبررات على قبول الرزيلة أو الفن الردئ والفواحش التى تطير فى الهواء عن طريق الشاشة الفضية أو البيضاء أوالمسرح ؛ فالقائم بها حليف للشيطان والمستقبل لها كذلك .

والحل فى الدعوة إلى فن جميل يدعو للفضيل والجمال ، وهادف يدعو إلى إصلاح المجتمع وتقويم الأخلاق ويتبنى القيم العليا للإنسان .. إن من وراء الفن الهابط شياطين الإنس والجن ، ومن ورائهم هوليود سينما العرى والعنف والطلقات ، ولا غرابة أن تقوم حضارة الغرب على الطلقة والقبلة الفاحشة والليلة الساخنة ، أما نحن فحضارتنا قامت على نقيض ذلك تماماً ؛ فدعت للخير والحق والفضيلة والعدالة الاجتماعية واحترام الإنسان والحفاظ على آدميته وصيانة الحقوق وأداء الواجبات ، والفن الجميل الراقى ، الذى يسمو بالإنسان ويغذى عقله وروحه .

لقد تحالف الغرب مع الشيطان فاخرج له مدنية منكرة ومشوهة الوجه والفعال ، فيوم أن نهض دعا إلى المادية والنفعية والبرجماتية ، ونبذ الإنسان والقيم العليا وداس على كل شئ فاستعمر وقهر غيره من البشر ؛ وأشارع العنصرية وجعل من حقه استعمار الآخرين واستغلال مقدراته وخيراته ؛ وتبنى الراسمالية الفاحشة التى لاترعى سوى الحفنة المالكة المستغلة على حساب الجماهير الفقيرة المعدمة ؛ وعلى النقيض من ذلك تبنى الشيوعية فى أسوا صورها ، فاشارع الديكتاتورية فاهلك الإنسان من

---

( ١ ) سورة الأعراف آية ٢٧ .

( ٢ ) سورة فاطر آية ٦ .

أجل الوصول إلى الهدف الاسمى ، ووزع الفقر بدلاً من ادوات الإنتاج ، واهلك الحرث والنسل وخلف البلاد من ورائه خراباً .

أما الديكتاتورية والديمقراطية فعنده سواء طالما حمت الاغنياء وأموالهم وأرضهم، وحافظت على تفوقهم ، وطبقت كلا السياستين تطبيقاً مجحفاً فى العالم الثالث ، بنفسها او عن طريق عملائها ، أو ليس بعد ذلك يحق لنا أن نسميهم حلفاء الشيطان؟!

لقد وظف الغرب العلم من أجل الحرب أكثر من توظيفه للسلام، وجرب فى العالم الفقير جميع أنواع الأسلحة ، وانبت فى كل أرض خراباً ، وصنائع له يشترون ما ينتجه من سلاح ، لتزداد مديونية الدول الفقيرة ويوجه السلاح إلى صدورهم وقهرهم به ، ويزداد الغرب تخمة ، وجبال السمن والزبد إرتفاعاً !

ففى الوقت الذى يرمى الغرب القمح فى البحر ؛ ليحافظ على اسعاره العالمية تحت مسمى قيم السوق ، يموت كل يوم أكثرمن ٢٥٠ الف طفل فى العالم الثالث ، تحت وطئه الجوع والظروف السيئة !..

إنه لا يفعل ذلك إنسان ابداً ، بل شيطان رجيم يحق لنا حربه بكل ما نملك . فلا فرق بين استعمار يحتل أرضنا عسكرياً ، واستعمار يحتل أرضنا اقتصادياً أو يمارس علينا شتى الضغوط السياسية لنقبل سلاماً غير متوازن بالمرة ، تحت التهديد النووى أو يصنع بديلا لمفهوم السلام ، فبدلاً من أن تكون الأرض مقابل السلام .. يتحول إلى الأمن مقابل السلام .. واكيد يقصدون امننا نحن فى أرضنا ، فمن يقبل بهذا ؟!..

* * *

## ٣ - الشيطان والالتفات فى الصلاة

عن عائشة رضى الله عنها . سألت النبى ﷺ عن التفات الرجل فى الصلاة . فقال : «هو اختلاس يختلس الشيطان من صلاة أحدكم»[١].

قال الحافظ ابن حجر : قوله ﴿هو اختلاس﴾ اى اختطاف بسرعة ، ووقع فى «النهاية» : والاختلاس افتعال من الخلسة وهي ما يؤخذ سلباً مكابرة ، وفيه نظر .. اى انه رد هذا المعنى ، ثم قال غيره : المختلس الذى يخطف من غير غلبة ويهرب ولو مع معاينة المالك له والناهب يأخذ بقوة ، والسارق يأخذ فى خفية .

فلما كان الشيطان قد يشغل المصلى عن صلاته بالالتفات إلى شئ ما بغير حجة يقيمها اشبه المختلس . وقال ابن بزيزة : اضيف إلى الشيطان؛ لأن فيه إنقطاعاً من ملاحظة التوجه إلى الحق سبحانه .

وقال الطيبى : سمى اختلاساً تصويراً لقبح تلك الفعلة بالمختلس ؛ لأن المصلى يقبل عليه الرب ، سبحانه وتعالى ، والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه، فإذا التفت اغتنم الشيطان الفرصة فسلبه تلك الحالة .. ثم قال : وكان المصنف أشار إلى أن علة كراهة الإلتفات كونه يؤثر فى الخشوع - كما وقع فى قصة الخميصة - ويحتمل أن يكون أراد أن ما لا يستطاع دفعه معفو عنه ، لأن لمح العين يغلب الإنسان، ولهذا لم يُعد النبى ﷺ تلك الصلاة[٢] .

وهو من قبيل التصوير والكناية وليس على حقيقته لتعارضه مع قوله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[٣] .. ولأن المصلي في عبادة فيها الذكر والقرآن وهو على طهارة ، وهي الشروط التى اشترطها المحدثون من قبل فى حديثهم عن الظروف التى يحفظ الله بها الإنسان من وساوس الشيطان ويقيه منه بها .. فلزم مما سبق إما نقضهم لكلامهم السابق فى التفسير سابقاً للإستعاذة أو آيات الكتاب الحكيم ، أو بطلان تأويلهم .

---

(١) البخارى ٢ / ٣٩٠ حديث ٣٢٩١ ، وكذلك ٢ / ٢٧٣ حديث ٧٥١ .

(٢) الفتح ٢ / ١٧٥ .

(٣) سورة الإسراء آية ٦٥

وقد أحسن البغوى حين قال : إن النهى عن ذلك لا يدرك معناه ؛ وجعله من قبيل التعبد الذى يجب الإيمان به [1] .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② ﴾ [2] ، فقد حث الله ، تعالى ، المؤمنين على الخشوع ، روى أن النبى ﷺ كان يصلى رافعاً بصره إلى السماء ، فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده .

وكان الرجل من العلماء إذا قام إلي الصلاة ، هاب الرحمن أن يشدَّ بصره إلى شئ ، أو يحدِّث نفسه بشأن من شأن الدنيا . وقيل : هو جمع الهمة لها ، والإعراض عما سواها .

ومن الخشوع : أن يستعمل الآداب ، فيتوقى كفَّ الثوب ، والعبث بجسده وثيابه، والالتفات ، والتمطى ، والتثاؤب ، والتغميض ، وتغطيه الفم ، والسدل ، والفرقعة ، والتشبيك ، والاختصار ، وتقليب الحصا .

روى عن النبى ﷺ ، أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال : « لو خشع قلبه خشعت جوارحه » [3] .

ونظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصا ، وهو يقول : اللهم زوجنى العين ، فقال : بئس الخاطب أنت ! تخطب وأنت تعبث . فإن قلت : لم أضيفت الصلاة إليهم ، قلت : لأن الصلاة دائرة بين المصلى والمصلى له ، فالمصلى هو المنتفع بها وحده ، وهى عدَّته وذخيرته فهى صلاته . وأما المصلى له ، فغنى متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها [4] .

***

---

(١) الفتح ؛ ٢ / ٧٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١ ، ٢ .

(٣) أخرجه الترمذى ، والسيوطى ؛ الجامع الصغير ؛ ٢ / ١٣٠ .

(٤) الزمخشرى : الكشاف ؛ ٣ / ١٧٥ .

## ٤- المار شيطان

عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي ﷺ : «إذا مر بين يدي أحدكم شئ وهو يصلي فليمنعه ؛ فإن أبى فليمنعه ، فإن أبى فليقاتله ، فإنما هو شيطان »[١] .

علل الحافظ قوله ﷺ على من اراد المرور بين يدي المصلي بانه شيطان ؛ بان فعله فعل الشيطان ؛ لانه أبى إلا التشويش على المصلي . وإطلاق الشيطان على المارد من الإنس سائغ شائع ، وقد جاء في القرآن قوله تعالى : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [٣] . وقال ابن بطال : في هذا الحديث جواز إطلاق لفظ الشيطان على من يفتن في الدين ، وأن الحكم للمعاني دون الأسماء ؛ لاستحالة ان يصير المار شيطاناً بمجرد مروره . انتهى .

وهو مبني على ان لفظ « الشيطان » يطلق حقيقة على الجني ومجازاً على الإنسي . وقال آخرون إنه يجوز أن يكون معه شيطان ، وفي رواية مسلم « فإن معه قرين » .. وفي رواية للبخاري « فإنما معه شيطان » .

والمقصود بالمقاتلة المدافعة اللطيفة لا حقيقة القتال ؛ لان مقاتلة الشيطان إنما هي بالاستعاذة والتستر عنه بالتسمية ونحوها ، وإنما جاز الفعل اليسير في الصلاة للضرورة، فلو قاتله حقيقة المقاتلة ، لكان اشد على صلاته من المار [٤] .. وهذا من أحسن ما ذكر الحافظ ابن حجر على لسان العلماء في تفسير معنى الشيطان في هذا الحديث .. وتأكيده على ان هناك من الإنس شياطين ، أي يفعلون فعل الشياطين ببين أن هناك دوافع داخلية تحرك الفعل الشرير هي نوازع وشهوات وميول .. إذن فلا عجب من أن يكون شيطان الإنسان هو هواه .. فالمار بين يدي المصلي في الغالب مصلي مثله إلا أن الهوى والعناد دفعاه إلى الإصرار على المرور بين يدي أخيه الذي يصلي دون العبور من طريق آخر ؛ ولذا جاز دفعه دون أن يبلغ الأمر حد العنف .. فالمقصود بالمقاتلة مجرد الدفع الخفيف ، حتى ينثني عن فعله الخاطئ ويتحول بعيداً عنه .

---

( ١ ) الفتح ٢١ / ٧٢ .

( ٢ ) الفتح ٦١ / ٣٨٦ . حديث رقم ٣٢٧٤ ، وكذلك ١ / ٦٩٣ حديث رقم ٥٠٩ .

( ٣ ) سورة الأنعام آية ١١٢ .

( ٤ ) الفتح ١١ / ٦٥٥ .

# الفصل الرابع

## ليس لإبليس سلطان على الحياة

١ - الشياطين فى رمضان .

٢- صدقك وهو كذوب .

٣- وصاح إبليس فى أحد .

٤- إبليس والليل .

٥- إبليس والنسيان .

٦- إبليس والفتنة .

٧- إبليس والوسوسة .

٨- معرفة أسرار النفس عند الغزالى .

٩- كيف تحدث الخواطر المختلفة ؟

# الفصل الرابع
## ليس لإبليس سلطان على الحياة

رأينا فى الفصل السابق أن تدخل الشيطان فى عبادة المسلمين الكبرى ، وهى الصلاة ، مجرد وهم ، وكناية عن صراع الإنسان لملذاته وشهواته وميوله ونوازعه ، أى أهواؤه النفسية .. أما إنه يأتى فيخطر للمسلم فى الصلاة على وجه الحقيقة ويقذف في قلبه أفكاراً تشغله عن صلاته فهذا لا يحدث أبداً .. لا من شيطان الجن ولا شيطان الإنس.. وإلا لادركنا ذلك عن طريق الحواس والعقل .. والتسليم بذلك على حقيقته يدخلنا في حساب آخر .. يجعل من المسلم مجرد بقايا حطام متداع ، لا قدرة له على بناء الحياة والجهاد في سبيل الله .. إذ إنه يؤتى في مواضع الشرف والعز، ولا يستطيع دفع هذا الشيطان عن نفسه .. فكيف يجهاد دولة الشيطان وهو معها بجنوده ونفسه وعتاده ، الذى لا ندرى حجم قوته .

المهم على المسلم أن يتيقن أن إبليس ليس له سلطان على الزمان أو المكان أو النفس.. وأن الله قد حفظ دينه وله الملك وحده على الأكوان والمخلوقات لا شريك له في ذلك ولاند .. وما سنعرضه فى هذا الفصل من أحاديث فى ضوء ما ذكرنا .

فما دلالة أن تصفد الشياطين في رمضان وأن تطلق فيما عداه ، وماذا قصد الرسول، ﷺ ، بقوله لأبى هريرة عن ذلك الشيطان الذى أتاه «صدقك وهو كذوب»؟! وكيف يمكن قبول صدق الكذوب وجعله ديناً نتعبد به لرب العالمين ، وأن يعلم ذلك الكذوب ما لا يعلمه الرسول الرحمة ﷺ عن آية الكرسى ؟!

ثم يأتى بعد ذلك الحديث عن دور إبليس في غزوة بدر ، وكيف أغرى الكفار حتى وقع منهم ما وقع ، فتجنبهم وفرّ هارباً . فهل كان ذلك منه وقوعاً ، أم من شيطان الإنس أبى جهل حقيقة ؟!

وبما أن إبليس شيطان مارد لعين يبغض النور ويحب الظلمة ، التى يظهر فيها هو وذريته ليمارسوا بغيهم وعدوانهم ، فكيف نحذره بالليل وحين دخول الظلمة ؟!.. أخبرنا بذلك رسول الله ، ﷺ ، الصادق الأمين .

ولكن هل يستطيع إبليس التدخل فى الذاكرة حقيقة ، وأن ينسى بنى آدم بعض

معارفهم ويمحوها كأنها لم تكن ، أم أنه على سبيل المجاز اللغوى ؟.. ثم ما دوره في الفتنة، وكيف يوسوس للإنسان ؟!.. هذا ما سنجيب عنه في هذا الفصل .

وعلى القارئ أن يربط بصفة مستمرة بين ما سبق وما سيأتي ، من أوصاف وأدوار وأحوال يعيشها الشيطان ، وأن يسقط بعضها على أفعال الإنسان، فسيجد أن كثيراً من هذه الأمور يأتيها بنى آدم ، فهم أكثر من الشياطين براعةً في إغواء الإنسان وفتنته، وكذلك نتمنى أن يكون القارئ على وعى كاف ، فيسقط هذه الأحوال على دولة الشيطان «إسرائيل» وما تفعله بنفسها ، أو عن طريق اللوبى الصهيونى في العالم أجمع، والذى سيطر على الإعلام والاقتصادعن طريق شراء الأدوات والضمائر ؛ وتدخل الشركات المتعددة الجنسيات في تهديد الاستقرار الوطنى والدولى ، بعودة الاستعمار من جديد ، ولن يستغرب القارئ أن هذه الدولة الشيطان هي الوسيط الأمين ، الذى ينفذ رغبات وأمانى وأمنيات إبليس ، ويحقق ظنه في بنى آدم ، حتى يشمت فيهم فيما بعد !

* * *

## ١- الشياطين فى رمضان

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين»** [١] .

١- **قال الحافظ** : قوله «وسلسلت الشياطين» قال الحليمى : يحتمل ان يكون المراد من الشياطين مسترقوا السمع منهم ؛ وان تسلسلهم يقع فى ليالى رمضان دون ايامه ، لانهم كانوا منعوا فى زمن نزول القرآن من استراق السمع ، فزيدوا التسلسل مبالغة فى الحفظ .. وهذا اجتهاد مقبول ورأى يحتمله الحديث .

٢- **أما الرأى الآخر** : يحتمل ان يكون المراد ان الشياطين لا يخلصون من افتنان المسلمين إلى ما يخلصون إليه فى غيره لاشتغالهم بالصيام الذى فيه قمع الشهوات وبقراءة القرآن والذكر .. وهذا الاحتمال يتعارض مع نص القرآن ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٢] فقد خلق الله الجن لعبادته كما خلق الإنس ، إلا ان الجن والإنس تركوا لحرية الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، فمن آمن واطاع اهتدى للفطرة ودخل فى حظيرة الإيمان ، ومن كفر وعصى فقد اوتى من جانب نفسه . قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [٣] .

كما ذهب إلى تصور هؤلاء الشياطين بأنهم بعض المردة منهم وأيد ذلك بحديث اخرجه ابن خزيمة فى صحيحه وغيره عن ابى هريرة : **«إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن»** . والقصد ان الشياطين يقل إغواؤهم فى هذا الشهر ، فيصيرون كالمصفدين .

وقريباً مما سبق الاحتمال القائل بان ابواب الجنة تفتح فى رمضان هوكناية عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة ؛ اما غلق أبواب النار عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات .

---

(١) البخارى ؛ ٤ / ١٣٥ حديث رقم ١٨٩٩ ، وكذلك ٦ / ٣٨٧ حديث رقم ٣٢٧٧ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٣) سورة النساء آية ١١١ .

وقد نقد الحافظ ابن حجر راى الزين بن المنير بانه لا حاجة إلى صرف المعنى عن ظاهره بأن فيه نظر .. وكذلك ذهب القرطبى إلى حمل هذا الحديث على ظاهره .

ومما وفق فى تأويل الحديث التوربشتى الذى ذهب إلى ان فتح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد اعمال العبادة تارة ببذل التوفيق وأخرى بحسن القبول ، وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه انفس الصوام عن رجس الفواحش، والتخلص من البواعث عن المعاصى بقمع الشهوات .

ورد أصحاب الظاهر على من عارضهم بان الشرور والمعاصى واقعة فى رمضان كثيراً، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك ؟ .. إنها تقل عن الصائمين، الصوم الذى حوفظ على شروطه وروعيت آدابه ، أوان المصفد بعض مردة الشياطين ، وليس كلهم، أو ان المقصود ان الشرور فيه تقل عن غيره ، وهو أمر محسوس فى رمضان . إذ لا يلزم من تصفيدهم ان لا يقع شر ولا معصية ؛ لان لذلك أسباباً غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية .

ورغم قبول اغلب هذه التاويلات ، إلا ان القول بأن شياطين الجن همهم إغواء الإنسان هو المرفوض ؛ لانهم عباد امثالنا مكلفون وليس من التكليف تصفيد هؤلاء.. ولذلك وفق من قال ان ذلك يقع على بعض المردة من غيرهم .

– أما من يرى ان الجن خيرون والشياطين أهل شر ، وإن كانوا من جنس الجن فيجرى كلامه على الصواب إن شاء الله – أو من انتهى التكليف فى حقهم وسلسلوا فى النار ..

كما ان الإشارة إلى ان الهوى والشهوات هى الدافع إلى ان مع كل إنسان شيطانه الداخلى الذى عليه مجاهدته ودفعه عنه بالصوم والطاعات والتزام الشرع .

كذلك الإشارة إلى ان الشياطين الإنسية لا يسلسلون ، ولذا فهم ما زالوا فى رمضان وغيره ، ينشطون بين الناس ويسعون فى الأرض فساداً .. وهذه إشارة صواب وصحيحه .

* * *

## ٢- صدقك وهو كذوب!!

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ – فذكر الحديث :

– فقال : – إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، لن يزال عليك من الله حافظ؛ ولا يقربك شيطان حتى تصبح .

فقال النبى ﷺ : «صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان»[١] .

يقول ابن حجر . . فى فوائد هذا الحديث ان الشيطان قد يعلم ما ينتفع به المؤمن ، وأن الحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا ينتفع بها وتؤخذ عنه فينتفع بها ؛ وان الشخص قد يعلم الشئ ولا يعمل به ، وأن الكافر قد يصدق ببعض ما يصدق به المؤمن ، ولا يكون بذلك مؤمناً ؛ وبان الكذاب قد يصدق ، وبان الشيطان من شانه ان يكذب ؛ وانه قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته وان قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[٢] مخصوص بما إذا كان على صورته التى خلق عليها ، وأن من اقيم فى حفظ شئ سمى وكيلا ، وأن الجن يأكلون من طعام الإنس ؛ وانهم يظهرون للإنس لكن بالشرط المذكور ، وانهم يتكلمون بكلام الإنسى ، وأنهم يسرقون ويخدعون ، وفيه فضل آية الكرسى وفضل آخر سورة البقرة ، وأن الجن يصيبون من الطعام الذى لايذكر اسم الله عليه ؛ وفيه أن السارق لا يقطع فى المجاعة ، ويحتمل ان يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب ، ولذلك جاز للصحابى العفو عنه قبل تبليغه إلى الشارع . وفيه قبول العذر والستر على من يظن به الصدق . وفيه اطلاع النبى ﷺ على المغيبات .

ووقع فى حديث معاذ بن جبل أن جبريل ، عليه السلام ، جاء إلى النبى ﷺ فاعلمه بذلك . وفيه جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر ، وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها[٣] .

---

(١) البخارى ٤ / ٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ حديث رقم ٣٢٧٥ ، وفى كتاب الوكالة باب ١٠ ، ٤ / ٥٦٨ حديث رقم ٢٣١١ .

(٢) سورة الأعراف آية ٢٧ . (٣) الفتح ، ٤ / ٥٧١ .

هذا ما ذكره الحافظ فى فوائد الحديث ؛ وقد ذكر له روايات أخرى ؛ وهو يسلم به تماماً ويتركنا أمام تساؤلات منها إما الإيمان بما جاء فى هذا النص أو الإيمان بما جاء فى القرآن الكريم عن إبليس والجن .. ولنناقش سوياً الفوائد التى استشفها من الحديث ؛ ومن ذلك كيف يمكن للمؤمن أن ينتفع من حكمة الكافر إن كانت نصحاً له فى دينه؛ ثم كيف يصدق الكذاب سيما إن كان عدواً لدوداً لى وأنزله منزلة المعلم وأرضى بقوله ونصحه وإرشاده ؟!..

أما أن الشيطان يمكن أن يتصور فى صورة الإنسان وصور أخرى فهو ما يعنى قدرته الهائلة على التشكل والتلون ؛ فلا يؤمن علينا من أن يفتننا عن ديننا فى أى وقت أراد إن جاءنا فى صورة شيخ أو عالم دين مثلاً .

وهذا يتعارض مع قوله ، تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [(١)] فهل من الضعف أن يأتى فى صورة إنسان مرة وحيوان أخرى ، ويعلم ما لا يعلمه أولياء الله عن دينهم ؛ كما يتعارض مع قوله ، تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [(٢)] وفى الحديث تسلط الشيطان على ولى الله سيدنا ، أبى هريرة ، حتى كاد أن يفتنه ، أولا يوجد هنا شئ من التناقض ؛ فماذا أبقى عدو الله لوليه ، ولمَ أمهله الرسول ﷺ ثلاث ليال حتى يخبره بأن الذى ينتهب طعام الصدقة ويكذب عليه شيطان من شياطين الجن ؟!

ويشير الحديث أن ما علمه الجن ، لأبى هريرة ، لم يكن قد أخبر به الرسول ﷺ أصحابه ، وإلا كان أبو هريرة قد عرفه ، ويؤكد ذلك تصديق رسول الله ﷺ لمقالة الجنى فى آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة . فهل هذا الجنى يعرف ما لا يعرفه النبى المعصوم الموحى إليه من ربه عن القرآن ، وهو عليه يتنزل ؟!..

كما أن قوله ، تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [(٣)] ينفى تماماً تنزل الجن إلى الأرض ، وتتمثل فى طبيعة طينية وتتعامل مع الإنسان وغيره ؛ والحديث السابق لا يخصص شيئا ، كما قال الحافظ ، إذ ليس هناك تخصيص من غير

---

(١) سورة النساء آية ٧٦ .

(٢) سورة الإسراء آية ٦٥ .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧ .

مخصص، وإلا إذا جاز للجن الظهور لبني آدم لكان الاولى بذلك رسول الله ﷺ في ليلة الجن .

إن هذا الحديث يتعارض مع القرآن والعقل ؛ ولا يصمد للنقد ؛ وهو اقرب ، إلى الحكايات الشعبية التي يروجها القصاص من غيرها .. ولا ينبغي التسليم بمثل هذا الحديث واعتباره دينا لتصادمه بالعقيدة ؛ إذ لا يعقل ان يمنح الله ، عز وجل ، الإنسان تكليفاً واستطاعة على أدائه ؛ ثم يسلط على عباده شياطين الجن ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً و.

اريد ان انبه على أن المسألة ليست بين العدلية من الزيدية والمعتزلة واهل السنة ؛ لان علماء أصول الدين اشاروا إلى ان أحاديث الآحاد تفيد العمل والظن ولا تفيد العلم القطعي ؛ وهذا الحديث يأخذ به في باب العمل الفقهي أما العلم فلا ، لما ينبغي في العلم من ضرورة القطع واليقين .

وذكرنا من قبل رأى الأصوليين في حقيقة إخبار الجن الناس بشئ أو خدمتهم ، وقلنا أنهم انقسموا إلى فريقين :

**الأول** : تمثل في النظام وأكثر المعتزلة واصحاب الكلام : لا يجوز ذلك ؛ لان في ذلك فساد دلائل الانبياء ؛ لان من دلالتهم ان ينبئوا بماناكل وندخر .

**والثاني** : اجاز ذلك .. وهو رأى القلة الغالبة .

كذلك اختلفوا : هل يجوز أن ينقلب الشياطين في صور الإنس ، أو في غير ذلك من الصور إذا ارادوا ذلك أم لا ؟

**فقال فريق** : بأن ذلك جائز فللشياطين ان ينقلبوا إلى أى صورة شاءوا من الصور، فيكون الشيطان مرة في صورة إنسان ، وفي صورة حية مرة أخرى .

**أما الفريق الثاني** : من المعتزلة وغيرهم ؛ فقال إن ذلك غير جائز ولم يجعل الله ، سبحانه ، إليهم أن ينقلبوا متى ارادوا (١) .

* * *

(١) الاشعرى : المقالات ، ٢ / ١١٤ .

## ٣- وصاح إبليس فى أحد

عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : «ولما كان يوم أحد هزم المشركون ، فصاح إبليس : أىْ عبادَ الله ، أخراكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم ، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : أى عباد الله ، أبى أبى .

فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه فقال حذيفة : غفر الله لكم .

قال عروة : فما زالت فى حذيفة منه بقية خير حتى لحق بالله» (١) .

لم أجد للحافظ ابن حجر شرحاً أو تأويلاً لما جاء فى الحديث من قول عائشة «فصاح إبليس» .. وقد ذكر البخارى الحديث فى مواضع متعددة من صحيحه ؛ منها كتاب المغازى باب غزوة أحد (٢) ؛ ولم يتعرض بالشرح لقول عائشة السابق ؛ ولكنه فى الباب الذى يليه فسر قوله تعالى ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ﴾ (٣) ، وقد نزلت فيمن تولى من المسلمين فى أحد فقال (استزلهم) أى زين لهم أن يزلوا ، وقوله : ﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ (٣) قال ابن التين : يقال : إن الشيطان ذكرهم خطاياهم فكرهوا القتال قبل التوبة ، ولم يكرهوه معاندة ولا نفاقاً ، وهذا تأويل لا يصح إذ كيف ذكرهم الشيطان ؟! .. وهذا أمر يحتاج إلى مواجهة وكلام ومشافهة وحديث ، وكل ذلك لم يحدث يقيناً إذ لو حدث بالفعل لصرح به الصحابة وينتفى لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٤) .

فاللقاء والرؤية والحديث والمواجهة ، بالكتاب ممتنعة وبالعقل ممتنعة ، وليس فى قدرته أن يفعل ؛ ولكن المعنى على الكناية والمجاز أى أنهم لما فروا وأعطوا للمشركين أدبارهم ، كأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا رسول الله ﷺ بفعلهم ، والذى حذرهم ترك أماكنهم مهما يكن من أمر .. فاغرتهم الغنائم لما رأوا فرار الكفار وتركهم لأرض

---

(١) البخارى ، ٦ / ٣٨٩ حديث ٣٢٩٠ .. وفى طبقات ابن سعد وأحمد والواقدى ، على النحو التالى جـ٢ ق ١ ص ٢٩ - ٣٢ ، ١ / ٢٨٧ ، ص ١١٢ ، ١٣٦ .

(٢) الفتح ؛ ١٠ / ٦٢٨ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٥ .

(٤) سورة الأعراف آية ٢٧

أحد وما ظنوا ان خالداً سيكر عليهم بالجيش مرة اخرى .. فكان فعلهم محاكياً لما يحب الشيطان ويريد ويرضى .. يؤيد ذلك نقد الحافظ لتأويل ابن التين فيقول : ولم يتعين ما قال ، فيحتمل ان يكون ا فروا جبناً ومحبة فى الحياة لا عناداً ولا نفاقاً فتابوا فعفا الله عنهم [1] .

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [2] .

وتفسير ﴿ استزلهم ﴾ اى طلب منهم الزلل ودعاهم إليه ﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ اى من ذنوبهم .. والمعنى أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب فى توليتهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفُوا ذنوباً ، فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا.

وقيل : إن استنزلال الشيطان إياهم هو التولى ، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم ؛ لأن الذنب يجرُّ إلى الذنب ، كما أن الطاعة تجرُّ إلى الطاعة وتكون لطفاً فيها .

وقال الحسن ، رضى الله عنه : استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة .

وقيل : ﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ هو تركهم المركز الذى امرهم رسول الله ، ﷺ ، بالثبات فيه . فجرَّهم إلى الهَزيمة .

وقيل : ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها ، فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية [3] .. وهذا الرأى الأخير الذى ذكره الزمخشرى رد عليه الحافظ فيما سبق .

* * *

---

(١) الفتح ؛ ٧ / ٤٢١ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٥ .

(٣) الزمخشرى : الكشاف ؛ ١ / ٤٣٠ .

## ٤- إبليس والليل

عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إذا استجنح الليل - أو كان جنح الليل - فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ ؛ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ؛ وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك واذكر اسم الله ، وخمر إناءك واذكر اسم الله ، ولو تعرض عليه شيئاً »[1] .

شرح ابن الجوزى الفائدة من كف الصبيان عند إقبال الليل وإدبار النهار فقال : إنما خيف على الصبيان فى تلك الساعة ؛ لأن النجاسة التى تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالباً ؛ والذكر الذى يحرز منهم مفقود من الصبيان غالباً ، والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به ، فلذلك خيف على الصبيان فى ذلك الوقت .

والحكمة فى انتشارهم حينئذ أن حركتهم فى الليل أمكن منها لهم فى النهار؛ لأن الظلام اجمع للقوى الشيطانية من غيره ، وكذلك كل سواد . ولهذا قال فى حديث ابى ذر « فما يقطع الصلاة ؟ قال الكلب الاسود شيطان »[2] .

ويبدو من كلام بن الجوزى أن الشياطين من الجن الكافر غير المسلم ، وهو يضرب عابثاً فى الفضاء وينزل فى الليل إلى الدنيا ؛ ويأوى إلى الأماكن الخربة والنجاسات ، والأولاد الصغار كثيراً ما يحرمون حول هذه الأماكن فى لعبهم ؛ وكفهم عن اللعب عند جنوح الظلام حماية لهم من عبث هذه الأبالسة ومسها لهم بشرٌ .. وما جاء فى الحديث منهج إرشادى لاتقاء شر الشياطين والسلامة من أذاهم . ولا ينكر ان يكون لهم أذى مثل اذي الإنسان بالإنسان .. إلا أنه مجرد عبث وإيهام ومس لا يصيب إلا الكفار من أمثالهم فى مواطن خاصة مثل النجاسات والخرابات وفى الظلام وقد يصيب الاطفال لما ذكره ابن الجوزى ..

وقد شغب بعض العلماء على من قال بان الكلب الاسود شيطان لامتناع تمثل الشيطان فى طبيعة غير التى خلقه الله عليها ، وكون الكلب مخلوقاً حيوانياً ؛ لا

---

( ١ ) رواه البخارى فى مواضع كثيرة منها ٦١ / ٣٨٧ حديث ٣٢٨٠ .

( ٢ ) رواه مسلم .

جناية له في كونه أسوداً أو أحمراً ..!.. وكلامهم أقرب للصواب .. فلا الكلب الأسود شيطان ولا أي شئ آخر سوى كونه حيواناً مخلوقاً ولابد له في صفة لونه ولا علاقة له بغيره من مخلوقات الله .. وربما ما ذكره أبو ذر مجرد مثل للتقريب وكان الشيطان على هذه الصفة . وراجع ما ذكرنا من آراء الأصوليين في جواز تقلب الشياطين في صور غير ما خلقهم الله عليه ، وجواز تقلب الجن في صور الإنس وغيرها، والصواب المنع .

وربما كان من الفائدة بيان دور الشيطان في أحداث أواخر القرن العشرين ، فقد عبد الشيطان تحت عناوين كثيرة منها المباشر وغير المباشر ، فقد ظهرت عبادة الشيطان ببلاد العرب عند الرافدين قديماً على يد اليزيدية ؛ وهي فرقة لها طقوس وعادات شيطانية ، وعددها قليل وانحسر عنها الضوء ، إلا أن غيرها من الأندية والمعابد التي شُيدت لعبادة الشيطان في أنحاء المعمورة قد انتشرت وذاعت وشاعت ، حتى صار لأصحابها شعاراً دينياً .

وانضم لهذه الجماعات كثرة من كبار الفلاسفة والمفكرين والفلاسفة والعلماء والأثرياء من آمريكا وانجلترا وفرنسا وألمانيا ، بعد أن سادت المادية وتقوقع الإنسان على نفسه وتضخمت ذاتيته فلم يعدْ يرى غيره، فأخذ يلهث خلف تحقيق رغباته وشهواته ، ورفع لواء اللذة والمنفعة الآنية ؛ واستشعر أن الكون له وحدهُ دون غيره ، فارتفعت معدلات الجريمة والانتحار في كل مكان، وفي الدول الغنية ذات الوفرة الاقتصادية والديمقراطيات المتقدمة على وجه الخصوص .

لقد تسائل الشباب ماذا بعد ؟ فلم يجد إجابة سوى الانتحار والموت ؛ وانتشرت موضة الانتحار الجماعي في بلد كالسويد وامريكا .. لماذا ؟.. لأن الإنسان نسى ساعة أنه إنسان مخلوق .. وهبه الله الحياة حين وهبه ليسعد نفسه والآخرين.. فانحرف وأفسد واتبع هواه ولحقه الصرع والوساوس ، وانهزم من جوانيته ، ولم يعد له هدف يطوى الزمان في تحقيقه وإرضاء نفسه .

إن الإنسان الذى يحرك آلات الدمار ، هو نفسه الذى يعانى الفقر والجوع

---

(١) انظر الأشعرى : المقالات ٢ / ١١١ ، ١١٤ .

والموت .. والإنسان الذى يعانى التخمة والوفرة والموت شبعاً ، هو هو ذلك الإنسان الذى يموت جوعاً وحرماناً ، غير انه فى الغرب ابيض البشرة وفى الشرق اصفر اواسود البشرة !..

لقد تسلط الشيطان على عقل الإنسان فاغراه بقتل جنسه وإبادته موهماً إياه أن الأرض لم تخلق لسواه !

وهو ضرب من الجنون ..

وإذا كان الجنون فنوناً فمن الفنون ما يقتل ، ماذا يمكن ان يقال عن فنون أدواتها الجنس والدعارة والإتجار بالمراة وهتك الاعراض وتفشى مواخير الفسق والفجور ، كل ذلك ملوناً بالمدفع الرشاش والمسدس .. وحلم الإنسان السوبر الذى يعاشر آلاف النساء ويقتل آلاف البشر ، وينام فى الصحراء والجبال ويعود بالتاريخ ملايين الأعوام للوراء . هذا ما تقدمه هوليود .. فهل هنا . حلم عربى غيره يبدى وجه الفن الجميل؟!..

إن النوادى التى يعبد فيها الشيطان وجه حقيقى آخر ، بلا اقنعة ، لسقوط حضارة الغرب التى اتسمت بالأنانية والذاتية والمادية .. وفقدت روح التعاون والتسامى والتعالى عن ظلم الإنسان لاخيه الإنسان ، تحت شعار حق رعاية وامتلاك اصحاب الحضارة «للآخر .. المتخلفين!» حتى يتحضروا مثلهم .

فهل حدث بعد استعمار الرجل الأبيض للعالم أكثر من خمسة قرن أن تحضر العالم مثلهم ؟.. أم أن الغرب استأثر بمقدرات الأرض ، وامتلك مصادر المادة الخام فى أفريقيا السوداء وآسيا .. واذل شعوباً ذات حضارات ، وأفنى حضارات هي أسمى وارقى آلاف المرات مما ابدع الغرب بآلته الصناعية ..

فقد كان الشرق نبع الحضارة والرقى وتخلف تحت وطأة الإجرام والقهر والغزو الاستعمارى والثقافى ، الذى يستهدف الآن القضاء على وجوده بعد ان قضى على مصادر الثروات فى بلاده .. فمن سقوط الخلافة إلى انتحار هتلر .. استوطن اليهود وتشرد الفلسطينيون العرب !..

اعطت امريكا السلاح للعراق لقتال المسلمين بإيران فصفّق العملاء .. وبعد ذلك

تحولت قوى الشر ( قوى التحالف ) للإجهاز عليه ، دون رحمة بعد أن تصور شيطان العراق أن في قدرته قهر إخوانه العرب بالعرب بالكويت !.. فلا افلح هو ، ولا إخوانه العرب .

وأصاب الجميع الانكسار والذل والهوان والإفلاس بعد أن عدنا إلى ما قبل ١٩٦٢م في أرض اللؤلؤ والذهب الأسود.

كذلك اعطت امريكا للثوار في بروندى وراوندا السلاح ، وأداروا عجلة الموت وجربوا الأسلحة المستحدثة في هذه الشعوب الضعيفة، فكانت النتيجة مليون قتيل- أو قريباً من ذلك - طم بهم نهر النيل بعد أن القوا فيه جثث القتلى !

وسلطوا بعض صنائعهم وعملائهم في أفريقيا على شعوبهم ، فاذلوهم وافنوا زهرة شبابهم في السجون والمعتقلات تحت قهر التعذيب والقتل الجماعي والسحل ، حدث ذلك على يدى عيدى أمين بالصومال، وهيل سلاسي بأثيوبيا ، والثوار الجدد عند منابع النهر ، وكذلك على يدى بغل اوغندا الذى قتل شعبه جهاراً نهاراً !

أو ليس كل ذلك فعلاً للشيطان الإنسي ، دولة كان أو فرداً ديكتاتوراً ؟!!

لقد اباد ستالين أكثرمن سبعة عشر مليوناً ( ١٧ ) من المسلمين في الحرب العالمية الثانية ، وما حدث بعدها من هجرة الأقليات المسلمة في بلاد البلقان وآسيا الصغرى إلى مواطن كثيرة من الاتحاد السوفيتي ، كانت تحتاج للعمران وتفتقر إلى الإيدى العاملة ، فاستغل المسلمين أسوأ استغلال ومن بعده جاء من حذى حذوه !.. حتى تفكك الاتحاد ولم ينس النصارى إبادة المسلمين ، الذين شمخت أنوفهم وارتفعت رؤسهم مطالبين بالاستقلال ، اسوة بغيرهم ، حدث ذلك في أوزباكستان وأزربيجان وبخارى والشيشان .. والبقية تاتى !

لقد تجمع الغرب في مواجهة بعرض الجبهة ، ضد المسلمين والعرب في كل مكان.. فبدأوا باضطهاد العمالة العربية في الغرب .. وتاليب القوميات المختلفة ضد المهاجرين الجدد في المانيا ضد الاتراك ، الذين عمروها بعد الحرب العالمية الثانية ، وضد المغاربة في فرنسا بعد أن أدوا واجبهم على أكمل وجه !..

وإسرائيل في الأرض المحتلة لا تالوا جهداً في اضطهاد العرب في الضفة وغزة

والقطاع وفي جنوب لبنان ، وتحاول جهدها عرقلة جهود السلام فى فلسطين وجهود الإصلاح فى كل بلد عربى .. واخذت على عاتقها تاديب العرب ، وتصورت نفسها عسكرى المنطقة الحامى لمستعمرات الغرب السابقة الأمينة !

ولا يمكن كسر الغرور الذرى والنووى الإسرائيلى ، بغير اتحاد العرب ولم شمل الصف العربى .

وبعد على المسلمين أن يروا الشيطان فى هؤلاء الذين حولوا التسامح إلى صراع وصدام حضارات .. ولن يستكينوا او يهدأوا حتى يعودوا مرة أخرى تحت لواء الصليب كماجاءوا من قبل .. ويفعلوا ما فعلوه من قبل .. ولا سبيل - من أجل الحفاظ على الذات والدفاع عن حضارتنا ووجودنا - إلا ان ينهض الشرق المسلم ويأخذ بمرى التقدم ، وأن يصطنع لنفسه مناهج تنافس مناهج التغريب ، فلن نتقدم صناعياً وعلمياً عن طريق التبعية ، لان اقصى ما يمكن ان نصل إليه ان نكون مقلدين مهرة لما صنع الغرب فى أواخر النصف الأول من القرن العشرين مثلاً ، وهو ما لا يحقق الأمل المنشود فى التقدم والازدهار .

* * *

## ٥- إبليس والنسيان

عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس فقال : حدثنا أبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **«إن موسى قال لفتاه آتنا غداءنا ، قال : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به»** [1] .

ولم يتعرض الحافظ ابن حجر لبيان هذا الحديث فى كتاب بدء الخلق ، ولكنه أفاض فى شرحه فى كتاب التفسير [2] ؛ إلا أنه لم يبين هل هذا الشيطان الذى أنسى يوشع بن نون الحوت على الصخرة فى مكتله هو شيطان إنسى أم جنى ، أم إنه العجلة التى لحقت بيوشع لما تقدمه موسى ، عليه السلام ، فى السير ؟!..

وما ذكره الإمام أحمد [3] فى تفسير الآية فيه الكفاية وزيادة ، حيث روى أنه كان لموسى عدو من الناس ، سعى فى قتله ، فلما علم بخروجه خرج وراءه ابتغاء تصيده بعيداً عن أعوانه .. فهو ذلك الشيطان الذى قصده يوشع فى كلامه .. فقد كان يترقبه ويفكر فيه طول الرحلة ،فنسى بسببه الحوت فى المكتل على الصخرة ، حيث عادا إليها فوجدا الخضر بأماراته بجوارها ، فجرى من قصة موسى ما جرى معه من طلب للتعلم والرغبة فى المعرفة .

ولنا تساؤل على هذه المقالة الا وهو هل يستطيع الشيطان أن يُنسى الإنسان ويتدخل فى عقله وتركيبته وذاكرته الحافظة ، فيلغى ويمحو منها ما يشاء ؟!.. شيطان الإنس يفعل ذلك بطرق عدة عن طريق الإيحاء والإيهام ، او عن طريق حصر الضوء عن بعض الأحداث وتسليط الضوء على البعض الآخر ، التى يرغب فى إظهارها .. وقد مارس أساتذة علم النفس التعليمى العديد من التجارب على الحيوانات وعلى الإنسان ، بصدد هذا الموضوع .

فماذا يبقى من الإنسان إن نسى تاريخه وماضيه؛ أونسى أهدافه

---

( ١ ) البخارى فى مواضع كثيرة منها / ٦ / ٣٨٧ حديث ٣٢٧٨ ، وكتاب التفسير ؛ ٨ / ٢٦٢ حديث ٤٧٢٥ - ومسلم؛ ١٥ / ١٢٦ حديث ١٧٠ - ١٧٤ ، والترمذى ، كتاب التفسير سورة الكهف ؛ ٥ / ٢٨٩ حديث ٣١٤٩ - ٣١٥٠ .

( ٢ ) الفتح ؛ ٨ / ٢٦٨ .

( ٣ ) انظر النص فيما يلى .

وخططـــه المستقبلية وعاش بلا هدى من السماء ولا إرشاد من عقل يقظ وضمير حارس ؟!

لقد حاول اليهود مسخ الشخصية العربية بفلسطين فعجزوا عن ذلك ، وحاول الأمريكان السخرية من تاريخ العالم - لأنهم أمة بلا تاريخ - وقيمه وحضارته ؛ والتقليل من شأنها ، فمزقوا بعض الدول وحطموا تاريخها وحضارتها أو ما تبقى من عمران فى حضارتها .. وما حدث ببلاد الرافدين ليس ببعيد .. ومن قبله ما حدث فى الكوريتين وفيتنام ..

والحقيقة أن للأمريكان تاريخ ثابت وطويل فى قهر الحضارات وإخفائها .. فأين هى حضارة الهنود الحمر فى امريكا الشمالية واللاتينية ! .. لقد أجهزوا على شعب باكمله فافنوه تماماً حتى تلاشت حضارته ..

إن الشيطان الأكبر المتربع على عرش العالم يجند رعاياه فى العالم من أجل أن ينسى الإنسان تاريخه المرير وصراعه الطويل مع الشيطان ، بداية من إبليس الأب ونهاية باعوانه ومساعديه فى عصرنا الحالى .

لقد دخل نابليون مصر وهى عامرة بالبنيان ، ولم يخرج منها حتى ترك عمارة القاهرة خراباً يباباً ، فقد كان يهدم كل يوم آلاف المنازل والقصور والشوارع والأزقة والحارات القديمة .. بالإضافة إلى قتل عشرة من طلاب الأزهر وعلمائه كل يوم ! .. لماذا كان يفعل ذلك .. لكى ينسى المصريون تاريخهم ومرجعيتهم الثقافية ، ويسهل غزوهم ومسخهم وتطوير شخصيتهم مرة اخرى ..

لقد كان تاريخ علاقتنا مع الآخر المسيحى الغربى تاريخاً اسوداً مريراً .. دفعت فيه مصر الحظ الأوفى والقدر الأكبر من التضحيات ، لما لها من ثقل واهمية فى تاريخ البشرية .. وما أن تبدأ فى استرداد عافيتها وجمع أمرها وامتلاك خيوط النهضة فيها ، حتى يضربها الغرب فيردها مرة أخرى إلى نقطة البدء !! ..

ولذلك ينبغى على كل مسلم وعربى أن لا ينسى ، تحت تاثير الإعلام الغربى الضخم ودعاوى العولمة والعالمية والتدويل والنظام العالمى الجديد والغزو الثقافى والاقتصادى لذاتنا وأسواقنا ، ينبغى ان لا ينسى ان له تاريخاً وهوية حضارية وثقافة

ذاتية تخصه هو وحده دون غيره ، فلا يشاركه فيها الصيني مثلاً ولا الامريكاني صاحب ثقافة الكاوبوى والبيتزا والتاك أوى !

فاصعب ما يمكن أن ينسى الإنسان حضارته وتاريخه وثقافته وذاتيته ، ويصبح من الغد لا يملك شيئاً سوى انه كان في يوم ما إنساناً له أرض وعرض وأشياء يعرفها وتعرفه !!..

وربما كان البديل الذى أقدمه ، ويغني عن النسيان والتلاشي في الآخر ، هوالحلم القومي الإسلامي والوحدة العربية والإسلامية على كل المستويات .. فيصير العالمين الإسلامي والعربي في الشرق الادنى والأوسط والأقصى ، يغنى اغنية واحدة سياسياً واقتصادياً وثقافياً وإعلامياً .. ولا يتاتى ذلك إلا عن طريق المنظمات العربية الإسلامية المشتركة الفاعلة والناهضة والمهتمة بالشان الشرقي .. فالغرب لن يعطينا شيئاً ، إن لم يأخذ منا طواعية عن طريق السياسة أو غصباً عن طريق الضغط والاستعمار والوسائط العميلة ، كل شئ بدأ من الارض وما فيها من كنوز ، ونهاية بالثقافة والحضارة وما على الأرض من عمران !

* * *

## ٦ - إبليس والفتنة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : «رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال : ها إن الفتنة ها هنا ، إن الفتنة ها هنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان»[١] .

وهناك رواية أخرى «أو قرن الشمس «يعنى المشرق» . . وذكره سالم بن عبد الله بن عمر فى ثنايا خطبته فى أهل العراق : يا أهل العراق ما أسالكم عن الصغيرة واركبكم الكبيرة ؛ سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الفتنة تجئ من ههنا . وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان» .

وفى الحديث أن للشيطان قرنين يسد بهما جهة المشرق حيث تطلع الشمس ، وأصاب ابن حجر فى قوله إنه لا يطلع إلا من جهة واحدة أما باقى الجهات فلا ، وفيه إشارة إلى تخييله لعبدة الشمس بأنه إلههم ومعبودهم ، وأنه يفعل ذلك عند شروق الشمس ولذلك اعتبره الشرع وقت كراهة لا يستحب الصلاة فيه إلا المكتوبة على أشهر الأقوال ؛ وفى الحديث إشارة أخرى إلى أن الفتن من أعمال الشيطان التى يباركها ويناصرها .

يقول ابن حزم : وأما قول رسول الله ﷺ : «إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان ، فإذا ارتفعت فارقها ، فإذا استوت قارنها ، فإذا زالت فارقها وإذا جنحت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها ، ونهى عن الصلاة فى هذه الأوقات»[٢] .

أو كما قال ، عليه السلام ، مما هذا معناه بلا شك . فقد قلنا إنه ، عليه السلام ، لا يقول إلا الحق وأن كلامه كله على ظاهره ؛ إلا أن يأتى نص بأن هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع ، أو يقوم بذلك برهان من ضرورة حسٍّ أو عقل ، فنعلم أنه ، عليه السلام ، إنما أراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك . .

وقد علمنا يقينا أن الشمس فى كل دقيقة طالعة على أفق من الآفاق ، مرتفعة على آخر ، مستوية على ثالث و زائلة عن رابع ، جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس . هذا ما لا شك فيه عند كل ذى علم بالهيئة ، فإذا (كان) ذلك كذلك فقد

---

(١) البخارى ٦١ / ٣٨٧ ، ١٣ / ٤٩ ، الحديث ٧٠٩٢ - ٧٠٩٣ - ٧٠٩٤ .

(٢) مسند أحمد : ٤ / ٣٤٨ .

صح يقينا انه ، عليه السلام ؛ إنما عنى بذلك افقاً ما دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك ، إذ لو اراد كل افق لكان الإخبار بانه يفارقها كذباً ، وحاشى له من ذلك .

فإذاً لا شك فى هذا كله فلا مرية فى أنه ، عليه السلام ، إنما عنى به افق المدينة ، وهو الأفق الذى اخبر اهله بهذا الخبر ، فانباهم بما يقارن الشمس فى تلك الاحوال وما يفارقها من الشيطان .

والله ، عز وجل ، اعلم بذلك القرن ما هو ؟ لا نزيد على هذا إذ لا بيان عندنا فيما بينه إلا انه ليس شئ من ذلك يمتنع أصلا ؛ فصح بما ذكرنا ان أول الخبر خاص ، كما وصفنا ، وان نهيه ، عليه السلام ، عن الصلاة فى تلك الأوقات قضية أخرى ، وقضية ثانية وحكم غير الاول ، فهو على عمومه فى كل زمان وكل مكان ، إلا ما قام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر [1] .

ولنا ان فى الحديث مقاصد اخرى ، كان جدير بالقدماء ان يلتفتوا إليها وان يولوها اهتمامهم .. ومن ذلك أن إشارة النبى ، ﷺ ، إلى المشرق تعنى ان المسلين سيفتحون فى الآفاق بلاداً كثيرة ، ويخرجون من جزيرة العرب دعاة إلى الله .. وستكون لهم علاقات مع اهل البلاد المفتوحة ومع غيرهم ، ومنهم الوثنيون عبدة النار والبد ، واهل الكتاب من النصارى - الرومان - ومع غيرهم ، والذى نسميهم بلغة عصرنا « الآخر » .. وهذا الآخر لن يترك المسلمين فى سلام بل سيجرهم إلى فتن - الحرب والسلام - ويحاول أن يدفعهم إلى التخلى عن دينهم بكل سبيل ، ولذلك فهو شيطان ياتى مع الشمس من حديث اقبلت من كل ارض .

فبلاد العرب المدينة وما حولها ، يتسع المفهوم ليشمل شبه الجزيرة العربية .. أما غيرها فستحلق بها .. وسيكفى الله هذه البلاد الفتن الموبقة الحالقة للدين والمبيرة التى تهلك الحرث والنسل .. ولكن الفتنة ستطل براسها آتية إليها من غيرها من البلاد ..

ولو تذكرنا الثورة على عثمان وعلى ، رضى الله عنهما ، فى الفتنة الكبرى .. لراينا أنها اتت إلى المدينة من البلاد المفتوحة .. وأن الثوار جاءوا إليها من كل صوب وحدب .. كما اننا لو انتقلنا فى الزمن إلى العصر العباسى الثانى فى أواخره ، نجد فتنة

---

( ١ ) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، ٥ / ١١٣ - ١١٤ .

التتار وسقوط بغداد وزوال شمس الخلافة العربية ، وهى فتنة لا شك فى ذلك ، ولو اعتبرنا فتنة الحروب الصليبية قبلها .. لكان لنا من كل ذلك رصيد من فهم مضمون الفتنة التى أشار إليها حديث رسول الله ، ﷺ .

وما زالت الفتنة آتية إلى بلاد المسلمين من حيث تطلع الشمس من كل أرض .. من أوربا أو أمريكا لتطفأ شمس حضارتنا وتمسخنا قروداً وأتباعاً فى عصر العولمة .. أو فتنة « يهود » حارس الغرب بالمنطقة العربية .

لقد أرسل الغرب آلاف المستشرقين وجند من العملاء آلاف المستغربين – التنويريين بالادعاء – حتى تسقط رايه التوحيد من أيدينا .. ونتحول إلى قبلة الغرب ، نبحث عن حضارة بديلة وثقافة بديلة ونلبس الفضلات من ثيابهم ونتبنى أفكارهم ، التى ضاقت عليهم ولم تتسع لنا !

واقتران الفتنة بالشيطان إشارة إلى أنها محرومة من هدايات السماء .. تضرب بكل أرض وتنبت حيث يأسن الماء ويتعفن الهواء .. لقد نظرت فى أغلب الفلسفات المعاصرة .. فوجدت أصحابها قد استجمعوا فتات الفلسفة الإسلامية ، وانتزعوها من كتب أصحابها الأصليين وأخذوا فى تحويرها ، فجاءت فجة غبية وقد وقدموها لنا على أنها بضاعة من عندهم ابتدعوها خالصة لهم .. وكذبوا كما كذبوا من قبل ومن بعد ، لم تكن لهم – ولن يكون لهم – فلسفة متكاملة مثل ما كان فلاسفة الإسلام ، غير أنهم شغبوا علينا فوقعنا فريسة لطلاءات مزينة كسراب يلمع بقيعة ، فلا نحن فهمنا التراث ولا بلغنا شيئاً من حيث المعاصرة ، فبين الأصالة والمعاصرة وقفنا حيث لا شيء!! ..

وهذه هى محنة الثقافة وفتنة التخلى عما نملك ، والبحث عن أى شئ لا نملكهُ تأتى به الريح من الشرق أو الغرب .. المهم عند شيطان الفتنة أن نخلع جلدنا وهويتنا وثقافتنا ، ونتنكر لحضارتنا من أجل لا شئ .. ولحساب « الآخر » الذى هو غيرنا يقيناً .. أو ليست تلك الفتنة التى قصدها رسول الله ، ﷺ ؟!.

* * *

## ٧- إبليس والوسوسة

عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : **«يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»** [١] .

يبين هذا الحديث أن الشيطان يحاور الإنسان في قضية الإيمان ؛ فإذا كان كل شئ مخلوقاً فمن إذن خلق ربك ايها الإنسان ؛ والحديث لا يضع إجابة للتساؤل وإنما يكتفي بالاستعاذة بالله من هذه الوسوسة .. لأنه يبغي بها إفساد دين المسلم وعقله ولا يريد بها الجدل أو المناظرة الإيجابية ؛ فقصده التضليل لا غير ؛ ولذلك يجب دفعها بالاشتغال بغيرها .

ولو كان الامر على وجه الجد والمناظرة كما يحدث من زنادقة بني آدم لأمكن قطعهم بالحجة والبرهان .. فالإنسان يراعي حدود المناظرة وطبيعتها ويجاري المناظر في الحجج ويصل معه إلى نهاية الشوط ، إما أن يؤمن أو لا يؤمن ، يقتنع اولا ، اما الشيطان فلا نهاية لوسوسته .

وما يريده إبليس من هذه الوسوسة يؤكد وجود الله ، وأنه خالق كل شئ ولا خالق له؛ إذ لو كان لابد له من خالق يخلقه ماكان إلهاً وللزم الدور والتسلسل اللانهائي للتساؤل ؛ كما أن العالم والمحدثات من حولنا تؤكد ان لها صانعاً غيرها ؛ في الطبيعة وفي كل شئ ؛ صنعها ودبرها واتقن خلقها على هذا الوجه البديع ، ولو كان مثلها ما ابدعها وما قدر على صنعها .

ويقدم الحافظ ابن حجر بحثاً في الخواطر وأقسامها والفرق بينها عن أحد شيوخه وهو المازرى حيث يقول : الخواطر على قسمين : فالتي لا تستقر ولا يجليها شبهة هي التي تندفع بالإعراض عنها ، وعلى هذا ينزل الحديث ؛ وعلى مثلها ينطلق اسم وسوسة ، وأما الخواطر المستقرة الناشئة عن الشبهة فهي التي لا تندفع بالنظر والاستدلال .

---

(١) البخاري ٤: ٦١ / ٣٨٧ - الحديث رقم ٣٢٧٦ .

ولـكـن الطيـبى يوضح وجه النصح بالاستعاذة والاشتغال بها عن هذا التفكير ؛ لكونه ، تعالى ، لا يحتاج إلى نظر واستدلال لإثبات وجوده فهو امر ضروري لا يقبل المناظرة ؛ كما ان الاسترسال في هذا الاتجاه يؤدي الى مزيد من الحيرة وعلى هذا فالحل والعلاج في اللجوء الى الله والاعتصام به .

وبعد هل يمكن القول بان شيطان الإنسان في هذا الحديث هونفسه وهواه . . حيث ان الله ، تعالى ، قد خلق الإنسان ونفسه دائمة التردد والعبث ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [1] فهي كثيرة اللوم ويتنازعها دوافع ورغبات كثيرة ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [2] .

ولذلك قال ، تعالى :﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [4] .

او ان يكون هذا الشيطان من شياطين الإنس حيث ان الوسوسة في حقهم اقرب من أن تكون من شياطين الجن ، فالإنس ندرك ما يقولون ، سيما إن كانوا كفاراً او زنادقة ، ويحبون ان يكفر المؤمن مثلهم ويشاركهم في ضلالهم .

* * *

---

( ١ ) سورة القيامة آية ٢ .

( ٢ ) سورة يوسف آية ٥٣ .

( ٣ ) سورة الشمس الآيتان ٧ - ٨ .

( ٤ ) سورة النازعات آية ٤٠

## ٨- معرفة أسرار النفس عند الغزالى

إن اختلف القدماء فى تحديدهم لمفهوم القلب والنفس والروح .. هل هى ذوات مختلفة ام اسماء لشئ واحد ؟ وأين تقع هذه الثلاثة من جسم الإنسان .. وهل هى جسمية مادية ام غير ذلك ؟ كما اختلفوا فى تحديد ماهية كل منها وطبيعتها .

يرى الغزالى أن معرفة الإنسان لنفسه واجب مفروض عليه ، فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة ؛ حتى تدرى أى شئ أنت ؛.. ومن اين جئت إلى هذا المكان، ولأى شئ خلقت وبأى شئ سعادتك، وبأى شئ شقاؤك ؟!.. أما الروح فهى حقيقة جوهرك وغيرها غريب عنك وعارية عندك ..

وقد لجأ إلى تقسيم الإنسان إلى جسد ونفس ، والنفس : هى القلب والروح أى النفس .. ثم عاد الغزالى فجمع بين النفس والقلب .. فهما شئ واحد !.. وعَدَّ القلب من عالم الغيب .. لأنه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة .. واصل معدنه من الحضرة الإلهية .

والروح من اسرار القدرة الإلهية ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾ (١) .. فالإنسان من عالم الخلق اى الشهادة ، والروح من عالم الامر أى الغيب ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ (٢) .

وبعد ان نقد الغزالى الفلاسفة القدماء فى تحديدهم ماهية الروح ، وهل هى عرض ام جسم ، قديمة ام محدثة ، وبين خطاهم فى ذلك كله واشار إلى صعوبة تحديد تعريف جامع مانع، يمكن به إدراك ماهية الروح ؛ ولكن يكفى شرف الاجتهاد وهو فضيلة الدين الإسلامى فى المعرفة ، وغاية المجاهدة والاجتهاد والمعرفة ، أن تعرف من تكون ؟.. بداية من الروح / والقلب / والنفس ، ونهاية بمعرفة لمَ خلقك الله ؟ وماهو مراده منك؟..

فلمَ خلق الله القلب / النفس؟.. خلقها من اجل المعرفة ، والعمل من اجل سعادة الدنيا والآخرة .. وإذا كان الجسد لا يعيش إلا بالطعام والشراب فالروح / القلب لا

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٢) سورة الاعراف آية ٥٤ .

يعيش إلا على المعرفة .. فأنْ تعرف هو غاية خلقِ الله للإنسان .. ولا معرفة يمكن تحصيلها إلا من طريق الحواس ، ولذلك فهى نافذة القلب على العالم ؛ لإدراك آيات الله المقرءوة والمنظورة جميعاً وعلى حد سواء .

وتنقسم قوى النفس / القلب إلى قوى آلية عملية ، يحكمها تصرفات الإنسان الظاهرة من رضا وغضب وشهوات ونزوات ونوازع وميول، وقوى باطنية تتمثل فى التركيب الدماغي للإنسان، والذى يشبه رأس الكمبيوتر ، بما يحمله من قوى التفكر والحفظ والتذكر والخيال والتمثيل والوهم .. ولكلتا القوتين عمل يختص بها ، فإن حدث خلل فى إحديهما أدى إلى ضعف الإنسان واهتزازه ، أو نقص البنية بالكلية .

ويرتكز فى القلب / النفس قوة الأمر لأعضاء الإنسان وحواسه ؛ فإن توقف عمل إحدى هذه الأعضاء لم يُجد أمرها شيئاً ؛ لأنه يتوقف فى الدماغ أولاً عن طريق فشل العصب فى نقل الأمرعبر السلوك المنتشرة فى الجسم .

ويشبه الغزالى القلب / النفس بالملك ، والعقل بالوزير .. ويرى أن سلامة الإنسان فى وضع قوى النفس الشهوانية والغضبية تحت تصرف العقل وحكمته ، حتى تستقر أحوال النفس .. والعكس يهلك الجميع ، وفى ذلك إشارة إلى استفادة الغزالى من افلاطون فى كتابه « الجمهورية » وبيان لمعرفته به وقراءته له ، فيرى الغزالى / افلاطون أن قوى النفس ثلاثاً : " الناطقة والغضبية والشهوانية ، وكذلك افلاطون يجد تشابهاً كبيراً بين النفس والمدينة ، وحيث ان للمدينة ثلاث وظائف : الإدارة والدفاع والإنتاج .. فهى تقابل قوى النفس الثلاث .

فإنْ كانتِ الشهوةُ والغضب تابعين للنفس ، فالنفس بدورها تابعة للحواس ، والحواس تابعة للعقل ، والعقل تابع للقلب . يقول الغزالى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] . معناه إنا خلقنا القلب ، وأعطيناه الملك والعسكر ، وجعلنا النفس مركبهُ ؛ حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين .

وتبنى السعادة عند الإنسان على ضبط هذه القوى الثلاث الا وهى الغضب ،

---

( ١ ) سورة الذاريات آية ٥٦ .

والشهوة ، والعلم ، فخير الأمور الوسط.. والفضيلة وسط هى الاخرى ؛ والعلم يتحكم في القوتين الاولتين، حتى يكبح جماحهما ففى توسطهما العفة والقناعة..

فإذا كان الإنسان – من حيث هو مادة تتكون من جسد ونفس – يشترك مع البهائم فى الاكل والشرب والنوم والنكاح ، فعليه ان يراعى فى أمر أحسن الاحوال وإلا تحول إلى أسوأ من البهائم .. وإذاكان الضرب والقتل والخصومة من أخلاق السباع فعليه ضبطها والتحكم فيها ، وإلا صار إلى أسوأ من السباع فى معاقلها وعرينها .. وكذلك المكر والحيلة والغش .. من أخلاق الشياطين، وهى كمائن للنفس الإنسانية مستورة ، وعليه مراعاتها والحذر منها حتى لا يسلم نفسه للشيطان .

أما الرحمة والعلم والخير فهي أخلاق تتحلي بها النفس البشرية ، ويشترك مع الإنسان فيها الملائكة ، فإن ظهرت صار الإنسان ملائكى الطباع ، محمود السيرة مطهر السريرة .

وعند نوم الإنسان ينفتح لقلبه باب الغيب وتغلق حواسهُ فى عالم الشهادة وينقطع عن الدنيا بقوانينها ، ويتصل بالغيب بكل ما فيه .. ليتسع له امر المعرفة ، فيطلع على أكوان وعوالم لم يكن ليدركها فى يقظته بحواسه المحدودة ورؤيته المحدودة، والتى تحبسها المادة .. ولذلك كان عالم الملكوت هو عالم الغيب المختص بالارواح والنفوس ، وعالم الملك هو عالم الشهادة من محسوسات الطبيعية .

والقلب عند الغزالى أعلى من العقل ، وإن كان لا يستطيع الاستغناء عنه كمستشار له .. وبتصفية القلوب وتخليتها من حب غير الله وتجريدها من حظوظ النفس وشواغل الشهوات والملذات .. ينفتح للقلب الرؤيا فى عالم الملكوت ، حيث يجول فى أكوان ماكان له أن يرها ، لولا اجتهاد صاحبه فى نفى العلائق والشواغل عنه .. فهوكالمرآة كلما ذات صقلا ذات صفاء فى جودة نقل الصور التى تتلقاها .. وشبيه بما ذكره الغزالى فى عصرنا التليفزيون .. فكلما كان الجهاز قوياً وجيداً كان استقباله للإرسال واضحاً ولا شائبة فيه .. بل يستطيع التقاط قنوات لم يكن فى وسع الاجهزة الاخرى التقاطها ، إما لقدمها او ضعفها وعدم جودتها . ولا يخرج ما يذكره عن كونه خيال لم يصل إلى درجات اليقين العليا ، والذى لا يكون للقلب إلا بموت صاحبه .

وإذا عرفنا أن الغزالي يجعل القلب من عالم الملكوت ، ليسهل عليه الانفتاح والدخول إلى عالم الغيب بسهولة .. وعرفنا أن الحواس عنده من عالم الملك / الشهادة .. فهي عوائق لانفتاح القلب على الملكوت / الغيب فإنه يدعو إلى تفريغ القلب من شواغل الحواس ومشاهداتها .. فهي حجب تحجبه عن التجوال في الملكوت!

وأعظم المعارف عند الغزالي هي معرفة الله ، وليس موجود أشرف من الله ، سبحانه، ولذة شهوات الدنيا متعلقة بالنفس ، إذ إنها من عالم الملك / الشهادة ، وهي تبطل بالموت ، أما لذة معرفة الربوبية ؛ فمتعلقة بالقلب ولا تبطل بالموت ؛ لأنه لا يهلك بالموت بل تزداد لذته وتتسع ؛ لأنه خرج من ظلمة المادة وانطلق نحو النور .

وهذه نظرية كاملة عند الغزالي في المعرفة ينبغي تحليلها في ضوء فكر صاحبها ، ونقدها كذلك في إطار معرفي يسعها ويتسامح معها ، فالغزالي تركيبة أفلاطونية محدثة / إسلامية عند حديثه عن نظرية النفس الإنسانية والمعرفة المحيطة بها .. وكذلك هو تركيبة يونانية آرسطية / إسلامية عند حديثه عن «ميزان العمل» وضوابط المنطق «الإسلامي» كما يراه هو ، وابتدعه على حد تعبيره .

ويؤمن الغزالي بأن المعرفة بالذات / النفس .. هي أول درجات المعرفة حتى يصل الإنسان إلى أشرف المعارف ، وهي معرفة الله خالقه .. وليست معرفة وجود كما يرى الفلاسفة والمتكلمون ، بل هي معرفة كنه وذات .. فهي تلج الباب ، وتسعى إلى ما بعد ذلك بكثير .. ولذلك فالإنسان يسمو بالمعرفة إلى الملائكية ويتجاوزها .. وبغيرها ينحط إلى أخلاق البهائم وما دونها [1] ..

وبعد .. لم نر في كلام الغزالي عن النفس والقلب والروح شيئاً عن إبليس أو قدرته وهيمنته على قوى الإنسان الظاهرة أو الباطنة .. فأين ذلك الشيطان الذي طالما تحدث عنه الصوفية ومشبهة المحدثين .. وأسندوا له كثيراً من الأفعال الهائلة والفائقة التي تتجاوز أفعال القدرة الإلهية وفي أقل تقدير لها تساويها ؟!! ..

---

(١) انظر في ذلك رسالة الغزالي : «كيمياء السعادة» ، طبعة مكتبة القرآن ١٩٨٧م ، بتحقيق محمد عبد العليم . وانظر الإحياء جـ٣ /٤٣ وما بعدها ، طبعة دار البيان العربي ، وكتاب شرح عجائب القلب ، وهو الكتاب الأول من ربع المهلكات حتى ، ص ٢٦ .

## ٩- كيف تحدث الخواطر المختلفة

يرى الغزالي كذلك أن مداخل القلب هي الحواس الخمس من حيث الظاهر ، والخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان من حيث الباطن .. فالقلب يحصل له التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب ، وأخص الآثار الحاصلة فى القلب هى الخواطر ..

والخواطر عنده هي التى تحرك الرغبة ، وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر ، أعنى إلى ما يضر فى العاقبة ، وإلى ما يدعوا إلى الخير ، أعنى إلى ما ينفع فى الدار الآخرة ، فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى إسمين مختلفين ، فالخاطر المحمود يسمى **إلهاماً** ، والخاطر المذموم أعنى الداعى إلى الشر يسمى **وسواساً** .

هكذا نجد الغزالي يؤصل لنظريته في معرفة النفس وأحوالها ، بوضع المصطلحات التى تتفق مع كل هاجس وخاطر وظرف ، دون أن يخلط بين مصطلح وآخر .. فالأمر **هو مجرد مصطلحات وتسميات ولا تتعدى ذلك** ؛ ولذلك يبني على ما سبق أن أنوار القلب وظلمته سببان مختلفان : فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى **ملكاً** ، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى **شيطاناً** ، واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول الخير يسمى **توفيقاً** ، والذى به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى **إغواء وخذلاناً** ، **فالمعانى المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة** .

لقد نجح الغزالي نجاحاً كبير ووقف فى تأصيل النظرية ، حيث وُفِّقَ فى تحديد المصطلح .. ونحن لا نناقشه في صحة ماحدد أو نبحث عن مصادر هذه المصطلحات فى التصوف العالمي أو الفلسفة اليونانية أو غيرها .. إنما نشير إلى بيان أن ماكان يقصده الغزالي وغيره من علماء الإسلام ، بالشيطان الذى يوسوس للإنسان ، هو الخاطر الداعي للشر ؛ والملك هوالخاطر الذى يدعو للخير .. وهكذا .

لقد أشار إلى ذلك الغزالي نفسه ، حيث قال إن الوسوسة فى مقابلة الإلهام ، والشيطان فى مقابلة الملك ، والتوفيق فى مقابلة الخذلان .. فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك .. أى إن خاطر الخير فى مقابل خاطر الشر ؛ لا أكثر .

وربما كانت هي النوازع والميول المتباينة المركبة في النفس الإنسانية .. والدين والأخلاق والعادات والموروث والبيئة هي التي تخرج الخير منها أو الشرير ..

ولهذين الخاطرين ، أو لمة الملك ولمة الشيطان ، سلطان على الإنسان ولا فكاك له من أحدهما .. ويخرج إلى عالم الوجد أحدهما دون الآخر ، بتأثير من المؤثرات التي أشرنا إليها سابقاً .. والشيطان جنوده الشهوة واللذة .. فإن أقبل الإنسان على الدنيا تسلط الشيطان ، بحكم ما يجده من مرتع للشهوات .. وإن انصرف القلب عن الشهوات تسلط الملك والهم .. فمعركة القلب دائمة إلى أن ينفتح لأحدهما فيستوطن ويستمكن .. ويكون اجتياز الثاني اختلاساً .

ولا خلاص للإنسان إلا بذكرالله ، فهو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال .. ولا يعالج الشئ إلا بضده ، وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة ..

فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة ، وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ، ولا يتصورأن ينفك عنه آدمي ، وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ، ولذلك قال ، عليه السلام : «مامن أحد إلا وله شيطان»[1] .

ويدعو الغزالي إلى الاشتغال بمحاربة الشيطان ، بدلاً من الاشتغال بالبحث عن كنهه ، وكيف يدخل القلب ويوسوس للإنسان .. وإن عارضناه – إلا أن رأيه له وجاهته فالذى تشتعل بثيابه النيران لا ينشغل بالبحث عن سبب اشتعالها !.. وهو محق في هذا .. إلاأنه بعد ذلك سيتسائل حتماً عن السبب .. وإلا كان مغفلاً .. وعرضه للحادث مرة أخرى ![2]

وقد بين أن سلاح الشيطان هو الهوى والشهوات .. والخواطر تنقسم إلى ما يعلم ، وهي إما وسوسة في الشر ، أو إلهام في الخير .. وإلى ما لا يعلم وهو الخاطر الذي يتردد بين الاثنين : «والتمييز في ذلك غامض ، وأكثر العباد به يهلكون» .. وبعد .. رغم مناصرتنا لتحليل الغزالي لكوامن النفس وأحوالها .. إلا أن كتابه «الإحياء»

---

( ١ ) رواه مسلم ؛ ١٧ / ١٥٧ – ١٥٨ ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ح ( ٦٩ – ٧٠ – ٧١ ) ، وأحمد ؛ ٦١ / ١١٥ .

( ٢ ) انظر الغزالي : الإحياء ؛ ٣ / ٤٣ – ٤٧ .

لايخلو من الخرافة ، وهو ما يأخذه عليه الناقدون له بشدة .. ومن ذلك ما يذكره فيقول : « إنما المكاشف في اليقظة هو الذى انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام ، فيرى فى اليقظة ما يراه غيره فى المنام ، كما روى عن عمر بن عبد العزيز، رحمه الله ، أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم ، فرأى في المنام جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ، ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر ، بين منكبه وأذنه؛ له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله ، تعالى ، خنس . ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة ، فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها ، وكانت الجيفة مثال الدنيا . . .

هذا هو الغزالى ، على جلالة قدره وتنظيره الرائع الذى ذكرنا طرفاً منه من قبل ، يذكر مثل هذه الأمثلة السمجة والتى لا تتفق مع شأنه الجليل ، والذى ربما لو سمعه من غيره لسخر منه .. إذ إننا ذكرنا من قبل أن الغزالى نفسه يعلم أن القلب / النفس / الروح يصعب تحديد كنهه أو مكانه من الجسد ، وهل هو عرض أو جسم أوجوهر .. إلا أنه هنا يتنازل عن شخصيته الناقدة الواعية إلى هذا الحضيض .. والذى يدل دلالة واضحة أن الجهل بالتشريح ، أدى لمثل هذه الخرافات التى تعجب العامة وتقنع الخاصة فى زمانه .. ولذلك قلنا للشباب الذى يجهم على كتب التراث فيقرأها من غير مرشد ولا أدلة تضئ له الطريق عند قراءتها .. إنك تقع فى خطأ فادح حيث أن لكل زمان علماءه الواعين بظروف العصر وطبيعة الثقافة فيه .. ولا يمكن لعقّلية القرن الخامس الهجرى ، بما حلّها من مجموع علمى وثقافى ، أن تتحكم فى أحوال مسلمى القرن الواحد والعشرين !

لكن من يرى ومن يسمع .. فهذا الشباب يحمل ما هو غث وغثاء ، وكذلك يحمل كل ما هو ثمين ، ويلقى به فى وجوهنا دون تمييز أو نقد !! .. والأسباب التى دعته كثيرة .. منها عدم ثقته – أو فقدانه الثقة – فى الحاضر – علماء وثقافة وقضايا وحلم قومى مفقود .. إلخ .. إلا أنه لا يعذر مع ذلك .. فدواء الجاهل السؤال .. وآخر العلاج الكى .. فليعذرنا – من شاء أن يعذرنا – لصراحتنا .. فقد فاض الكيل

مما نرى ونسمع من سخافات يعتقد البعض – وهم كثيرون – أنها عقائد لا ينبغي مناقشتها !.. وبذلك نقلوا لنا أمراض كل العصور.. وذلات كل العلماء .. والشاذ من الآراء .. وقذفوه في وجوهنا – مرة اعتراضاً ، ومرة حقداً وحسداً – على من وممن، لا أدرى والبقية تأتي ؟!!..

القصد .. ربما ساعدنا ما سبق وأشرنا إليه في هذه المقالة على تصور صحى وصحيح – بعيداً عن الوهم والترهات – فها هو الغزالى حجة الإسلام بحق في عصره.. يبين أن الشيطان والملك والإلهام والوسوسة هى مجرد تسميات مختلفة لأمور وأحوال وخواطر متباينة ، حاول من خلالها تفسير ماهية الأحوال النفسية كيف تبدأ ومن أين تنشأ وكيف تتطور ، وما الداعى لها والباعث عليها ، وكيف يمكن تقويم وترشيد قوى النفس / القلب / الروح من نوع كثيرة كتابنا هذا ليس مجاله البحث فيها .. غيرأن ما ذكرنا إطلاله قوية لبيان أن الأمر محصور في الخواطر ، وعلى من يعبد الشيطان أو يدعى أن الله وظفه للوسوسة وإضلال الإنسان وإغوائه ، البحث عن أكاذيب أخرى يمنى بها النفس ، ولن نعزيه في عقله القاصر ، إن هو لجأ بعد بيان الحجة إلى التذرع بأدلة أخرى ننقدها عليه إن شاء الله ، تعالى ، بمنه وفضله .

***

# الفصل الخامس

## الشيطان يجرى مجرى الدم !

١- الشيطان والغضب .

٢- الشيطان يجرى مجرى الدم .

٣- بات على خيشومه الشيطان !

٤- الشيطان والتثاؤب .

٥- الذى أجاره الله من الشيطان .

## الفصل الخامس

## الشيطان يجرى مجرى الدم !

إن التفكير الردئ في كوامن النفس يزكي الشر في الإنسان ويدفعه لأذى الآخرين، فالكبر والحسد والغل والغيظ ونيران الغضب تعمي الإنسان عن حقيقة نفسه ، فلما خلقه الله وكيف يرد شرور نفسه عن غيره ،.. فإذا غضب كظم غيظه وعفى ، وإذا نازعته نفسه لفعل الشر تذكر ربه وأنه قادر عليه .. فلا يبادل الشيطان افعاله فيصير مثله سواء بسواء .

صدق رسول الله ﷺ حين قال : «الغضب من الشيطان» [1] .. فدوافع الغضب تأتيك من شيطان الإنس الذى تلاعبت به نفسه ، فشاركه الشيطان في حظها وصار مفتاحاً يصل به إلى تحريك الأذى والشر فيك أنت .. فصارت حركة نفسك مقيدة بردود افعال شيطانية ، والله يريد منك أن تسيطر على نفسك وتمتلك قواك ، فلا تدعها قيداً في يد غيرك .. يريدك أن تسمو به وتشرف بالنسبة له .. وأن تنتمي إلى من رضى عنهم ورضوا عنه .. فصنع لنفسك مقياساً ومعياراً ربانياً تعرف به عند الغضب ، اتغضب لله ولانتهاك حقوقه وحدوده أم لنفسك الامارة بالسوء؟! .. قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ ﴾ [2] .

لابد أن النبي ﷺ ، حين قال : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» كان يكني عن مدى ما يفعله الغضب بالإنسان ، ولم يقصد أن هناك كائناً حياً يعيش ويجرى في دم المسلم حين يغضب .. فالغضب في حد ذاته ليس كله شراً .. فمن الغضب ما هو خير ؛ كالغضب عندما تنتهك حرمه من حرمات الله .. أو غضب المسلم لعرضه وشرفه ، أو عندما يقدم على قتال الأعداء في المعركة ، فهذا غضب يحبه الله وتباركه السماء .

---

(١) رواه ابن عساكر عن معاوية ، السيوطي الجامع الصغير ؛ ٢ / ٧٣ ، وقال : ضعيف . وأحمد ؛ ٤ / ٢٢٦ عن عطيه بن سعد ؛ وأبو داود ؛ ٤ / ٢٤٩ ، ح (٤٧٨٤) كتاب الأدب ، وأبو نعيم في الحلية ؛ ٢ / ١٣٠ ، والمناوى في فيض القدير؛ ٢ / ٢٧٧ .

(٢) سورة الشمس الآيتان ٧ - ٨ .

فليس الكلام على إطلاقه ، إلا ان له مصادر وموارد ، فمن علم مصادره وموارده اراح واستراح .

فما يكون هذا المسلم الذى يستكين ويتخاذل ولا يغضب حين تغتصب امام عينيه الأعراض ، ولا يهب غاضباً لدينه ويصدُّ من اعتدى ؟!

لقد اغتصبت دول وانتهكت اعراض النساء وقتل الرجال والأطفال ، ولم يثر فى العروق العربية والإسلامية دم !! .. وقرأ الناس الأخبار في الجرائد والصحف السيارة وسمعوها فى الإذاعات المختلفة ورأوها راى العين – إى والله – وهم يأكلون ، فما قاموا عن طعامهم والتهامهم ما لذ وطاب .. وليغتصب من يغتصب وليمت من يمت .. طالما أن الحريق فى غير دارنا ، والقتلى ليسوا من ذوى الرحم فلا يهم ، ولتستمر الحياة .

ماخاصمنا قاتلاً ولا شجبنا على غاصب ، وتركناهم يرعون في بلاد المسلمين – فى افظع لا مبالاة اصيب بها العالم الإسلامي – حدث ذلك فى فلسطين وما فزعنا ، وفى البوسنة والهرسك وكوسوفا وكشمير والصومال ... فمن نحن ومن نكون ؟! .. اى طعام ناكل واى شراب نشرب يصيبنا بكل هذا الجبن الخذلان !

الا نغضب لماحدث لإخواننا العرب بجنوب لبنان ، ام نمصمص الشفاة توكلاً على الله ، الذى سيقتل أعداءنا فداء لعيوننا نحن الجبناء ! .. أين الغضب العربى .. بل الإسلامي المحمدى ؟! .. اين محمداً وصحبه والمعتصم ومن ملؤا الدنيا خيلاً ورجلاً ، عندما اغتصب عرض امراة مسلمة فى اقصى الأرض ؟!

دفعنى إلى ذكر ، ما سبق خطيب جاهل للجمعة لم يفهم من الغضب إلا الاستكانة والتحلي بالصبر ، عندما يلطمك احد على خدك الأيسر !! .. ولم يفرق بين غضب وغضب .. وبين مالله وما للنفس .. وصادف فى هذا اليوم أن إحدى الجرائد صدرت صفحاتها الأولى بصورة لفتاة بوسنية مذبوحة ، بعدما اغتصبت على مرآى ومسمع من اهلها الذين قتلوا ودفنوا فى مقابر جماعية ، فى أسوأ وابشع عمل إجرامى .. الا تغضب أيها الخطيب الهمام لما حدث؟! .. الا لانامت اعين الجبناء!! ..

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [٢] .

ماذا نقول لله إن حاججنا بدماء المسلمين الذين أبيدوا بنيران الروس ، ودمرت بيوتهم فوق رؤسهم وسالت الأودية بدمائهم الحرة الغالية ، وهم يصدون الدب الكافر عن أنفسهم وأرضهم ؟! .. ماذا سنقول ؟! .. نقول له : لم نغضب يا ربنا لأننا دعونا لهم في رمضان ، والسماء تمطرهم بالقنابل والنابلم والقذائف المحرمة دولياً والأسلحة التي جربت فيهم لأول مرة ، بأن تنصرهم ... واكتفينا .. ثم تجمعنا على موائد الطعام ننسفها وتمددنا كالبغال في الحصباء !

أعلم أن هناك من أغبياء العقول من سيغضب مني ، لأني تطاولت عليه وعلى أمثاله، ولكني لن أغضب منه بل سأرثي له ولأمثاله من الجبناء ، الذين لايفكرون حتى كيف يمسحون أفواههم بعد أن يأكلوا .. ألا تسمعون القرآن مثلي حين يقول المولى ، عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [٤] .

إن هناك من الناس صنف لا يغضب إلا إذا حرم من شهوات نفسه ، أو غبن في بعض دريهمات .. فهوى النفس ، والتماع الدينار الأصفر هما بواعث الغضب عنده .. وهؤلاء لا يجرى الشيطان في دمائهم ، بل هم شياطين ومصاصو دماء .. لا يشبعون إلا إذا ولغوا في دماء المحرومين وأكلوا أموال اليتامى والمساكين ، وتاجروا

---

(١) سورة محمد آية ٧ .
(٢) سورة الشورى الآيات ٣٩ – ٤١ .
(٣) سورة الأنفال آية ٧٢ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٦٠ .

في أوجاع الناس وجراحهم . . وأمثال هؤلاء كثيرون في بلادنا الآن ، منهم تجار وزراع وأطباء وأصحاب حرف وأصحاب ولاية على أموال المسلمين . . والغضب والثورة على هؤلاء وزجرهم لله . . وغضبهم من الشيطان ، وهم حلفاؤه ، لا شك في ذلك أبداً .

***

## ١- الشيطان والغضب

عن سليمان بن صُرد قال : «كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان ، فأحدهما أحمرُ وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد . فقالوا له : إن النبي ﷺ قال : تعوذ بالله من الشيطان ، فقال : وهل بي جنون؟!..»[١] .

يعد الغضب باباً من ابواب الشر كبيراً ؛ وذلك ان من يغضب يحمله غضبه على كل حماقة ويعميه عن التريث والاتزان ، لانه يخرجه عن حد الاعتدال ؛ ولا يملك من نفسه شيئًا فينسى مكارمها ، ويقع في براثنها واسوأ ما فيها من كبر واستعلاء وعناد؛ فيهجم حيث كان من الواجب التوقف أوالتراجع ، ويسب حيث كان عليه الصبر والعفو والتسامح . . ولأن كل ما في الغضب من شرور يفجر كوامن النفس الأمارة بالسوء نسبت إلى فعل الشيطان الرجيم ، وكأنه حين يثور الغضبان يصير شيطاناً بتاثير افعاله ويرتكب معاصيه وحماقاته .

وفي الحديث كان الأولى بمن نصح بالتعوذ بالله من الشيطان أن يمتثل للإرشاد والنصح ؛ وان يعلم ان في طاعة رسول الله ، ﷺ ، الخير كل الخير في الدنيا والآخرة ؛ ولكنه ركب غضبه وغلبه داعي السوء من نفسه فزجر الناصح الدال على الخير ؛ وآثر حرارة الغضب وسعيره على برد الرضا والتسليم والثبات والصبر ، فأساء حيث كان من الواجب عليه الإحسان لمن اسدى له جميل النصح ؛ وربما كان كافراً أومنافقاً أو على أقلِ تقدير من جفاة الأعراب قساة القلوب ؛ الذين لم تلن بعد عريكتهم بالإيمان والعمل الصالح والتربية المحمدية المؤثرة ؛ فظن ان الاستعاذة من الشيطان لا تكون إلا في حق المجنون ؛ وهو لم يكن مجنوناً في اعتقاده لياتيها ، اى الاستعاذه ، وهو ظن خاطئ منه وقياس فاسد .

إن الغضب احد الأسلحة الشيطانية الحادة التي يسلها الشيطان – الإنسي أو الجني– على عدوه ، فيقضي عليه ويجهز على ما تبقى من اتزانه وهدوئه ، فإن كان له مال أو عقار أو ثياب او اثاث او ماعز عليه من عرض الدنيا ، قام إليه فافسده تحت

(١) البخاري ٦١ / ٣٨٨ ، حديث رقم ٣٢٨٢ ؛ ١٠ / ٤٧٩ – ٤٨٠ حديث ٦٠٤٨ .

وطأة الغضب وحرارته ؛ هذا إن لم يقم على من أغضبه قاتلاً أو ضارباً أو سباباً ؛ وكل ذلك أمارة من أمارت فساد النفس فى هذا الوقت وخروجها عن السيطرة ، قال، ﷺ : «إن الغضب من الشيطان»[1] أى أن مصدره من الشيطان ، أو هو فعل كفعل الشيطان ، أو هو شر مجلوب على الإنسان من عدوه وعدو أبيه آدم ؛ يدخل به عليهم ، فيفسد إيمانهم ودينهم وأموالهم وجملة حياتهم .

وربما كان المفيد بيان قيمة التربية وتعليمها ، ومعرفة أسسها بالنسبة للمربين والمؤدبين ومن يعمل فى سلك التعليم والتدريس بدرجاته المختلفة ، فى درأ الغضب الناتج من عملية الاحتكاك والاختلاط فى الفصول التعليمية بالطلاب ، فكثيراً ما أجد معلماً يضج من حيل تلاميذه وصخبهم فى الفصل ، أو عدم التزامهم بآداب التعلم أثناء الشرح .. ويتحول حلمه إلى غضب .. وسعة صدره إلى ضيق .. وتظلم الدنيا فى وجهه ، فيسئ إلى نفسه وإلى العملية التعليمية بأسرها .. فإن تهور فى ضرب بعض طلابه ساءت سمعته لديهم وفشل فى خطب ودهم ، وعجز توصيل المادة التعليمية لهم..

ولهذا المعلم أنصحه بدراسة أصول التربية وممارسة تأثيراتها المختلفة ، على نفسه ، قبل أن يمارسها على غيره .. ثم يوسع الدائرة فيطبق ما تعلمه على أولاده .. وليفسح صدره ويروض نفسه على كظم الغيظ ، وتهدأتها عندما يَثيره مثير ما من المثيرات التي تعرض له .. فهدوء النفس ضرورة من الضرورات التى ينبغى أن يتحلى بها المعلم.. ثم معرفة باب الحيل التربوية ، والابتكار والإبداع فيها ، سيساعده عند القيام بالتدريس .. فالمعلم واسع الحيلة صاحب الحضور الذهنى والإخلاص فى عمله ، لن يلجأ أبداً للغضب والتهور على تلاميذه .. وهناك مئات من الطرق التربوية التى يمكن للمعلم أن يستغلها عند قيامه بالتدريس فى الفصل أو المعمل أو فى فناء المدرسة..

عندما يضطرب سلوك المعلم تهتز شخصيته ، وعندما تهتز شخصيته ، لا يمتلك أدواته ، وكل ذلك بمرأى من التلاميذ ، ولا يمكن أن يستجمع قواه بعد ذلك لممارسة مهنته بعد ذلك ، والسبب هو سرعة غضبه وتهوره الناتج عن قلة خبرته وجهله

---

(١) أخرجه : أبو داود ٤ / ٢٤٩ ( كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب ) . ح ( ٤٧٨٣ ) .

بالأصول التربوية لممارسة التعليم .. وبعد ذلك نجد أمثال هذا المعلم يتجنى على التلاميذ بأنهم شياطين أو أولاد شياطين ، وأن الشيطان هو الذى جعله يمارس القهر والتعذيب على الأطفال ، سيما من لم يبلغ منهم سن السادسة .

صادفت أثناء إشرافى على مدرسى المرحلة الابتدائية والإعدادية ، معلمة فى الصفوف الدنيا .. تعاقب طالبة لها بسبب أنها لا تعرف كيف تكتب .. ولم يكن من أهداف هذه المرحلة تعليم الطفلة الجملية معرفة الكتابة بقدر تحبيبها فى التعليم والمدرسة وتمكينها من استكشاف العالم من حولها بشكل أفضل .. ودخلت عليها الفصل وهى تعاقبها ، وقد امتلكها الغضب والثورة .. فماذا أقول لمثل هذه المعلمة .. هل الجهل هو الذى دفعها إلى مثل هذا السلوك .. أم الشيطان أم هما معاً ؟!

علينا أن نتعقل عند ممارسة الخبرات فى الحياة ، فالحياة ليست قسمة بيننا وبين الشيطان .. نحن نصلح وهو يفسد ، ونبنى وهو يهدم .. لا .. بل علينا أن نستفيد من تجارب الآخرين ونكثر من جمع الخبرات وترتيبها واستدعائها عند اللزوم لننتفع بها ..

لقد تأخذنا بعض الممارسات الحياتية إلى طريق مسدود ، عند التعامل مع بعض الأشخاص .. وعلينا عند إذ أن نعلن فشلنا فى التعامل معهم ، وإعداد النفس مرة أخرى لجولات جديدة ، نعيدُ فيها التجربة من جديد فى ضوء معطيات أخرى ، فليس هناك مستحيل فى الحياة .. ولا يوجد من البشر من يستحيل الاتصال به عن طريق وسيلة من الوسائل .. والسؤال هو كم من الوسائل تعرف ؟! .. فإن أجبت على هذا السؤال .. فقد فهمت من أين تأتى بواعث الغضب .



## ٢- الشيطان يجرى مجرى الدم

**عن صفية بنت حيّ قالت : «كان رسول الله ﷺ معتكفاً ،فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ثم قمت فانقلبت ، فقام معي ليقلبني - وكان سكنها في دار أسامة بن زيد - فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ : على رسلكما ، إنها صفية بنت حي . فقالا : سبحان الله يارسول الله !!.. قال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً . أو قال شيئاً »**[1] .

ذكر الحافظ في كتاب « الاعتكاف » في باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟.. أن محصل روايات هذا الحديث تفيد أن النبي ﷺ لم ينسبهما إلى أنهما يظنان سوءاً ، لما تقرر عنده من صدق إيمانهما ، ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك ؛ لأنهما غير معصومين فقد يفضي بهما إلى الهلاك ، فبادر إلى إعلامهما حسماً للمادة ، وتعليماً لمن بعدهما إذا وقع له مثل ذلك .

وحديثه يفيد أن هذه الوسوسة قد تكون سوء ظن بمن لا يجوز في حقه مثل ذلك، وأن سوء الظن من الشيطان ؛ يقول الحافظ : وغفل البزار فطعن في حديث صفية هذا ، واستبعد وقوعه ولم يأت بطائل » .

أما قوله ﴿ **إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم..** ﴾ أو أنه يجرى من الإنسان مجرى الدم .. إلخ إما على ظاهره وأن الله ، تعالى ، اقدره على ذلك .. وهو ما نستبعده ؛ لأن اللغة عرفت المجاز وهو كناية على سرعة وقوع الإنسان في الهوى والشهوات ، ومنها إساءة الظن وكل ذلك أفعال إبليس .. أما ظاهره فيرده القرآن الكريم حيث بين أن الشيطان منذ خرج من الجنة فهو ذليل حقير ضعيف ؛ كما أن الله خلق الجن لعبادته لا لإغواء الناس قال تعالى : ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** ⁽١٣⁾ ﴾[2] ومن اذله الله كيف يقدره على عباده فيؤثر في قدراتهم وإرادتهم في الطاعة ؟!.. وهو ظن سئ في الله أن يحب عباده الإيمان به ، فيسلط عليهم من يضلهم عنه!

---

(١) البخاري ، ٦ / ٣٨٨ ، حديث رقم ٣٢٨١ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٣ .

وقال تعالى في حقه : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ... ﴾ [1] ، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [2] ولا يعقل لمن هذا شأنه أن يقدر على ما قدر عليه ربه من الوصول إلى أسرار القلوب فيتلاعب بها ويوسوس فيها !.

أما من قال : إن هذا على سبيل الاستعارة من كثرة إغوائه ، وكأنه لا يفارق الدم ، فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة .. فقد أصاب الحقيقة ووفق إلى تخريج معاني الحديث على وجه يتقبله العقل والشرع جميعاً [3] .

إن معالجة النفس ومداواتها خيرمن الندم حال الوقوع في الخطيئة ، والنفس نازعة إلى الشهوة والهوى وملذاتها طواقه إلى ذلك .. ولوأنها أخذت حدّها وكفايتها من الحلال ؛ لكان ذلك خيراً لها ولصاحبها ، إلا إنها تميل إلى الفضول الذى يتخمها ، إن طلبت حلالاً ، والذى يهلكها إن رتعت في مرتع حرام ..

والبدن تابع للنفس فإن مالت ونزعت إلى التفريط أو الإفراط ، جارت عليه وأعلّته .. فما بالك وجل رغبات النفس وميولها نحو المحرمات !!

وعند التأمل في قطف النفس لثمار اللذة من الحلال وقضاء الوتر فيه ، شهوة كانت للبطن أو الفرج ، دون رادع يردعها أو ناصح ينصحها ، يؤدى حتماً إلى الضرر البالغ بصاحبها ..

وإن كانت شهوتها في الإفضاء إلى إلفها في الحلال ، بإفراط ودون ضابط يهلكها ويقضى عليها في مقتبل عمرها .. فما بالك لو كان كل ذلك في حرام ؟! .. ما أسوأ العاقبة على النفس ..

ومعالجة الشهوة واللذة عند بدأها خير من مداواة آثارها .. والصبر على الهوى خير من اتباع شيطانه .. فالنفس تسوق الإنسان إلى هلاكه ، إن لم يسهر عليها ناصحاً ومهذباً ومؤدباً ، لعلها تتزكى أو تصير إلى الاعتدال ، وهو ما ينغص على الشيطان أمره .

* * *

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨ .

(٢) سورة الإسراء آية ١٨ .

(٣) الفتح ٤ / ٣٢٨ – ٣٢٩ .

## ٣- بات الشيطان على خيشومه !

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «إذا استيقظ - أراه - (قال :) أحدكم - من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً ، فإنَّ الشيطان يبيت على خيشومه» [١] .

كيف يبيت الشيطان على خيشوم العبد المسلم المتوضأ الذى غفل عن الاستنثار؟!.. أو لكل مسلم نام ثم قام ليتوضأ ويصلى الفجر يفعل به الشيطان هذا إن لم يستنثر؟ فهل صار المسلم مأوى للشيطان ؟!..

يقول الحافظ ابن حجر : ظاهر الحديث أن هذا يقع لكل نائم [٢] ، وهذا الظاهر غير مقصود على مانعتقد ، وإلا كان معناه معارضاً بغيره من الأحاديث والقرآن والنص لا يختلف ولا يتناقض ، كما أن العقل يرفض إذ إن الحس هو نافذة الإدراك ، ولم يشاهد أحد من المسلمين ، أو من غيرهم ، شيطاناً نائماً على خيشومه أو أحس بذلك !

ويحتمل أن يكون مخصوصاً بمن لم يحترس من الشيطان بشئ من الذكر ، لحديث أبى هريرة المذكور قبل حديث سعد ، فإن فيه «فكانت له حرزاً من الشيطان»، وكذلك آية الكرسى ، وقد تقدم فيه «ولا يقربك شيطان» ..

ذكرنا من قبل رأى الإمام أحمد بأن شيطان الإنسان إنسان مثله بنص القرآن الكريم، أو هو الهوى والشهوات ، فشيطان الإنسان من داخله ، فنوازع الإنسان ودوافعه هى شيطانه الحقيقى ، وكل فعل يفعله يقصد به معصية ربه فهو يرضى الشيطان ويحبه ويفرحه ؛ لأنه يوافق هواه ومراده من بنى آدم الذى أقسم أن يضلهم عن الحق والتوحيد ، قال تعالى : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤)﴾ [٣] فهو بذلك يشارك الإنسان ، وهو بذلك تنسب إليه كل أفعال الشر ؛ لأنه أول من عصى وتكبر وانحراف عن سواء الصراط .

---

(١) البخارى ٦ / ٣٩١ حديث ٣٢٩٥ .

(٢) الفتح ٦ / ٣٩٥ .

(٣) سورة الإسراء آية ٦٢ - ٦٤

ويحتمل ان يكون المراد بنفي القرب هنا ، ان لا يقرب من المكان الذى يوسوس فيه، وهو القلب ، فيكون مبيته على الانف ؛ ليتوصل منه إلى القلب إذا استيقظ ، فمن استنثر منعه من التوصل إلى ما يقصد من الوسوسة ، فحينئذ فالحديث متناول لكل مستيقظ .

ولو كان هذا الذى ذكره الحافظ مجرد رأى لا تاثير له على مجموع المسلمين اوخاصاً به ، لقلنا انه كلام عابر ، ولا ضرر من ورائه إلا ان هناك امة صارت هذه الآراء معتقدات لها ومذاهب ، وجاء علماء من قبله ومن بعده يشققون فى المعانى .. وكان ما يقولون حقاً يتبع اولازم الاتباع .. والحقيقة غير ذلك .. فاى دين او عقل يمكن تقبل هذا الكلام .. هل جاء بهذا الإسلام اوجد فى خط كتاب ، او عقله عاقل ليقبل او سبق ان تناقلته العرب او اثر عن صحابة رسول الله ، ﷺ ، ان الشيطان نام على انوفهم ؟! من يشهد بذلك فهو محق ..

ومن جاء بآية واحدة تدل على ان منام الشياطين انوف عباد الله - مسلمين او غير مسلمين - فهو محق ، ومن دلته مدارك الحس فيه ان الشيطان نام على انه فهو محق.. ومن شاهد الشيطان نائماً على انف غيره فهو محق.. ومن شاهد شيطاناً يوسوسه او يقذف فى قلبه ما توهمه هؤلاء القوم فهو محق ، ومن لم يجد من ذلك شيئاً فليعلم ان ماراجع فى هذا الموضوع واستقر فى اوهام وخيالات المسلمين من هذا الحديث فهو باطل باطل لا اصل له فى دين الله وكتابه ولا يقبله عقل عاقل.. ومن قال بغير ذلك فهو على ملة غير ملة الإسلام مكابر لعقله ومعاند ، ولا فائدة فى امة اشتغلت بالضلالات واعتبرتها اديانا تدين بها لربها ..

وليعلم من يقرا كتابنا ان غرضنا الإصلاح الدينى وتقويم مفاهيم الأمة لدينها .. فإن التوحيد إذا فسد فسد دين المسلمين ، ومنهج الفهم والاستقبال واضح لا لبس فيه، كتاب لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ وما صح من حديث رسول الله ﷺ ووافق الكتاب بلا ادنى شبهة او إغراق فى التاويل او توفيق بين المتعارضات والمتناقضات .

فالكتاب لا يتعارض ولا يختلف ولا يتناقض وكذلك السنة ؛ وكلاهما لا يتعارض مع صاحبه ، والتوفيق والجمع بين الكتاب والسنة ، عند التعارض ، تكلف مرفوض ،

فأحدهما - عند وجود الرواية الصحيحة السند وتناقضها مع القرآن - صحيح ، ولا يعقل صحة السنة وتكذيب الكتاب إلا عند المهوسين بآثار الرواة ؛ الذين جعلوا الكتاب وحقائقه واصول الدين فيه وراءهم ظهرياً ؛ ودفعوا ما دون عقائدهم التى كوّنوها من مجموع روايات وآثار تكلفوا جمعها واستنتجوا من فهمها ديناً آخر غير الإسلام !.

يضاف إلى ذلك المنهج الذى قررناه من الكتاب والسنة كمصدرين أصيلين للعقائد وغيرها ، المنهج العقلى القائم على تقرير البديهيات أولاً والاتفاق عليها ؛ ومصاحبة الدليل والأخذ بالاستنباط والاستقراء والقياس والمشاهدة والاستدلال والنظر فى الأدلة حسب الأصول المقررة والمقدمات ، الصحيحة فى ذاتها ، وترتيبها على وجه منتج صحيح .

كما أن للغة العربية ومعانيها وتصاريفها وما يصح من استخدامات العرب لوجوه البيان فيها والبلاغة أهمية بالغة فى فهم الكتاب ومراد الله منه ؛ لأن العرب أقدر الناس على استقبال كتاب الله وآيات التنزيل ، وفهمها على الوجه الذى أراده الله عز وجل.. فعرفوا نواحي الإعجاز البياني والبلاغى فيه ، ووقفوا عندها مشدوهين ومدهوشين .. وسلموا بأنه أكبر من أن يكون قول بشر منهم ، وهم أصحاب البلاغة والفصاحة، .. **والقرآن كتاب عربى نزل بلسان عربى .. ولا يعقل إهمال المنهج اللغوى بما يزخر من أدوات تساعد على الفهم والوصول إلى مقاصد الشارع ، بعد أن حس الله على تدبر** آياته ، ولا تدبر للآيات بدون أسس تأتى فى مقدمتها اللغة التى نزل بها الكتاب . فإذا كان الكتاب عربياً وآياته عربية وكلماته عربية ولالاته عربية والفاظه عربية ومعانيه عربية ، وتراكيبه وأمثاله وبلاغته وبيانه عربية .. كيف يمكن تجاوز عامل اللغة وإقصائها من منهج التفسير والتأويل بأى حال من الأحوال ؟!!

* * *

## ٤- الشيطان والتثاؤب

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «التثاؤب من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإنْ أحدكم إذا قال : ها . ضحك الشيطان» [1] .

ذكر البخارى فى «كتاب الادب» باب «إذا تثاءب فليضع يده على فيه» عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله .. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ؛ فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان» [2] .

فى شرحه معنى قوله ﷺ «وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان» قال ابن حجر : قال ابن بطال : إضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة ، اى ان الشيطان يحب ان يرى الإنسان متثائباً ؛ لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه . لا ان المراد أن الشيطان فعل التثاؤب. وهوتوجيه صحيح وافقه عليه ابن العربى فقال : قد بينا ان كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان ؛ لانه واسطته ، وأن كل فعل (خيِّر) نسبه الشرع إلى الملك ؛ لانه واسطته .

كما بين ابن العربى طبيعة التثاؤب والعطاس بما يتوافق مع تاويله السابق فقال : والتثاؤب من الامتلاء وينشا عنه التكاسل وذلك بواسطة الشيطان ، والعطاس من تقليل الغذاء وينشا عنه النشاط وذلك بواسطة الملك . هذا الكلام اقرب إلى التوصيف والتشخيص الطبى الذى يقبل فى عصره بحسب المفاهيم والمعارف الطبية التى كانت قائمة .. اما فى عصرنا فقد يكون لامر قريباً من ذلك او بعيداً عنه .. فهو لا يقبل على عواهنه كما يظن البعض من المقلدين .

كما نفى النووى كون التثاؤب من الشيطان وبين انه اضيف إليه ؛ لانه يدعو إلى الشهوات ، إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه ؛ والمراد التحذير من السبب الذى يتولد عنه ذلك وهوالتوسع فى الماكل . ولا يظن احد أن الناس فى هذا العصر

---

(١) رواه البخارى ؛ ٦ / ٣٨٩ ، حديث ٣٢٨٩ ؛ ومسلم ، وابو داود ، والترمذى ، واحمد ، والطيالسى حديث ٢٣١٥ .

(٢) رواه البخارى ؛ ١٠ / ٦٢٧ ، حديث ٦٢٢٦ .

كانوا في رغد من العيش .. ولكن تأثير الفكر الصوفي على الوسط الإسلامي كان نافذاً .. واتخذ الأمراء والسلاطين منه آداة إلى خلق توجهات شعبية .. وثقافة موحدة ورأى واحد يتفق عليه العامة - فالدعوة إلى الزهد وقطع العمر في الزوايا والتكايا والخلوات .. وترك الدنيا وقطع المسلم أو المريد نفسه عن كل ما يشغله بالذكر والدعاء كان هو السائد ساعة إذ .. فما السبب في ذلك ؟!

السبب يعود إلى تفرد المماليك بالسلطة .. وتحريمهم اشتغال المسلمين بالساسية أو مناقشة الحكام في الشئون العامة أو الخاصة .. وقبضهم على الأمور بيد من حديد وحرمان الشعب من أدنى حقوقه المدنية .. وإهدار إنسانيته في أغلب الأوقات .. فبماذا يشتغل شعب حرم من المشاركة في إدارة شئون وطنه أو إبداء رأيه في السياسة أو الاقتصاد أو التجارة .. وهي مجالات محرمة عليه ؟!.. يشتغل بالذكر والدعاء والعبادة .. فما نتيجة هذه السياسة المملوكية على الأمة الإسلامية ؟!.. لن أجيب .. لأن الكل يعلم ما حدث للأمة من تخلف وارتداد وتبعيه .. ثم تدهور حالها حتى صارت محتلة على كل المستويات تستجدى قوتها .. ولا تملك أمرها ..

من إذاً الشيطان ؟.. هل هو الحكام الذين ظلموا الأمة .. أم العلماء الذين سكتوا عن الحق والواجب المفروض عليهم في قيادتها .. أم الشعوب التي استكانت حتى أهدرت حقوقها عن آخرها ؟!.

روى ابن ماجه بسنده من طريق عبدالله بن سعيد المقبرى عن أبيه بلفظ : «**إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوى ، فإن الشيطان يضحك منه**»[1] ، قال ابن حجر : قال شيخنا في شرح الترمذى[2] : أكثر روايات الصحيحين فيها **إطلاق التثاؤب**، ووقع في الرواية الأخرى تقييده بحالة الصلاة ، **فيحتمل أن يحمل المطلق على المقيد** ، وللشيطان غرض قوى في التشويش على المصلى في صلاته ، ويحتمل

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ١ / ٣١٠ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما يكره في الصلاة ؛ حديث رقم ٩٦٨ ، وفي الزوائد في إسناده عبدالله بن سعيد ، اتفقوا على ضعفه .

(٢) جاء في صحيح الجامع للترمذى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان ؛ فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ، وإذا قال : آه آه فإن الشيطان يضحك من جوفه ، وإن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا قال الرجل: آه آه إذا تثاءب فإن الشيطان يضحك في جوفه» ٥ / ٨٠ حديث ٢٧٤٦ كتاب «الأدب» باب «ما جاء إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب» .. وانظر الحديث ٢٧٤٧ .

ان تكون كراهته فى الصلاة أشد ، ولا يلزم من ذلك ان لا يكره فى غير حالة الصلاة .

وقد قال بعضهم : إن المطلق إنما يحمل على المقيد فى الامر لا فى النهى ، ويؤيد كراهيته مطلقاً كونه من الشيطان ، وبذلك صرح النووى [1] ، **قال ابن العربى** : ينبغي كظم التثاؤب فى كل حالة ، وإنما خص الصلاة ؛ لانها أولى الأحوال بدفعه لما فيه من الخروج عن اعتدال الهيئة واعوجاج الخلقة .

ولا مانع من وصف التثاؤب كسلوك بانه معيب شكلاً ولا ينبغي ، لكونه باعث على الكسل والاسترخاء ودليل على التوانى ، اما اخذ المعنى على ظاهر بانه من الشيطان فعلاً فهو ما لا نقبله ؛ **لأن فى اللغة والمجاز اللغوى سعة** ؛ وقد فهم بعض العلماء ذلك كما أشرنا ؛ فهو كناية عن مدى قبح هذا السلوك وليس فعلاً للشيطان ، وإلا تعارض مع القرآن واصول الدين ؛ لانه ليس للشيطان على عباد الله سلطان ؛ فضلاً عن أن يكون سلطانه على عباد الله المؤمنين وفى الصلاة التى هى أخص العبادات عند المسلمين .

اما حديث العلماء عن المطلق والمقيد من روايات هذا الحديث فهو من الفضل ويتعارض ، وياليتهم تناولوه فى ضوء اساسيات العقيدة ؛ إذن لاسدوا لنا جميلاً كبيراً . . بدلاً من الحديث عن جزئيات . . وهم على ما فعلوا يشكرون ونحن لهم ممنونون ؛ ولكل مجتهد نصيب .

وجاء فى رواية ابى سعيد تشبيه المتثاءب بالكلب «ولا يعوى» ؛ لانه إذا افرط فى التثاؤب شابهه ومن هنا تظهر النكتة فى كونه يضحك منه ، لانه صيره ملعبة له بتشويه خلقه فى تلك الحالة . . وهو على المجاز جائز ؛ أما على الحقيقة فلا يجوز .

يقول الحافظ ابن حجر: وأما قوله فى رواية مسلم : «فإن الشيطان» [2] فيحتمل أن يراد به الدخول حقيقة ، وهو إن كان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكراً لله تعالى ، والمتثائب فى تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشيطان من

---

(٢) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ج ١٨١ / ١٢٠ .

(١) روى الإمام مسلم بسنده عن ابى سعيد عن ابيه ان رسول الله ﷺ قال : «إذا تثاءب احدكم فليمسك بيده ، فإن الشيطان يدخل» ١٨٤ / ١٢٢ .

الدخول فيه حقيقة [1] .. وهذا أمر لا يجوز عقلاً ولا شرعاً ، وهو تجاوز فى الكلام إنساق له كثير من المحدثين ؛ لأنه يستحيل دخول الجان فى الإنسان لاختلاف الطبيعتين .. فالإنسان من طين ،الجان من نار السموم .. والجن غير مكلف بالدخول فى أجسام بنى آدم وغير مأمور بذلك وهو غير قادر عليه .

وآراء المتكلمين فى هذا الموضوع قال عنها الأشعرى : اختلف الناس فى الجن هل يدخلون فى الناس ؟ على مقالتين :

( ١ ) **فقال قوم** : إنه محال أن يدخل الجن فى الناس.. وهذا هو الصواب الذى يتفق مع العقل والدين ويؤيده الطب والتشريح .

( ٢ ) **وقال آخرون** : يجوز أن يدخل الجن فى الناس ؛ لأن أجسام الجن أجسام رقيقة ، فليس بمستنكر أن يدخلوا فى جوف الإنسان من خروقه ، كما يدخل الماء والطعام فى بطن الإنسان ، وهو أكثف من أجسام الجن ؛ وقد يكون الجنين فى بطن أمه ، وهو أكثف جسماً من الشيطان ؛ وليس بمستنكر أن يدخل الشيطان إلى جوف الإنسان [2] . وأصحاب هذا الرأى حاولوا إكسابه صفة عقلية أو شرعية ولكنهم فشلوا .

ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأرد التمكن منه ؛ لأن من شأن من دخل فى شئ أن يكون متمكناً منه . وهو تأويل مقبول يحتمله المعنى والصورة الكلية التى يرسمها الحديث .

ذكر المحدثون أن النبى ﷺ لم يتثاءب أبداً ، وهو من خصائصه النبوية التى خصه الله بها .. « ما تثاءب النبى ﷺ قط » .. وقال ابن حجر : وقع فى « الشفاء لابن سبع » أنه ﷺ كان لا يتمطى ؛ لأنه من الشيطان ، والله أعلم [3] .

* * *

(١) انظر الفتح ١٠ / ٦٢٨ .

(٢) انظر ، الأشعرى : المقالات ٢ / ١٠٨ .

(٣) انظر الفتح ١٠ / ٦٢٨ .

## ٥- الذى أجاره الله من الشيطان

عن علقمة قال : «قدمت الشام ، قالوا : أبو الدرداء ، قال : أفيكم الذى أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ ؟ ... والذى أجاره الله على لسان نبيه ﷺ ، يعنى عماراً» [1] .

والحديث بتمامة فى كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمار وحذيفة ... قال الحافظ والغرض من قوله : «الذى أجاره الله من الشيطان» فإنه يشعر بأن له مزية بذلك على غيره ، ومقتضاه أن للشيطان تسلطاً على من لم يجره الله منه .

ذكر المحدثون روايتين فى سبب قولهم على عمار أنه هو الذى أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه :

١- أحدهما : قول النبى ﷺ : «ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» .

والثانية : «ما خُيِّرَ عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما» [2] .

فكونه يختار أرشد الأمرين دائماً يقتضى أنه قد أجير من الشيطان الذى من شأنه الأمر بالغى .

ذكر ابن سعد فى طبقاته من طريق الحسن قال : «قال عمار : نزلنا منزلا فأخذت قربتى ودلوى لأستقى ، فقال النبى ﷺ : سيأتيك من يمنعك من الماء ، فلما كنت على رأس الماء إذا رجل أسود كأنه مرس ، فصرعته » فذكر الحديث ، وفيه قول النبى ﷺ « ذاك الشيطان » فلعل ابن مسعود أشار إلى هذه القصة [3] .

وهذا الكلام يدل على معرفة الرسول ، ﷺ ، بما سيحدث من الشيطان ، فلمَ لم يكن فى نصرة عمار عند القليب ؟!.. وما النكتة فى معرفته بما سيحدث من الشيطان ، هل فى هذا إظهار لمعجزته ﷺ أو كرامة لعمار ، رضى الله عنه ، بأن صرع رجلاً أسوداً ؛ كأنه مرس ، وإخبار النبى بعد ذلك له أنه الشيطان ؟!

---

(١) البخارى ، ٦ / ٣٨٩ حديث ٣٢٨٧ - وحديث ٣٧٤٢ - ٣٧٤٣ - وغيرها .

(٢) أخرجه الترمذى ؛ ٥ /٦٢٧ ( كتاب المناقب، باب مناقب عمار .. ) حديث ( ٣٧٩٩ ) ، وقال السيوطى فى الجامع الصغير رواه الترمذى والحاكم ؛ ٢ / ١٤٥ .. قال : الترمذى هذا حديث حسن غريب ..

(٣) الفتح ؛ ٧ / ١١٦ .

ما النكتة في أن الشيطان لا يكون إلا كلباً أسوداً أو إنساناً أسوداً .. هل هو احتقار للسواد أو استهزاء ببعض المخلوقات لجنسها أو لونها .. ما الذى حقر الكلب أو الإنسان الأسود حتى يشبه بهما عدو الله النكرة إبليس ؟!

# الفصل السادس

# دولة إبليس !

١- إبليس على عرش العالم !

٢- قرنا الشيطان والشمس .

٣- الشيطان وساعة الميلاد .

٤- القرين !!

٥- الشيطان والكهان .

٦- الشيطان والرؤى .

٧- عمر والشيطان .

# الفصل السادس
# دولة إبليس

إذا سلمنا أن إبليس على عرش العالم .. وهو المتصرف في دولة الشر .. وأن له على كل إنسان قريناً .. وأنه يأتي كل إنسان ساعة الميلاد فيطعن في خاصرته كأنه يضع عليه خاتمه ، وأن الشمس تشرق من بين قرنيه .. وأنه يتسمع في الملأ الأعلى لحساب الكهان .. هو وجنوده .. وله قدرة على النفاذ إلى الإنسان حتى يمتلك خياله في عالم الرؤى والغيب .. لو تصورنا وسلمنا بكل هذا .. فماذا بقي لدولة الخير .. أو ليس هذا التصور مناقضاً للتوحيد ، وكونه تعالى ﴿ خالق كل شيء ﴾ ! .

كيف تنهض أمة التوحيد في مواجهة اليهود ومن ورائهم من شياطين الإنس وسادة الشر في العالم إن كانت دولة الشيطان هي المسيطرة على كل ما سبق ؟! ..

إن ما جاء في السنة والأحاديث – إن صح ثبوتها لفظاً ومعنى – فلابد لها من تفسير وتأويل يقصد به التصوير والتقريب .. لا الحقيقة .. فديننا جاء ليحررنا من أوهام المجوس والمانوية والبوذية الذين عبدوا النار والشر والخير والظلام والنور وجعلوا الشيطان شريكاً لله وندا .. تعالى الله عما يشركون .. وكل ما جاء في تراث الشعوب من تمجيد الشيطان وإعلاء قيمته لا شك ترك أثراً في نفوس المسلمين ، وخاض كثيرون في أوحال اليأس والجبرية المقيتة وسلموا بأنه ما أراده الله منهم في قرآنه وقصده رسوله في سنته ..

ألا إن السنة مبينة للكتاب وموضحة له .. تسير في أنوار منهجه وليست ناقضة له .. والحق واحد لا يختلف ولا يتناقض ولا يتضاد ، ومن اعتقد هذا فهو واهم . خرج من التوحيد إلى التحييد .. ومن الإيمان إلى الكفر .. وهو يؤمن بدين غير الإسلام .. إن الإسلام جاء أمناً للإنسان ونوراً يملء الأكوان .. لا سبيلاً للجهل والخرافة عليه .

خلقنا الله من عدم وأوجد الأكوان والإنسان والجان والملائكة ،.وكل ما في الوجود صنعته .. ولم يجعل لأحد من خلقه سلطاناً على الوجود من دونه .. وإنما هو فتنة

وإبتلاء .. ولا يخرج الأمر عن هذه الحدود ، ما أقسم عليه إبليس مجرد ظن ووهم .. صدقه بنى آدم من سوء فعالهم .. ومن تاب تاب الله عليه وهو الغفور الرحيم .

وفي عصرنا دولة إبليس هى تلك الدولة التى تمد سلطانها وهيمنتها على العالم ، سياسياً واقتصادياً وثقافياً .. وتظن ، لفرط غرورها ، أنها ستضع من نفسها حضارة الزمن الآتى ، وستكون مركزاً لتلك الحضارة ..

فهى تلك الدولة التى تتبنى العنصرية أساساً لتفكيرها وعقيدتها السياسية ، لكونها شعباً مختاراً من قبل الله ، تعالى ، يحق له استعباد العالم .. وتحاول خلق تبعية سياسية لجميع الدول .. وحكم العالم من خلال عدة منظمات ، اتضح تماماً أنها شكلية فمن منظمة الامم المتحدة ومجلس الامن ، حتى صندوق النقد الدولى ومنظمة الدول الست ، المتصرفة فى شئون العالم وخلق الأزمات فى كل جزء من العالم .. لتعبر عن هيمنتها التامة .. وامتلاك الأسواق العالمية ، عن طريق اتفاقية الشراكة والجات .. وتعويم العملة .. والسيطرة على السوق العالمية للسلاح والمنتجات الثقيلة .. وفرض الإصلاح الاقتصادى الذى تراه على الدول المدينة ، وبما يتفق مع مصالحها السياسية والاقتصادية .. عن طريق الشركات متعددة الجنسيات والخصخصة .

كما أن دولة إبليس هى تلك الدولة التى ترعى الحكومات العميلة ، وتزرع الحكام التابعين لها مثال ذلك بونشيه فى شيلى ، والعديد من الحكومات فى البرازيل مثل كولور ونهاية بكارلوس منعم فى الأرجنتين .. وكذلك ما حدث فى نيكارجوا .. وربط اقتصاد بعض الدولِ بها كالمكسيكِ وكندا .. ثم حكم هذه الدولِ من داخل الكونجرس بإصدار قوانين يسير مفعولها على هذه الدولة، كما فعلت مع الشركات التى تعاملت مع كوبا أو إيران أو السودان أو ليبيا .. بقانون ( هيلمز - بورتون ) أو قانون ( داماتو ) [1] .. لقد عدنا إلى الوراء فصرنا سِنَّة فى ترس كبير ، يدور بقوة ماكينة تقودها دولة إبليس .. فتحديد سياستنا الاقتصادية بداية من الزراعة ونهاية بالأعمال اليدوية مرهون بتخطيطها .. فهنيئاً للشيطان .. وإلى أن تظهر طبعة

---

( ١ ) انظر روجيه جارودى : كيف نصنع للمستقبل ؟ ، ص ٧٩ .

جديدة من عرب ينشدون طعم الحرية .. ويريدون الحياة في أرض عربية ، لها حضارة عريقة راسخة .

ودولة الشيطان هى تلك الدولة التي تقهر شعباً عربياً ، أكثر من عشرة أعوام متصلة ، حصاراً وتعذيباً وتدميراً وقتلاً ، حتى خرجت أنفاس أطفاله موتاً واحتجاجاً .. والعالم العربى يستجديها ان ترفع الحصار عنه رحمة بالصغار والشيوخ والمرضى والنساء ، فلا تستجيب .. وهم عاجزون عن مساعدة أختهم الشقيقة التى تذوق الهوان ، خشية بطش وغضب دولة الشيطان !!

ويكفى ماكتبت حتى لا اتهم بانى احاول بعث ركاماً بشرياً يسمونه العرب واؤلبهم ، حتى ينتفضوا في وجه دولة إبليس التي صنعوها هم بخوفهم وأموالهم التي تطفح بها بنوكها ، وتدير عجلة اقتصادها وتطور به سلاحها الذى تجربه اول ما تجربه فينا نحن !

وحتى لا اتهم بانى قد ارهبت الشيطان وافزعته .. فلتنعم سيدى .. فإنهم نائمون .. ولن يستيقظوا إلى يوم يبعثون!



## ١- إبليس على عرش العالم !

روى مسلم بسنده عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول : **«إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة»** [١] .

وروى أيضا عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا. فيقول : ما صنعت شيئاً . قال : ثم يجئ أحدهم فيقول : ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته . قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم انت . قال الأعمش: أراه قال : فيلتزمه»** [٢] .

وهذا الحديث يشير إلى ان لإبليس دولة وجنود .. ووظيفته التحريش ببني آدم وإغوائهم وإيقاعهم في حبائله .. ويعني ان إبليس وجنوده مسلطون على بني آدم ولاهم لهم غير ذلك .. فمن الذى سلطهم ؟.. يبدو ان المجبرة حسموا هذا الامر وقرروا ان الله ، تعالى ، هو الذى سلط إبليس وجنوده على بني آدم ! .

وهل من العدل تسليط أعدائه على أوليائه ، ليغوهم عن التوحيد والطاعة .. وإذا كان لإبليس كل هذه الطاقات الهائلة والقدرات الفائقة ماذا بقى حتى يساوى الله ، عز وجل ، القادر على كل شئ .. وماحيلة الإنسان فى عدو يأتيه من كل اتجاه وهو لا يقدر على دفعه ودرأ مكائده ؟!

إن هذا الحديث يتعارض مع القرآن والعقل .. والتوحيد والعدل .. واصول الدين جملة وتفصيلاً .. وهو اشبه بحكايات الرواة منه باحاديث المعصوم ، عليه الصلاة والسلام .. ولا يقال إني ارد سنة رسول الله ، ﷺ ، وانكرها .. فهذه مقالة شنعاء من قوم مفترين ، ضاقت عقولهم وصدورهم عن فهم دينهم .. ومنهم من يهوى الهجوم على العلماء .. وان يصنع من نفسه حارساً ، حيث لا يحمد من امثاله ان يكون كذلك .

وعموماً لو فسروا هذا الحديث ووجدوا له تاويلاً يتسع له صدورهم وعقولهم ..

---

(١) مسلم ١٧١ / ١٥٦ حديث ٦٥ .

(٢) مسلم ١٧١ / ١٥٧ حديث ٦٦ .

بأن قالوا إن إبليس الذى قصده الرسول ، ﷺ ، هو إسرائيل وأمريكا حيث تعربد الأولى فى المنطقة العربية كيف شاءت وتضرب بذراعها الطويل ، التى تتمنى قطعهُ ، أى دولة عربية فى أى وقت .. كما حدث لتونس حين ضربتها بحجة راعيتها للمنظمة والفلسطنيين فى الثمانينات .. أو ضربها للمفاعل النووى العراقى العربى .. أو قصفها واحتلالها للبنان .. أو .. إلخ فأنا أوافق على هذا التأويل ..

وإن قالوا إن إبليس وجنوده هى أمريكا ؛ لأنها تضرب العراق مرة والسودان مرة أخرى ، ثم تنعطف فتضرب ليبيا والصومال .. وهى الآن بصدد ضربها لإيران بحجة راعيتها للإرهاب (الإسلاميين) الإسلام .. فأنا معهم كذلك .. ولا خلاف بيننا !!

* * *

## ٢ - قرنا الشيطان والشمس

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا طلع حاجبُ الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز ، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب .. ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولاغروبها ، فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان» [١] .

حاجب الشمس : طرف قرصها الذى يبدو عند طلوع الشمس ويبقى عند الغروب، وقرنا الشيطان : جانبا رأسه ، فإذا انتصب الشيطان فى محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين جانبى رأسه لتقع السجدة له إذا سجد عبدة الشمس لها وكذا عند غروبها .. وهو مجرد ظن عبدة الشمس اما ان هناك شيطاناً عند مطلعها؟! .. فهو ما يحتاج إلى تفسير وتأويل .

ومن يشاهد طلوع الشمس لو شاهد الشيطان لرآه منتصباً عندها ! .. هكذا تصوروا والصواب أن يقال إنه مجرد مثل ضربه الرسل ﷺ لبيان الأوقات التى نهى عنها الشرع أن يصلى فيها .. أو أن النهى لعدم مشابهة الكفار الذين يسجدون لها ، وهو مذكور نصاً عند مسلم «وحينئذ يسجد لها الكفار» .

**عبادة الشمس:**

ولقد عبد الناس قديماً الشمس وقدسوها وتوجهوا إليها ، حدث ذلك فى حضارات مختلفة فالمصريون القدماء عبدوا قرص الشمس ، واعتبروا الفرعون ابن الشمس المقدس .. واشتهرت عبادة آمون وتفرعت عنها العديد من الطقوس والشعائر .. والتى بقى من آثارها بعض العادات عند المصريين حتى يومنا هذا .. وكذلك كان الحال عند الآشوريين والفينيقين .

ويبدو أن العديد من القبائل البدائية كانت تعبد الشمس لذاتها ، أو كوسيط بينهم وبين الله .. وهوما تطور فى عقائد الوثنيين القدماء ، عندما أرادوا وضع تصور

---

(١) الفتح ٦ / ٢٨٦ حديث رقم ٣٢٧٢ . ومسلم فى كتاب الإيمان حديث ٨١ ؛ وأحمد فى مسنده ٤ / ٢٣٣ ، ٥ / ١٩٠ - والطيالسى حديث ٨٩٦ ، ١١١٧ .

وتفسير لكيفية خلق العالم الميتافيزيقي ، وكيف صدر عنه خلق العالم المادى « الفيزيقى » والذى كان عبارة عن عدة دورات للفلك ، انتهت بدورة فلك القمر ، التى من خلالها خلقت الأرض .

وجاء من بعد ذلك فلاسفة اليونان ، ليضعوا تصوراً كلياً للوجود وخلق العالم ، حرصوا فيه على ربط خلق الأرض بالسماء وما فيها من كواكب ونجوم ومادة .. ومنها ما يرتبط بدورة الأرض وخلقها .. ولذلك تصور من عبد الشمس قديماً أنها ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ، ومنها نور الكواكب وضياء العالم ، وتُكوّنُ الموجودات السفلية ، وهى ملك الفلك - كما يقول الشهرستانى نقلاً عنهم - فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء ، ويسمى هؤلاء بالدينكيتية ، واتخذوا لهم صنماً فى الأرض كوسيط بينهم وبين معبودهم الشمس ، على صورة أربعة أفراس على عجل[1]، وبيد الصنم شعلة نار . أو تشكيل يمثلها ، يطوفون حوله بالدخان والمزاهر والمعازف لنيل رضاه وإعلاناً منهم لطاعته .

وجعلوا له بيتاً خاص بنوه باسمه ، واوقفوا عليه الضياع والأراضى الواسعة ، وجعلوا كذلك له السدنة والكهنة وحارساً هو الكاهن الأعظم .. وصلّوا له وصاموا ، وقصده المرضى والزمنى وأصحاب العللْ وتوجهوا له بالدعاء والحاجات [2] !!

فقد كان يعرف القدماء التوحيد .. وعبادة الله الواحد خالق الإنسان والأكوان .. ولكنهم ضلوا فى زمن الفترة ، والتى كانت تخلو من الرسالات والهدايات السماوية .. فأرادوا باجتهاداتهم أن يتخذوا إلى الله ، تعالى ، وسطاء من خلقه يشفعون لهم ومع تقادم الزمن قصدوا الوسطاء والشفعاء ، وغفلوا عن جوهر التوحيد .. أو أراد غيرهم تفسير علة الوجود والخلق ، فاعتقد بأنها تنتهى إلى الشمس والعقل الأول والمصدر الأول للوجود .

.. وهكذا تعددت الأسباب لعبادة الكواكب والنجوم من عهد إلى آخر ، ومن قوم إلى آخرين .. وهؤلاء ماكانوا يعبدون شيطاناً ولا يقصدونه إجلالاً وهيبة أوخوفاً وخشية .

---

(١) انظر ابن النديم  الفهرست ؛ ص ٤٤٨ .

(٢) انظر الشهرستانى  الملل والنحل ؛ ٢ / ٦٠٩ ، ٦١٠ .

## عبادة الشيطان :

جاءت عبادة الشيطان من خلال الصلة التى أنشاها شياطين الإنس بشياطين الجن، طمعاً فى تسخيرهم أو الانتصار بهم على بني جنسهم من المستضعفين : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) ﴾ [١] .

وقال تعالى فى بيان هذه العلاقة وكيف نشات واهدافها : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾ [٢] فالشراكة التى بينهم جمعتهم على الضلال والكفر والرغبة فى خراب العالم ودماره ، وإغواء البشر وإهلاكهم هو مقصدهم الأسمي .. لقد رغبوا في الشر والفساد .. وأراد الله هدايتهم فابوا إلا الفسق والفجور، بما ركب فيهم من طبائع فاسدة ونفوس خبيثة غلب عليها حب الشر وكراهية الخير ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠) ﴾ [٣] .

وزادت صلة الإنسان بالشيطان فى القرن العشرين فاشتعلت الحروب اكثر وشاع الدمار فى العالم من خلال حربين كونيتين اهلكت اكثر من خمسين مليون إنسان ، وانقسم العالم بعدها إلى معسكرين احدهما شرقى . تمثل فى الاتجاه الشيوعى الذى أمته روسيا .. والآخر راسمالي غربى تزعمته امريكا .. وبين قطبى الرحى تمزق العالم وقامت الحروب ، ولم تهدأ نيرانها فى أسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وسقطت الخلافة الإسلامية وتحالف العرب والمسلمون مع القطبين العالميين .. وآذنت شمس الحضارة العربية بالزوال إلى غير رجعة – لولا رحمة ربى – وتحكمت الاستراتيجيات والأيدلوجيات المختلفة بالمنطقة ، ودارت حركة الحياة فى بلادنا تبعاً للشرق أو للغرب وما زالت .

فمتى تكونت وتاسست جمعيات واندية عبادة الشيطان واين ؟! .. تاسست فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وأول ما كان ظهورها فى امريكا واوربا .. واعلنت

---

( ١ ) سورة الانعام آية ١١٢ .

( ٢ ) سورة الأنعام آية ١٢١ .

( ٣ ) سورة الأعراف آية ٣٠ .

صراحة عبادتها للشيطان ، والقليل منها الذى استحى من الإعلان او رغب فى إخفاء هدفه ، لمقاصد سياسية واجتماعية منعته .. أوحاول التبشير بها .. وضمت هذه الجمعيات العلنية أو السرية كثيراً من كبار المفكرين والفلاسفة والعلماء والأثرياء ، من أمريكا وانجلترا وفرنسا والمانيا .. وبدأ عصر من التحلل الخلقى سعياً وراء اللذة.

وتعود الدعوة إلى عبادة الشيطان إلى امريكا ، حيث تأسست جمعية المتشيطنون Sataniat .. وهو إعلان ضمنى لخلع عبادة الله والالتزام بالشرائع والأخلاق .. وعبادة الشيطان والهوى والغريزة ، فكان هدف هذه الجمعية إشباع الغرائز الجنسية ، وممارسة السحرالأسود وشرب المخدرات بانواعها .. وإعلان طقوس وشعائر جديدة تناسب افعالهم .

لقد رغبوا فى فعل شئ واى شئ .. تحت ما يسمى بالحرية البدائية أو المطلقة .. والعودة بالإنسان إلى الحرية الأولى ، والعهد الذى لم يكن يقيد حريته شئ ! .. وما لبث أن شاعت هذه الجمعيات ، فانشأ (دريانوليمى) واحدة بشارلستون .. وانتقلت من أمريكا إلى انجلترا ، فانشأ (السيركرولى) جمعية لعبادة الشيطان ، واخذ يبشر بديانته الجديدة فى أنحاء أوربا والعالم ، بمساعدة الطبقة الفنية والأثرياء ، الذين استهوتهم هذه الديانة !!

ومن انجلترا انتقلت إلى بلجيكا على يد القس (دوركبر) .. وأخذوا فى بث دعوتهم ومذكرات أتباعهم وما صادفوه فى هذه الدولة الجديدة ، التى انشأها إبليس على أيديهم .. وفى حفلاتهم وسهراتهم كانت تمارس الرذيلة ، بكل اشكالها ويستمعون لموعظة إبليس .. وغالى بعضهم فى الأمر فذبح آدمياً قرباناً للإله الجديد !

فمن الجمعيات الماسونية ، حتى نوادى الروتارى والنوادى المغلقة ، التى لايدخلها إلا الخاصة عُبد الهوى ، فهناك نادى «جهنم» بانجلترا انشاهُ «الأبرل» والذى يضم كبار رجال المال والاعمال ، ودير «مادنهام» الذى اقامه السير فرنسيس راشوود ، وأعاد بناءه على حسب الهوى الشيطانى ، وكما تقرره اللوائح الإبليسية .. وأعضاءه جميلات العالم ، وذوى المكانة الاجتماعية والسياسية والماليه بانجلترا ؟!

وفى «جنة الشيطان» يشيع الجنس والشذوذ والتطرف .. ويمارسه النساء والرجال

على السواء .. فى جو من السكر والعربدة والمخدرات ، يتواصون بالتمسك بعبادة الشيطان ولبس الشعارات الدالة على حبه وتعظيمه ..

اما ثقافة هؤلاء العابدين فقد كانت كتب الجنس وتراتيل ومزامير شيطانية .. ومن هؤلاء المشاهير الذين قصدوا هذه النوادى الشاعر «توماس بورتر» .. ولم يغلق هذا الدير إلا بعد ان ضج الناس من الصخب والجنون الذى لحقهم واصابهم ، وقد تطورت هذه الأندية لتوافق الأوضاع القانونية .. فاخذت تختار وتنتقى أسماء مهذبة لها .. وتبث دعوتها عن طريق افلام الجنس ونوادى العراة والكباريهات [1] .

وامتدت هذه الصرعة حتى تفشت فى بعض اوساط الشباب فى مصر ، فى بداية التسعينيات من القرن العشرين ، وفوجئ الجميع بأن هذه النوادى تدعوا إلى عبادة الشيطان وممارسة الجنس وشرب المخدرات والكفر بالأديان .. وافزعت هذه الظاهرة أولياء الأمور والسلطات وعلماء الأزهر والكنيسة فى مصر .. وحاولوا السيطرة على هؤلاء الشباب.. ولكنى اعتقد ان الامر اكبر من مجرد خطب وعظية أو نصائح ابوية ثم توجيهها لهم .. وينبغى أن تعمل الدولة والمؤسسات التعليمية على بث رسالة مناهضة إلى هذا الدمار الخفى ، الذى من شانه هز كيان المجتمع المصرى وتقويض دعائمه عن طريق إفساد جيل الشباب الصاعد .. الذى يمثل ثلث الشعب المصرى ..

فما أصعب أن نرى شباب الإسلام وقد انحرف عن عاداته وتقاليده وترك عقائده.. واتبع حضارة الرصاص والدعارة .. وأهلك نفسه فى بحر من الجنس والمخدرات .. والذى يحدث غالباً فى نوادى وكباريهات وصالات الديسكو وشواطئ العرى !!.. فمصر اكبر من أن يسقط شبابها غيلة فى أيدى شياطين اليهود وإعلام الجنس عبر القنوات المشفرة .. عموماً المسالة تحتاج إلى بحث ومراجعة أخرى ، ليس هذا الكتاب مجالها .. ولن يتسع المقام لتناولها .

---

( ١ ) والعجب فى الامر انه عادت هذه الجمعيات فنشطت مرة اخرى .. حتى اصدرت امريكا قانوناً ترعى فيه الشواذ وحقهم فى الحياة وعمل ما يشاؤن ، وتسلل القانون إلى انجلترا وفرنسا .. وبدات نغمة حرية الجنس تشيع على يد جمعيات حقوق الإنسان ، وتبنتها المؤتمرات العالمية لمنظمة الامم المتحدة ضمن وثيقة حقوق المراة ..! وكانت ابرز الفئات التى خطب الرئيس بيل كلنتون وُدّها فى انتخابات الرئاسة الشواذ !!

وبعـد .. عند النظر إلى حـديث الرسـول ، ﷺ ، ينبـغي أن يكون لدى الناظر فيها،كل هذا الزخم من الثقافة ، ليعلم أن الأمر أكبر من مجرد أن يكون فعلاً ساذاجاً أو تصور بدائياً ، لشيطان يمتلك العالم والفضاء ويسدُّ بقرينه عنان السماء !

فقد كان المعصوم ، ﷺ ، يعلم يقيناً ، ما فعله الإنسان من عبادة الشمس أو عبادة الشيطان والهوى .. وأراد أن ينزه أتباعه من الوموع في شبهـة عبادته ، أو التوجه للشمس بالعبادة كمن سبقهم ، فنهاها محذراً ومشدداً في التحذيرات أن يستقبلوها بعبادة ، هي أبرز وأجل العبادات التي جاء بها ديننا الحنيف ، وهي الصلاة؛ وليعلن مبدأ التبرؤ والمفاصلة بين من يعبد الله الواحد الأحد خالق الكون والبرايا ، وعبدة الشيطان .

* * *

# ٢- الشيطان وساعة الميلاد

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال : **« كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعيه حين يولد ، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب »** [١] .

اعترض الإمام أحمد على هذا الحديث واتهم المجبرة بالافتراء على الله ورسوله،ﷺ ، وعد هذا الحديث مكذوباً ؛ وهو يحمل عدة معان تعارض الكتاب ؛ إنهم يمنحون إبليس قدرة خرافية على تصريف أمور الإنسان في الارض ، وأنه يطلع على ميلاده!.. حتى الأنبياء والمرسلين لم يسلموا من هذا الطعن الذي يزعمون .. عدا مريم وابنها عصمهما الله منه !

**هل هذا حال الذليل الحقير الصاغر ، كما وصفه الله ، الضعيف الحيلة ؟! فلم يطعن في خاصرة كل إنسان ، هل لُيعلمه او ليعلمه أنه لن يفلت من قبضته ؟!.. إنه كلام لا معنى له منسوب لرسول الله ﷺ ، يعلنون به أن هناك إلهان أحدهما للخير والآخر للشر كالثنوية تماماً ، وإله الخير عاجز عن مواجهة إله الشر ودفع مكائده!**

**من المسئول عن تصوير إبليس بهذا الشكل ؛ ثم الحديث عن أسرار وقدرات هذا المخلوق وسعة حيلته في الأكوان ؟!**

**يبدو أن شياطين اليهود والمجوس كان لهم دخل في تعظيم صورة الشيطان في الإسلام عن طريق الدس في الحدث ، وهذا الحديث يرويه البخاري ومسلم [٢] ، واحمد [٣] ، ولم يسع أحد لنقد متنه على ضعفه ، خوفاً من أن يتهم بالإلحاد والكفر، والإلحاد والكفر الحقيقي الإيمان به وبالتوحيد الخالص في آن واحد .**

**تعود هذه السخافات إلى قوم من المسلمين نسبوا الخير والشر من أفعال البشر لله رب العالمين .. وظنوا أنهم يثبتون له مطلق التوحيد والمشيئة والتصرف في الأكوان..**

---

( ١ ) البخاري ، ٦ / ٣٨٩ حديث رقم ٣٢٨٦ .

( ٢ ) عن ابي هريرة ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ؛ ٢ / ٩٢ .

وانظر ومسلم بشرح النووي ، ج ١٥ / ١٢٠ ؛ حديث رقم ١٤٦ ، ١٤٧ ،المجلد الأمن ، طبعة الريان ١٩٨٧م..

( ٣ ) انظر مسند أحمد ، الجزء الثاني ؛ ص ٢٣٣ ؛ ٢٧٤ ؛ ٢٨٨ ؛ ٢٩٢ ؛ ٣١٩ ؛ ٣٦٨ ؛ ٥٢٣ .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [1] .. فما معنى أنه خالق كل شئ .. فإذن هو خالق الخير والشر من أفعال الإنسان ! .. وكأنهم لم يقرأوا قوله تعالى : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [2] ؛ أوأن الإنسان ينقض التوحيد لو كان فعله منه وحده!

وبسبب مقالتهم هذه ذهبوا يؤولون كل نص ، ويكفرون من يسفه قولهم ويتهمونه بالجهل وتلاعب الشيطان به !

وطالما أن الله قد خلق الشر من أفعال خلقه ، فقد خلق إبليس وأراد منه فعل الشر! وهم الجهلاء لو علموا وفقهوا .. لقد اسقطوا معقولية التشريع والتكليف وما يترتب عليه من جزاء وحساب .. كما أنهم ألحدوا في التوحيد حيث رفعوا إبليس وجنوده لمقامات الألوهية .. وزادوا على ذلك فاعذروا إبليس بكفره .. واعذروا كل كافر وفاسق ، ولم يستطيعوا أن يفرقوا بين أوامر الله الكونية وأوامره الشرعية .. ولم يفرقوا بين الخلق والأمر .. وأن الإرادة الإلهية في الخلق لا ترد ولا تدفع .. وأنها في الأمر تعطى المأمور حرية أن يفعل أو لا يفعل ، وحرية أن يكفر أو يؤمن ، وحرية أن يطيع أو يعصى .. إلخ .

وهذه الحرية .. وهذه الاستطاعة الممنوحة للإنسان ، لتكتمل في حقه أركان التكليف وشروطه .. ولا يصير له حجة على ربه .. وهوأساس الاختبار والابتلاء الذى اختبر وابتلى الله به الإنس والجن ، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [3] .

هي من صميم خلق الله .. بإرادته الكونية التي تقول للشئ ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[4] .. فقال للإنسان : كن حراً في فعلك مختاراً ، ولن نجبرك على اختيار ما لاتريد .. ثم كان منه – لحبه أن يهتدى عبده إلى عبادته واختيار طاعته – أن أرسل له رسله بهداياته ، وتواترت الرسالات والطاف الله ، تعالى ، بعباده لم تنقطع،

---

( ١ ) سورة الأنعام آية ١٠٢ .

( ٢ ) سورة العنكبوت آية ١٧

( ٣ ) سورة الملك آية ٢ .

( ٤ ) سورة يس آية ٨٢

حتى أكرم خلقه بسيد البشر وخيرهم سيدنا محمد ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [١] رحمة كان النبى ، ﷺ . ورسالته هى رسالة الرحمة .. فكيف يتهم رب الرحمة « الرحمن الرحيم » . بإضلال عباده وخذلانهم ؟!

تعالى الله رب العالمين عن مقالة المكذبين .

* * *

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

## ٤ - القريـن !

روى مسلم بسنده عن عائشة ، رضى الله عنها ؛ **وأن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت : فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع . فقال : مالك يا عائشة أغرت ؟!.. فقلت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك !.. فقال : رسول الله ﷺ : أقد جاءك شيطانك؟!.. قالت : يارسول الله أو معى شيطان ؟!.. قال : نعم . قلت : ومع كل إنسان ؟!.. قلت : ومعك يارسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم»** [١].

اختلف العلماء حول فتح وضم كلمة «أسلم» على روايتين مشهورتين ، فعلى الرفع معناه أسلم أنا من شره وفتنتة ، وعلى الفتح معناه ان القرين أسلم وصار مؤمناً لا يامرنى إلا بخير ..

**قال القاضى عياض** : واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه . وفى هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنته ووسوسته، فاعلمنا بأنه معنا ؛ لنحترز منه بحسب إلا مكان [٢] .

ولقد علقنا على ماجاء فى كلام القاضى أكثر من مرة ، فليراجع .. وعلى المسلم ان يكون فطن ، فمثل هذا الاثر لا ياخذ على ظاهره ؛ ولكنه يأوّل فى ضوء ما عرف من أصول الدين وقواعد اللغة وصرفها ومعانيها . فيحتمل ان يكون هذا القرين هو الهوى والشهوات او انه من شياطين الإنس .

والمسألة أبعد من هذا الحديث فى الفكر الجبرى .. فهم يعتقدون ان الله زين للعصاة المعصية بالإرادة والأمر معاً !..

واستدلوا بقوله تعالى : **﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾** [٣] ، وقال : **﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾** [٤] ، وقال : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④ ﴾** [٥] .. ورأى الجبرة

---

( ١ ) مسلم النووى : شرح صحيح مسلم ؛ ١٧ / ١٥٧ - ١٥٨ . الحديث رقم ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ - واحمد ٦ / ١١٥ .

( ٢ ) شرح مسلم ، ١٧ / ١٥٧ ، وانظر الإيجى : المواقف ؛ ص٣٥٨ .

( ٣ ) سورة الانعام آية ١٠٨     ( ٤ ) سورة فصلت آية ٢٥     ( ٤ ) سورة النمل آية ٤ .

أن الله زين أمراً وإرادة للعصاة والكفار فيما يفعلون .. وهذا لعماهم وجهلهم الذين ورثوه .. ولو علموا أن هذا ينقض التوحيد والعدل .. لعدلوا عما قالوا .. وإليك بيان ذلك ..

فكيف زين الله وحسَّنَ للعصاة والكفار ما يصنعون .. وأراد منهم إقامتهم فيها ومثابرتهم عليها ، جل وتقدس عن ذلك ؟.. بل أمرهم بالإيمان والعدل والإحسان وفعل الخير وترك الشر .. ويستدلون ، كذلك بقوله ، تعالى : ﴿ ولا تسبُّوا الَّذين يدْعُون من دُونِ اللَّه فيسبُّوا اللَّهَ عدْواً بغيْرِ علْمٍ كذَلك زيَّنَّا لكُلِّ أُمَّةٍ عملَهُمْ ﴾ [1] فصدق الله ، جل جلاله ، وكذبوا .

ولو لاحظنا أسباب النزول لاتضح لنا الامر برمته .. فهذه الآية نزلت في أبي جهل ابن هشام المخزومي – فرعون هذه الأمة – لعنه الله ، وذلك انه لقى أبا طالب ، عم رسول الله ؛ ﷺ ؛ فقال : يا أبا طالب ، إنَّ ابن اخيك يشتم آلهتنا ، ويقع في ابائنا ، واللات والعزى لئن لم يكف عن شتمه آلهتنا لنشتمن إلهه . فانزل الله في ذلك ما ذكر في اول هذه الآية ؛ تاديباً للمؤمنين ، فامرهم بالكف عن شتم اصنام المشركين ، لكيلا يجترئوا بغير علم على شتم رب العالمين [2] .

وأما التزيين والتقبيض الذي جاء في الآيات فهو الإمهال وترك المعافصة لهم بقطع الآجال ، وما كان في ذلك منه لأهل الجهل من التبرى منهم والجدل منه ، فسبحانه ، لمن عشا عن ذكر ربه منهم ،فلما ان أُمهلوا وعلى ما هم عليه من الشرك والكفر تُركوا وبالعقوبات لم يعاجلوا ، وأملى لهم ليرجعوا فتمادوا ولم ينيبوا ورأوا من إمهال الله وتاخيره لهم ، وصرف ما عاجل به غيرهم من القرون الماضية والأمم الخالية ، من ثمود وعاد وفرعون ذي الأوتاد وقوم نوح وقوم لوط وأصحاب الرس والأيكة وقوم تُبَّع والمؤتفكة ، وغير ذلك من القرون المهلكة [3].

فزادهم تأخير ذلك عنهم اجتراء وتكذيباً ومجانة وافتراء وترتيباً ، لصرف ذلك

---

(1) سورة الأنعام آية ١٠٨ .

(2) انظر ابا الحسن النيسابوري : اسباب النزول ؛ ص ١٩١ ، ١٩٢ .. بهامش مختصر تفسير الطبري ؛ طبعة دار العهد العربي . القاهرة

(3) قارن الزمخشري : الكشاف ، ٢ / ٥٦ .

عنهم ما هم عليه من أعمالهم وفاحش قولهم وأفعالهم ، فكان إملاء الله وتركهم ليرجعوا ، أو لتثبت الحجة عليهم وتنقطع المعذرة إليهم ، هو الذى أطمعهم وزين عملهم فجاز أن يقول : ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ ﴾ [1] ، إذ قد تفضلنا وأمهلنا وأحسنا فى التأنى بكم ورحمنا .

وكذلك تقول العرب لعبيدها ، يقول الرجل لمملوكه ، إذا تركه من العقوبة على ذنب من بعد ذنب ، وتأنى به وعفا عنه وصفح ، ليرجع ويصلح فتمادى فى العصيان ولم يشكر من سيده الإحسان ، فيقول له سيده : أنا زينت لك وأطمعتك فيما أنت فيه إذ تركتك ، وتأنيت بك ولم آخذك ولم أعاجلك .. فهذا على مجاز الكلام المعروف عند أهل الفصاحة والتمام [2] .

وأما تفسير الآية الثانية فهو كالسابقة فالله ، تعالى ، أوجد القرناء وخلقهم ، ولم يجمع بينهم وبين من أطاعهم ، ولم يأمرهم بطاعتهم ولا اتباعهم ، بل خصهم على مخالفتهم ، وأخبر بعداوتهم ، ونهاهم عن اتباع الهوى [3] ، فقال : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [4] ، ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (13) ﴾ [5] .

وقال ، تعالى ، فيمن يأمر ويوسوس بالسوء من الشياطين : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [6] ، فبين ما افترض وأمر به ، فلم يترك لذى علة قبله متعلقاً [7] ، فكان تقيضه لهم ما ذكر من القرناء هو تخليته لهم وتبرئته منهم ، وترك الدفع لنوازل الأسواء عنهم ، وذلك فيما تقدم عنهم من الكفر بربهم والشرك بخالقهم [8] .

وبعد .. لعلنا قد وفينا مفهوم التزيين الذى يفعله القرين .. وهل هو موجود أم لا .. وما علاقته وصلته بالإنسان على وجه الحقيقة .. وما الدور الذى أراده الله للإنسان .. وهل تعوقه هذه العلاقة أم لا ؟

ولننظر كيف أفاد التفسير البيانى للقرآن الكريم ، فى توضيح المقصود من التزيين

---

(1) سورة النحل آية 4 .

(2) قارن الزمخشرى : الكشاف ؛ 3 / 348 .

(3) قارن بالزمخشرى : السابق ؛ 4 / 196 ، 197 .

(4) سورة الكهف آية 28 .

(5) سورة القلم الآيات 10 - 13 .

(6) سورة فاطر آية 6 .

(7) قارن ، الكشاف ؛ 3 / 599 .

(8) انظر الهادى : الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية ؛ 2 / 205 - 207 .

الذى قصده الله عز وجل فى قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④ ﴾ (١) .

فقد أسند ، تعالى ، تزيين أعمالهم إلى ذاته فى هذه الآية ، وأسنده للشيطان فى آية أخرى حيث قال : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٢) .

فكيف يلتقي النصان ويتوافقان ، وأحدهما ينسب الفعل لله .. والآخر ينسبه للشيطان .. وكلاهما يحقق الغرض من تسلط الشيطان على الإنسان ؟!

ويلحق بالنص الأخير الذى ذكرناه هذه النصوص التالية :-

١- ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ④③ ﴾ (٣) .

٢- ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٤) .

٣- ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٥) .

٤- ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٦) .

إن بين الإسنادين فرق ، وذلك أن إسناده إلى الشيطان حقيقة ، وإسناده إلى الله ، عز وجل ، مجاز . وله طريقان فى علم البيان :-

**أحدهما** : أن يكون من المجاز الذى يسمى الاستعارة .

**والثانى** : أن يكون من المجاز الحكمى .

وتفسير الأول هوانه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق ، وجعلوا إنعام الله ، تعالى، بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه، ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة ، فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم

وإليه أشارت الملائكة ، صلوات الله عليهم ، فى قولهم : ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ (٧) .

---

( ١ ) سورة النمل آية ٤ .
( ٢ ) سورة النمل آية ٢٤ .
( ٣ ) سورة الأنعام آية ٤٣ .
( ٤ ) سورة الأنفال آية ٤٨
( ٥ ) سورة النحل آية ٦٣
( ٥ ) سورة العنكبوت آية ٣٨
( ٧ ) سورة الفرقان آية ١٨

والطريق الثاني : أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى يُزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين، فاسند إليه ؛ لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات .

وقيل : هي أعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها؛ زينها لهم الله فعموا عنها وضلوا ، ويعزى إلى الحسن [1] .

أما القرناء فهي تعني الأخدان عند الزمخشري .. ويجيب على التساؤل التالي : كيف جاز أن يقيض - اى الله تعالى - لهم القرناء من الشياطين ، وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم ؟.. واجاب عليه على النحو التالي : معناه انه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر ، فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين .

وهذه الإجابة تتماثل مع ما ذكرنا من حديث الهادي إلى الحق من قبل .. إلا انه يروق لي ان أذكر طرفاً من تعليق أحد الأشاعرة على الزمخشرى ، وأترك الحكم للقارئ لعله يفهم نوعية الفكر الذى كان يحكم هذا الاتجاه ، يقول معلقاً عليه : هذا على مذهب المعتزلة انه ، تعالى ، لا يقدر الشر . اما على مذهب أهل السنة أنه ، تعالى ، يقدره كالخير ، فلا داعى إلى هذا التكلف . قال ، تعالى : ﴿ألم تر أنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)﴾ [2] .. إلخ .

ويقول ايضا .. على مذهب أهل السنة : «إن الأمر على ظاهره ، فإن قاعدة عقيدتهم أن الله ، تعالى ، قد ينهى عما يريد وقوعه ، ويأمر بما لا يريد حصوله ، وبذلك نطقت هذه الآية وأخواتها ، وإنما تأولها الزمخشري ، ليتبعها هواه الفاسد في اعتقاده أن الله ، تعالى ، لا ينهى عما يريد ؛ وإن وقع فعلي خلاف الإرادة - تعالى الله عن ذلك ، وبه نستعيذ من جعل القرآن تبعاً للهوى» [3] .

هذاهو رجل أهل السنة المفوه الحكيم .. اى إنك إن اردت ان تكون منهم ، عليك أن تؤمن بالله الذى : «قد ينهى عما يريد وقوعه ، ويامر بما لا يريد حصوله» !.. وهذا الرجل وامثاله من أسوأ الصور التى تعرض للإسلام ، فلكى يقنعك بما يعتقد من ضلالات .. وعقيدة سيئة في الله ، تصوره على انه غير عادل وغير حكيم .. يحذرك

---

(١) انظر الزمخشرى : الكشاف ؛ ٣ / ٣٤٨

(٢) سورة مريم آية ٨٣ .

(٣) هامش الكشاف ، ٤ / ١٩٦ - ١٩٧

بأن هذه عقيدة أهل السنة .. وأن من يعتقد غيرها فهو مبتدع ضال .. ويخوفك بأنك تكفر بماجاء من ظاهر القرآن النص !! ..

ولو عرف الفرق بين الإرادة الكونية للخلق ، والإرادة الأخرى التى هى للأمر .. لأمكنه فهم آيات الله فى كتابه فهماً صحيحاً .. فلم يقل أحد من الأولين والآخرين أن لا يقدر على فعل الشر .. ولكننا وجدنا قوماً عقلاء قالوا : إنه يقدر على فعله ، ولكنه لا يفعله تنزيهاً لذاته من فعل ما يقدح فى الحكمة أو يناقض العدل والرحمة .. وقد كتب على نفسه الرحمة ، وأكد على أنه لا يظلم أحداً من خلقه بعد أن حرم الظلم على نفسه ، وأمر بالقسط والعدل والإحسان .

قال تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [4] .

شرب سائق الخمر ثم قاد سيارته الجديدة فى طريق وعر بسرعة جنونية فانقلبت به، فأخذ يلعن صانعها .. فهل هومحق ؟! .. إنه مجنون ؛ لأنه لم يقدها فى طريق ممهد ولا حسب السرعة المقررة .. وصانعها أتقن صنعها ؛ ولكنه أساء استخدامها .

وكذلك الله رب العالمين – ولله المثل الأعلى – فقد خلق الإنسان وأبدعَ فى خلقه ، وركب في صنعته نفساً ، وميزها بأن أعطاها القدرة على الاختيار بين الخير والشر .. ودعاها إلى الخير ورغبها فيه ، وحذرها من الشر وقبحه لها ، وبيَّنَ لها عاقبة الاختيار ونواتجه .. أبعد هذا يقال إن اختيارات الصنعة ، التى هى بمثابة السيارة للسائق ؛ محسوبة على خالقها ؟!

نعم فالصنعة وما تفعل ملك لصانعها .. وكما أنها من خلقه ففعلها من خلقه كذلك .. إلا أنه لا يمنع أن يكون فى الوقت نفسه أنه أحب لها أن تختار الخير ..

---

( ١ ) سورة الأنعام آية ١٢ .

( ٢ ) سورة فصلت آية ٤٦ .

( ٣ ) سورة الأعراف آية ٢٩

( ٤ ) سورة النحل آية ٩٠ .

وكره لها أن تختار الشر ؛ وكما أن اختيارها للشر كان اختياراً لشئ من خلق الله ، فاختيارها للخير هو كذلك من خلق الله .. ويسر لها الأمرين .. ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [1] ، ولم يحل بينها وبين طاعته .. كما أنه لم يقسرها على فعلها .. والأمر كذلك بالنسبة لاختيارها للمعصية ..

غاية ما في الأمر أن هناك اتجاهاً يريد أن ينسب إلى الله ، تعالى ، اختيارات الشياطين من الإنس والجن؛ ليعذرهم على كفرهم وفسقهم .. وهناك فريق آخر يقول إن اختياراتهم هي لهم وحدهم ، ويحاسبون عليها .. ويجزون عليها بالإحسان إحساناً وبالسيئات إساءة .. والمسافة في اعتقادي بين الاتجاهين ، إذا ما نفينا الشكلية واللفظية ؛ جد قريبة ؛ لولا التعصب وسوء الفهم .

***

---

(١) سورة البلد آية ١٠ .

## ٥- الشيطان والكهان

عن عائشة ،رضى الله عنها ، عن النبى ﷺ قال : «**الملائكة تتحدث فى العنان – والعنان : الغمام – بالأمر يكون فى الأرض فتستمع الشياطين الكلمة ، فتقرها فى أذن الكاهن كما تقرُّ القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة**»[١] .

يقول الحافظ ابن حجر حديث عائشة فى ذكر الكهان أو رده معلقاً عن الليث ، وقد تقدمت الإشارة إليه فى صفة الملائكة[٢] ، وقد وصله أبو نعيم فى المستخرج من طريق أبى حاتم الرازى عن أبى صالح كاتب الليث عنه وقال : يقال إن البخارى حمله عن عبدالله بن صالح[٣] .

وتوقف في وصل هذا الحديث ، وبين طرقه لبيان أن البخارى قد تفرد به فقال : قوله « حدثنا محمد حدثنا ابن أبى مريم » قال الجيانى : محمد هذا هو الذهلى ، وقال أبو ذر بعد أن ساقه : محمد هذا هو البخارى ، وهذا هو الأرجح عندى ، فإن الإسماعيلى وأبانعيم لم يجدا الحديث من غير رواية البخارى فأخرجاه عنه ، ولو كان عند غير البخارى لما ضاق عليهما مخرجه ، ونصف هذا الإسناد الأعلى مدنيون، ونصفه الأدنى مصريون .

كما ذكره البخارى فى كتاب « الطب » باب « الكهانة » فقال : حدثنا على بن عبد الله حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهرى عن يحيى بن عروة بن الزبير « عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال : ليس بشئ . فقالوا : يارسول الله ، إنهم يحدثوننا أحياناً بشئ فيكون حقاً ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة »[٤] .

نقل عن الخطابى أن النبى ﷺ بين أن إصابة الكاهن أحياناً إنما هى لأن الجنى يلقى إليه الكلمة التى يسمعها استراقاً من الملائكة ، فيزيد عليها أكاذيب يقيسها على

---

(١) البخارى ٦١ / ٣٨٩ حديث ٣٢٨٨ .

(٢) فى الفتح ٦١ / ٣٥٠ حديث ٣٢١٠ .

(٣) الفتح ٦١ / ٣٩٤ .

(٤) البخارى ، ١٠ / ٢٢٧ حديث ٥٧٦٢ .

ماسمع ، فربما أصاب نادراً وخطؤه الغالب .. ويسمعها كما يسمع صوت الزجاجة إذا حلت على شئ أو القى فيها شئ .. واختلف العلماء هل يقرها كما تقر القارورة .. أوقر الزجاجة .. أوقر الدجاجة ؟!.. ويبدى أن فى الأمر اجتهاد فى التصوير ، وآخر فى إثبات رواية وتغليط أو تصحيف اخرى .

قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٢] .

والكاهن عند العرب فى الجاهلية راعى بيت الأصنام الذى كان يقدم الذبائح والقرابين ويتولى الشعائر والطقوس الدينية التى تقام لها ... وقد عرفت الكهانة كوظيفة فى الجاهلية ؛ ولا يستبعد نشأة علاقة بين الكهان والجان .. سيما ان هؤلاء كانوا يتسمعون فى الملأ الأعلى ويسترقون الأخبار .. والكهان يدعون معرفة الغيب وأمر السماء وما سيحدث فى غد .. وقد أكذبهم الله فى ذلك حيث قال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [٣] ، ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [٤] ، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [٥] فقد كذب الجن على الإنس ، وصدقوهم .. وظن الشقى منهم ان له حظوة أو ميزة على غيره .. ولكنهما فى العذاب المهين .

* * *

---

( ١ ) سورة الطور آية ٢٩ .

( ٢ ) سورة الحاقة آية ٤٢ .

( ٣ ) سورة آل عمران آية ١٧٩

( ٤ ) سورة الأنعام آية ٥٩ .

( ٥ ) سورة الجن آية ٢٦

## ٦- الشيطان والرؤى

عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال : قال النبى ﷺ : **«الرؤيا الصالحة من الله ، والحُلُمُ من الشيطان فإذا حَلَمَ أحدكم حُلماً يخافه ، فليبصق عن يساره ، وليتعوذ بالله من شرها ؛ فإنها لا تضُرّه»** . [١]

كما روى البخارى فى كتاب « الطب » باب « النفث فى الرقية » الحديث عن يحيى ابن سعيد ، قال : سمعت أبا سلمة ، قال : سمعت أبا قتادة يقول : **«سمعت النبى ﷺ يقول : الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان .فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات ، ويتعَوَّذ من شرها ، فإنها لا تضره»** [٢] .

وفى معنى الحلم من الشيطان قال المهلب : سمى الشارع الرؤيا الخالصة من الأضغاث صالحة وصادقة ، وأضافها إلى الله ، وسمى الأضغاث حلماً وأضافها إلى الشيطان إذ كانت مخلوقة على شاكلته ، فاعلم الناس بكيده وأرشدهم إلى دفعه ، لئلا يبلغوا أربه فى تحزينهم والتهويل عليهم ، وقال **أبو عبد الملك** : أضيفت إلى الشيطان ؛ لأنها على هواه ومراده ، وقال **ابن الباقلانى** : يخلق الله الرؤيا الصالحة بحضرة الملك ويخلق الرؤيا التى تقابلها بحضرة الشيطان ، فمن ثم أضيف إليه ، **وقيل** : أضيفت إليه ؛ لأنه يخيل بها ، ولا حقيقة لها فى نفس الأمر [٣] .

ويبدو من سكوت الحافظ ابن حجر رضاه وقبوله لهذه الاجتهادات السابقة ، وأياً منها يجوز ؛ إلا أن قول **الباقلانى** يحتاج إلى دليل من الشارع ؛ لأن طريق هذه المعرفة السماع ، وطالما أنه لا سماع يؤيده يبقى اجتهاده معلقاً أومحمولاً على جملة ماجاء فى باب الرؤيا والتعبير ، وأحسن الحافظ فى قوله ( ولا حقيقة لها فى نفس الأمر ) .. لان الشيطان لا قدرة له على الدخول إلى وجدان الإنسان والعبث بالذاكرة الحافظة والمبدعة ، وكذلك البصيرة التى تستقبل الصورمن عالم الغيب .. فكل ذلك من أمر الله ولا قدرة له على ذلك . إلا إذا قصد **الباقلانى** أن من الخواطر ما يسمى ملكاً إذا

---

( ١ ) البخارى . ٦ / ٣٩ حديث ٣٢٩٢ .

( ٢ ) البخارى . ١٠ / ٢١٨ حديث ٥٧٤٧ .

( ٣ ) الفتح ١٢ / ٣٨٦ - ٣٨٧ .

كان الداعي إليها خير ، ويسمى ما يدعو إليه إلهاماً ، ومنها ما يسمى شيطاناً إذا كان الداعي إليها شر ، ويسمى ما يؤدى إليه وسوسة كما قال الغزالي في «الإحياء» [1] .

وروى البخارى بسنده فى باب «الرؤيا من الله» عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى ﷺ يقول : **«إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هى من الله ، فليحمد الله عليها وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هى من الشيطان فليستعذ من شرها ، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»** [2] .

يقول الحافظ في قوله : ( وإذا رأى .. الشيطان ) ظاهر الحصر أن الرؤيا الصالحة لاتشتمل على شئ مما يكرهه الرائي ، ويؤيده مقابلة رؤيا البشرى بالحلم وإضافة الحلم إلى الشيطان ، وعلى هذا ففي قول أهل التعبير ، ومن تبعهم ، أن الرؤيا الصادقة قد تكون بشرى وقد تكون إنذاراً نظر ، لأن الإنذار غالباً يكون فيما يكره الرائي ، ويمكن الجمع – أى بين الرايين – بأن الإنذار لايستلزم وقوع المكروه كما تقدم تقريره ، وبأن المراد بما يكره ما هو أعم من ظاهر الرؤيا ومما تعبر به .

**وقال القرطبي فى «المفهم»** : ظاهر الخبر أن هذا النوع من الرؤيا يعني ما كان فيه تهويل أو تخويف أو تحزين هو المأمور بالاستفادة منه ؛ لأنه من تخيلات الشيطان ، فإذا استعاذ الرائي منه صادقاً فى التجائه إلى الله ، وفعل ما أمر به من النقل والتحول والصلاة ، أذهب الله عنه ما به وما يخافه ، من مكروه ذلك ولم يصبه منه شئ .

وظاهر كلام القرطبى الذى فسر الأثر على ظاهره أن للشيطان قدرات خرافية هائلة يمكنه بها تكوين صور وخيالات فى ذاكرة الإنسان بما يحب أن يكون من رؤى ، وهو ما ندرك تماماً عدم حدوثه ؛ لكونه أمراً يدرك بالحواس ولا حقيقة لذلك . أما على سبيل المجاز وأنه يحدث للإنسان ما يسر عدو الله من رؤيا مفزعة أو محزنة لذلك أرشد الشارع إلى الاستعاذة والتحول والصلاة ، لتغيير كمياء الجسم وتفاعلات الإنسان البيولوچية والسيكولوجية ، فيعود مرة أخرى إلى النوم هادئ البال ويتلاشى من الذاكرة ما كان سبباً فى هذا الكابوس ، فهو أمر صحيح ومقبول عقلاً ونقلاً ﴿مَا كَانَ

---

( ١ ) انظر الغزالي : الإحياء ؛ ٣ / ٤٢ والحديث رواه أحمد والبخارى والترمذى عن أبى سعيد ، انظر السيوطى ؛ ١ / ٢٦ .
( ٢ ) البخارى ؛ ١٠ / ٣٨٥ – حديث ٦٩٨٥ .

لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ (١) فالشيطان ينفي وجود أي تأثير أو سلطان منه فعلي حقيقي على الإنسان . فلمَ يصر الإنسان على الكذب - على عدوه - وتعليق أوهامه على شماعة الشيطان ؟!

وقيل : بل الخبر على عمومه فيما يكرهه الرائي بتناول ما يتسبب به الشيطان وما لا تسبب له فيه ، وفعل الأمور المذكورة - من ذكر ودعاء وصلاة - مانع من وقوع المكروه ، كما أن الدعاء يدفع البلاء والصدقة تدفع ميتة السوء وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، ولكن الأسباب عادات لا موجودات ، وأما مايرى أحياناً مما يعجب الرائي ، ولكنه لا يجده في اليقظة ولا ما يدل عليه ، فإنه يدخل في قسم آخر وهو ماكان الخاطر به مشغولاً قبل النوم ، ثم يحصل النوم فيراه فهذا قسم لا يضر ولا ينفع (٢) .

وهذا الحديث قد يساعدنا فيما بعد لدراسة علم النفس عند المسلمين ، وهو مبني على أصول أهمها الكتاب والسنة ؛ فقد اهتم المسلمون بالوجدان اهتماماً بالغاً وصل لحد تعيين مراكز الفهم والحفظ والاسترجاع والذاكرة وأهمية كل جزء من هذا الجهاز من العقل والجهاز العصبي في الإنسان . ولا يخلو الأمر من نقد بعض آرائهم أو معتقداتهم التي جاء العلم الحديث بخلافها .

ومن الرؤيا الصادقة رؤية النبي ، ﷺ ، في المنام فقد جاء في الحديث أنه قال : «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» (٣) ويصعب تحديد الدواعي التي تؤدي بالإنسان إلى الرؤيا . .

وكل تعليل لها أو تفسير هو مجرد اجتهاد . . فلماذا يجب على الإنسان أن ينام ، وماذا يحدث بعد ذلك ؟ هي أمور غيبية . . غير أن الثابت طبياً أن النوم ضرورة حياتية . . والكائن الحي يحتاج أن ينام في اليوم على الأقل ست ساعات متصلة . . ماذا يحدث في هذه الساعات الست . . وأين تذهب الروح ؟ يحكمنا قانون الغيب . . كما أننا في ساعات اليقظة يحكمنا قانون الشهادة . . «والله . لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون» . . «الناس في غفلة فإذا ماتوا انتبهوا» قال تعالى

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٢) الفتح ؛ ١٢ / ٣٨٩ .

(٣) أخرجه مسلم : ١٥ / ٢٤ كتاب الرؤيا ، والبخاري وأحمد والترمذي ، انظر السيوطي الجامع الصغير ؛ ٢ / ١٧١ .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾ [1] .. إن الروح قلقة من سجن الجسد ، تحاول الخلاص منه دائماً ، وهو ما لا يحدث إلا فى النوم او بالموت ..

ماذا يحدث لكيمياء الجسم .. كيف يتلاشى الزمان والمكان ويطوى .. ما علاقة مانرى فى النوم بما يحدث فى عالم الوجود الحاضر .. ؟!

فى النوم ننطلق حيث لا زمان ولامكان .. ونتجول فى الماضى والحاضر والمستقبل ونسافر حيث نشاء . ونقابل من يستحيل مقابلته فى عالم الشهود او من لم نقابله من قبل.. فما علاقة الرؤيا بالنبوة ..

قال ، ﷺ ، «رؤيا المؤمن جزء من ست وأربعين جزء من النبوة» [2] . لمَ نجد بعض الناس لا يحتاجون فى رؤاهم إلى تعبيرأو تفسير لها ، وتأتى فى المستقبل كماراوها تماماً؟!.. إنه امر يحكمه اعتبارات عديدة ، فلا ينفرد به علماء النفس وحدهم .. ولاعلماء الطب .. ولااصحاب التجربة بل الجميع .. فمثلاً هل يحكمنا فى النوم ماحدث لنا فى اليقظة أوماجال فى عقولنا من خواطر وتداعيات استحضرناها .. هل فى قدرة بعضنا ان يحلم حلماً بعينه ، كما يعرفه علماء «الثيوصوفية» .. فنحلم حلماً إرادياً ؟! كل ذلك من عالم اللاشعور ..

هل يمكن ان تسافر الروح وصاحبها يقظان ، فتاتيه بالاخبار من عالم بعيد كما يفعل «أو يدعى» أصحاب الرياضات من صوفية الهند والإسلام .. وكيف تتقاطع الخطوط ما بين النوم واليقظة ، فيتصل ما كان رؤية بماكان يقظة ، وكانه لم تكن هناك مسافة بين الاثنين ؟!..

اعرف رجلاً يرى فى نومه احداثاً تقع كما هى ، بعد يوم أو شهر اوحتى بعد وقت بعيد كما هى .. أو تفزعه الرؤيا بحدث سيحدث فى العاجل .. ويرى الموتى من أقاربه ينبؤنه بما سيحدث له أو لجيرانه أو من يعرف كما سيحدث ، وكانه يقرأ من

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٢) أخرجه مسلم ؛ جه١٥ / ٢٢ كتاب الرؤيا، والبخارى عن ابى سعيد واحمد وابن ماجة عن ابى رزين ، والطبرانى عن ابن مسعود ، الجامع الصغير ؛ ١ / ٢٥ .

اللوح المحفوظ .. كما يقول الغزالى .. ولولا ثقتى بمن يحدثنى ، وانه لا يكذب علىَّ أو على الله، لم اهتم او آبه لكلامه .. ولقد جربته كثيراً فصدق .. وهو على دين .. فما بال من نقرأ عنهم يحدث لهم ذلك ، وهم غير ذوى دين بالمرة ، أو من الماجنين الفساق ؟!

لا شك أن لتصفية النفس وقراءة كتاب الكون بالتأمل في الملك بإمعان .. وقلة الاختلاط بالناس في الأسواق وسعة الاطلاع - أياً كانت عين طريق القراءة أو وسائل الإعلام المختلفة أو تجارب الحياة - تساعد هذه الأشياء على صدق الرؤيا .. فمن الناس من يرى الرؤية فتاتى مثل فخلق الصبح ..

ولكن الغالب من الرؤى ما يحتاج إلى تاويل وتعبير .. وفى القرآن الكريم يحدثنا الله، تبارك وتعالى ، عن سيدنا يوسف ، عليه السلام ، وقد كانت أبرز معجزاته وكراماته تعبير الأحلام ومعرفة مافى الغيب من أسرار - بإذن الله - وماحدث له فى بيت عزيز مصر ، وبراءته على يد الطفل ، إذ تكلم فى المهد ، وتعبيره بعد ذلك رؤيا السجينين... ورؤيا الملك بعد ذلك.. وكيف جاءت الاحداث مؤكدة لصحة تاويله..

وإذاً فالرؤيا حق .. وهى من الله ، تعالى ، يثبت بها قلوب عباده ، أوهى عبارة عن تحذير لهم او لغيرهم حتى يعودوا إلى حظيرة الإيمان .. او هى احداث كونية لا علاقة لها بالدين أو الاخلاق والسلوك .. فهل اضغات الاحلام والكوابيس ، التى أشار إليها الحديث الذى نحن بصدده ، لها اصل ، ام هى من الشيطان كما قال ﷺ ؟!..

إن الصراع والمشاكل والاحداث الحياتية والخواطر التى تتسرب إلى الإنسان من مشاهداته وتجاربه ، او تترسب فى عقله عبر الزمن .. تمثل مجموعاً كبيراً متشابكاً .. قد لا يقوى بعض الناس على هضمه اوتمثله والتخلص منه ، كما يحدث للسموم فى الكبد ، فيؤثر عليه سلباً .. عن طريق الأحلام والكوابيس .. فكان الشيطان فعل بهم ذلك ..أو من قبله .. وعلاجها يكون بمحاولة الإنسان التخلص من أسباب هذه الخواطر الشريرة والاستعانة بالطب النفسى بما فيه من علاج مفيد لهذه الحالات..

وكذلك الذكر والدعاء والصلاة والتوجه إلى الله بالعمل الصالح .. ومد يد العون إلى الفقراء والمساكين واليتامى والمشاركة فى العمل التطوعى ، والشعور بأبناء المسلمين فى الوطن .. كل ذلك يعجل بالشفاء ويعيد للنفس توازنها .

## ٧- عمر، رضى الله عنه، والشيطان

عن سعد بن أبى وقاص قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنَّك يارسول الله ، قال : عجبت من هؤلاء اللائى كنَّ عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . قال عمر : فأنت يارسول الله كنت أحق أن يهبن . ثم قال : أى عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟!

قلنَ : نعم ، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ : قال رسول الله ﷺ : **والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»** [1] .

والحديث ورد كذلك فى كتاب «فضائل الصحابة» باب «مناقب عمر بن الخطاب»، رضى الله عنه [2] .. أما ما ورد فيه من أن الشيطان يفر من عمر ، رضى الله عنه ، ويهرب من الطريق الذى يسلكه وذلك قوله ﴿ مالقيك الشيطان قط سالكاً ... الحديث ﴾ فيقول الحافظ ابن حجر : فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضى أن الشيطان لا سبيل له عليه . لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة ، إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها ، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته [3] .

والحافظ رحمه الله صرف الحديث إلى شيطان الجن دون شيطان الإنس ، والأولى أن يفر منه شيطان الإنس من الكفار والفساق والمنافقين العصاة ، لأنه يراهم ويعرفهم ويدركون عقابه لهم لو تمكن منهم ، فهم يفرون من العقاب أو رهبة منه وهيبة ، ولمعرفتهم بقوة شكيمته وشخصيته وأنه لا يخاف فى الحق لومة لائم ..

أما شياطين الجن فهم يفرون من طريقه على سبيل المجاز فهؤلاء يراهم الذين يرونه ، فلا مواجهة ولالقاء ولا مشافهة فلمَ يهربون من طريقه ، ثم من قال أن مكان الشياطين هو الأرض؟!.. والراجح أن مكانهم فى الهواء أوالفضاء البعيد ، ولوكان

---

(١) البخارى ٦ / ٣٩٠ حديث ٣٢٩٤ .

(٢) السابق ٧ / ٥٠ حديث ٣٦٨٣ .

(٣) الفتح ٧ / ٥٨

منهم من يسكن الأرض فهو في الصحراء أو البوادى والنجوع والخرابات والاماكن المهجورة . .

والمعنى أن شياطين الإنس يهابون عمر ويخشون سطوته عليهم ، وكذلك من يفعل فعلاً يجارى فيه فعل الشيطان من الفسق والعصيان يخاف من عمر لجراته فى الحق ، ولكونه القائم مقام الوزير من الرسول ﷺ الذى يحافظ على الأمن ويباشر امور الحسبة في دولة الإسلام ، وهوحق له مشروع أقره عليه الرسول ، ﷺ ، ورضيه الناس، ثم بعد ذلك لكونه امير المؤمنين والخليفة الثانى بعد رسول الله ﷺ . .

وهناك معنى نفسي هو أن عمر ، رضى الله عنه ، قوم اخلاقه وهذب نفسه وزكاها بالتقوى والعمل الصالح وقهر باطلها وسيئ عملها فانتفى عنه كل فعل هو طاعة للشيطان ، لذا يخافه ويهابه لانه لا يوجد شئ مشترك بينهما فعمر فى درجات الأولياء ، والشيطان عدو لله قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [1] . وحق لعدو الله أن يخاف من أوليائه كمايخاف منه .

**قال الحافظ** : فإن قيل : عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة ؛ لانه إذا صنع من السلوك فى طريق ، فاولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته، له فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان ، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له ، لأنها فى حق النبى واجبة وفى حق غيره ممكنة . ووقع فى حديث حفصة عند الطبرانى فى « الأوسط » بلفظ « إن الشيطان لا يلقى عمر منذ اسلم إلا خرَّ لوجهه » وهذا دال على صلابته فى الدين ، واستمرار حالهُ على الجد الصرف والحق المحض .

**وقال النووى** : هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه ، **وقال عياض** : يحتمل أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل ، وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل مايحبه الشيطان[2] . . وهذا هو الصواب الذى نرتضيه لأن الشارع يذكر ما يذكر على سبيل ضرب المثل للتقريب والتفهيم والتعليم، وهو هنا للتقريب وكناية عن قوة عمر ، رضى الله عنه ، ومهابته ولكن الحافظ اختار الرأى الأول فقال . والأول أولى[3] . . وهو مجرد اجتهاد والله هو الهادى إلى الرشاد .

---

( ١ ) سورة يونس آية ٦٢ .

( ٢ ) انظر شرح النووى على صحيح مسلم : ١٥ / ١٦٦ .

( ٣ ) الفتح ، ٧ / ٥٩ .

# المبحث الثالث

# منهج الإمام أحمد بن يحيى في نقد فكر المجبرة حول إبليس

**ويشتمل على أربعة فصول :**

**الفصـــل الأول :** أصل قصة حي بن يقظان .

**الفصل الثانـــي :** أساسيات المنهج عند المسلمين .

**الفصل الثالـــث :** التكليـف .

**الفصل الرابـــع :** عقيدة المجبرة في إبليس .

**الفصل الخامس :** إبطال مزاعم المجبرة في إبليس .

**الفصل السـادس:** حـول الرسـالة :-

١- ترجمة المؤلف ومصنفاته .

٢- وصف المخطوط .

٣- منهجي في التحقيق

٤- نماذج من المخطوط .

# الفصل الأول

## أصل قصة «حي بن يقظان»

كنت أعتقد قبل أن يقع هذا النص بين يدى أن قصة «حي بن يقظان»[1] . هي إبداع خالص لابن سينا ٤٢٨هـ ، ونموذج رائع للقصص السلفي المبكر في تاريخنا الإسلامي ؛ ثم جاء من بعده من فلاسفة الإسلام كابن طفيل ت ٥٨١ هـ ، والسهروردى المقتول ٥٨٧ هـ صاحب كتاب «حكمة الإشراق» ، وكذلك ابن النفيس ت ٦٨٧ هـ ؛ فأخذوا هذه الفكرة عنه وكتبوها كما تراءت لهم !

هذا هوالاعتقاد السائد ، إلا أنه ينبغي له أن يتغير بعدما وجدنا الإمام أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ هـ قد سبقهم إليها ، فقد توفى قبل ابن سينا بمائة عام تقريباً ، مما يجعلنا نقطع بأن ابن سينا قد أخذ فكرة هذه القصة الفلسفية من الإمام أحمد ؛ وهو غير مستبعد ، فقد كان جل فكر ابن سينا فلسفي ، وأساسه في الفلسفة وقد سبقه إلى سبر أغوارها الفارابى والكندى . فقد عرفا الفلسفة اليونانية وترجم منها الكثير، ولهما شروح على آرسطو وافلاطون .. وإن كان تأثر الكند بآرسطو أوسع ، وقد نشر له د/ محمد عبد الهادى أبو ريدة مجموعاً من رسائله ، سماه «رسائل الكندى الفلسفية» بالقاهرة سنة ١٩٥٠م.. أما الفارابى فقد تأثر بافلاطون تأثراً كبيراً ، وبفكره السياسى على وجه أخص .

إن الفكرة الأساسية التى تدور حولها قصة «حي بن يقظان» هي هل من الممكن أن يحصل الإنسان المعرفة بدون وجود وحى من السماء أو سابق معرفة له بالطبيعة أوما ورائها ؟.. وهو ما نسمية بالخبرة المتوارثة هل لهذا الإنسان أن ينشئ معرفة من نفسه، تدله عليها فطرته مستخدماً مداركه الحسية والعقلية أم لا ؟ .

والظاهر من كلام الجميع إمكانية ذلك ؛ غير أن الإمام أحمد زاد عليها أن هذه المعرفة تحدث صحيحة بتأييد الله ، عز وجل ، وتوفيقه ودون تدخل لمعوقات طبيعة أو غير طبيعة لإفسادها أو تعطيلها . وقد عالج الغربيون هذه الفكرة فيما بعد إبان عصر النهضة فى أدبهم ، وفى سنة ١٧٩٥ تقريباً وجد عالماً فرنسياً غلاماً فى الغابات أخذه إلى باريس وحاول تعليمه الكلام ، والاستفادة من تجربته فى حياة الطبيعة مع الحيوانات .

---

(١) انظر حي بن يقظان : تحقيق د/ يوسف زيدان - هيئة قصور الثقافة .

ويبقى الإشارة إلى أن القصة على يد ابن سينا قد اتخذت طابعاً فلسفياً خالصاً واكتنفها كثير من الغموض والرمز والتركيب ، في حين أنها عند الإمام أحمد كانت بسيطة ، ومع ذلك لم تكن ساذجة ؛ وتشير إلى عنصر فكري واحد وهو إمكانية المعرفة دون وحي أو سابق خبرة ؛ مع التركيز على حرية الإنسان في المعرفة .

ويبدو لي أن هذه القصة ذات جذور أبعد من ذلك ، فربما كانت من القصص العالمي الذي يصعب نسبته إلى بلد معين أو شعب ، أو أنها نشأت في الوسط الإسلامي على يد القصاص والمحدثين لتقريب فكرة المعرفة المطلقة بالعالم والكون والألهية للناس .

وهذه القصة عند الإمام أحمد يُردُّ بها على تعنُّت المجبرة في أن الله قد أعطى الإنسان الحرية في الاختيار والقدرة والاستطاعة على الإيمان ، ويسر له طريق التكليف ثم أقدر عليه عدوه إبليس لينال منه ويتلاعب به ، ويتدخل بقدرته فيفسد طاعته لربه وإيمانه به وتوحيده له ! .. ويبدو أنهم كانوا يرغبون في الوصول إلى القول بأن الحياة وما فيها معادلة متعادلة الأطراف ليس فيها رابح أو خاسر .. وهي تبدأ وتنتهي كلعبة لها أصول ولكل واحد فيها دور .. وقد وضع مصممها كل شئ مسبقاً ، وما الناس والمخلوقات إلا دمى أو قطع خشبية على رقعة الشطرنج ، وسينتهي الأمر إلى أن الجميع لا شأن لهم بماكان يحدث ، إذ إنهم فعلوا ما قضى وقدر الصانع ، ولم يكن في وسعهم أن يفعلوا غيرما فعلوا ، وسبق وأن رسمه لهم!

فزعموا بأن لإبليس قدرة على التصرف في قلب الإنسان مما يؤثر على عقله وفعله ، دون أن يكون للإنسان قدرة على دفع هذا البلاء عن نفسه ، لقدرة إبليس الفائقة ، فهو قادر على أن ينسيه وقادر على أن يغويه وقادر على أن يرديه .. إلخ .

فقال الإمام أحمد إذا كان هذا جاء عندكم في حق إبليس ، فما الفرق بينه إذاً وبين رب العالمين ؟! وهل يستطيع فعل ذلك : ( في رجل وامرأته كانا في المركب ثم باق بهم المركب فخرجا إلى جزيرة ، فكان الرجل من مرته [1] ، فحملت غلاماً ، ثم بلغ الغلام ثلاث سنين ؛ ثم ماتا وتركاه ، أيصل إلى قلبه الأمر بالصلاة والصيام وجميع

---

( ١ ) كناية عن الجماع .

( ٢ ) انظر النص ؛ ١٣٤ ظ .

الفرائض بلا مخبر له ولا مصير؟!) . وللمسالة جذور في الفكر الإسلامي ، ملخصه أننا مكلفون بمعرفة الله ، تعالى ، قبل مجئ الشرع .

والإمام أحمد يتجاوز الحديث عن معرفته بالطبيعة من حوله وصولاً إلى اليقين، وأن وراء هذا الكون خالق رازق مبدع له أبدعه ، ينبغي عبادته وطاعته وقبول تكليفه . . وعند إذ يتوقف ليتسائل ، هل يمكن أن تحدث له هذه المعرفة التكليفية بالصيام والصلاة وغيرها من الفرائض والأحكام دون إرسال رسول له يخبره بأن الله الواحد الأحد يأمره بها ؟! وهو رأى له اعتباره عند فريق من الإسلاميين .

وطبيعي" الإقرار بالمعرفة الأولى ، وإنكار الثانية ، فإن كانت الفطرة قد دلت الإنسان على معرفة الله وتوحيده ؛ فمن أين لها معرفة مراد الله في خلقه ؛ فالأوامر الشرعية لابد لها من تبليغ ووحي ، وهذا يجرنا إلى القطع بأن الإمام أحمد يرى أن المعرفة بالله ضرورية : وفطرية لا تحتاج إلى نظر أو استدلال ، أو على الأقل لا تحتاج هي الأخرى إلى وحي وتبليغ ، وقد قال بمقالته الجاحظ وفريق من المعتزلة ؛ غير أن جمهور العلماء يقول بأن هذه المعرفة هي الأخرى تحتاج إلى الوحي والتبليغ وإلى النظر والاستدلال العقلي المصاحب له .

ويريد الله أن يبطل حجة الناس في أنه أخذهم أو عذبهم دون إرسال رسل إليهم بالوحي الذي يكلفهم بتوحيده وعبادته قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [١] . فقد أرسل موسى ، عليه السلام ، لهذا الغرض .. وكذلك رسولنا ، ﷺ .

وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ

---

(١) سورة القصص الآيتان ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) سورة الزخرف الآيات ٦ - ٨ .

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] . وهذا هو شأن من كفل الله له حرية الاختيار بعد أن منحه مسئولية التكليف .

أما فى حق رسول الله ﷺ ، قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [2] ، وقال : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٨﴾ ﴾ [3] . ويقف الرسول عند حدود الدعوة ولا يكره أحداً على الإيمان به .

وقد أرسل الله أنبياءه ورسله ليقطع على المكذبين طريق الاحتجاج بأنه لم ينذرهم ويحذرهم قبل نزول العذاب أوأن يلحقهم العقاب : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [4] وقال : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٦٥﴾ ﴾ [5] . فإرسال الرسل سبيل لانقطاع حجة المكذبين .

لقد خلق الله إبليس لطاعته وافترض عليه طاعته ، ولا يعقل أن يكون إبليس فى إضلاله وإغوائه للخلق مطيعاً لله ! .. وعلى هذا فإن إبليس فى إضلاله للغلام فى الجزيرة قد عصى ربه واتبع هواه وخالف خالقه ووجب عذابه بمعصيته . إن افترضنا قيامه بذلك ، كما يظن المجبرة أنه دوره الذى خلقه الله له .

ثم كيف يضل إبليس ذلك الغلام فى الجزيرة ويغويه وكذلك ذرية آدم ، هل لإبليس قدرات خارقة يستطيع بها ذلك ؟! .. أم أن الأمر مجرد وهم فى عقولهم ، دعت إليه النظرة الجبرية والقصور العقلى لديهم ؛ فى أن الله خلق الإنسان وسلط عليه بعض خلقه لقهره وإضلاله وهى مجرد تمثيلية افتعلها لتعذيب الإنسان !

ويعمد هؤلاء إلى المخالفة والمجادلة بالباطل ، حول مفهوم العدل والحكمة والظلم بين الله ، تعالى ، وخلقه .. فيزعمون أن مفهومهما يختلف فى عالم الشهادة عنه فى عالم الغيب .. وماكان فى حق مكتسبه ظلماً ، فليس بالضرورة أن يكون كذلك فى حق خالقه!! ..

---

( ١ ) سورة الحديد آية ٢٦ .

( ٢ ) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

( ٣ ) سورة الفتح آية ٨

( ٤ ) سورة آل عمران آية ١٨٤ .

( ٥ ) سورة النساء آية ١٦٥ .

فهلا قال لهم الله ، عز وجل ، إن العدل الذى أمرت به أوان الظلم الذى نهيت عنه يختلف مفهومه بالنسبة لذاتى ، عن الذى بينته لكم وفرضته عليكم ؟!

اسمع هذه الآيات ثم أطلق لنفسك عنان التأمل ، لعلك تهتدى لما لم يهتد إليه الظالمون المفترون :

قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [1] .

فالله صادق .. والله عادل .. وما كان له أن يكذب علينا ، فيامرنا وهو لايريد ان نفعل ماأمر.. أو ينهانا وهو يريد أن نفعل مانهى ، والعياذ بالله .. تقدس ربنا عما يقول الظالمون .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨ ﴾ [2] فهل هذا شان من يجوز فى حقه ان يظلم خلقه ؟!

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [3] . والله هو العدل ، وهو صفة كمال ، فكيف ننسب له ما هو قدح فى ذاته ، ويكون عيباً لو اتصف به أحد من خلقه ؟! .

* * *

(١) سورة الأنعام آية ١١٥ .

(٢) سورة النساء آية ٥٨ .

(٣) سورة النحل آية ٩٠ .

# الفصل الثاني

# أساسيات المنهج عند المسلمين

## ١ - مصادر المنهج الإسلامي

١ - ينبغي الرجوع إلى الكتاب والسنة :

قال تعالى :﴿ الر كتابٌ أنزلناهُ إليكَ لتُخرجَ النَّاسَ منَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ ﴾ [١] وقال ﴿ كتابٌ أنزلناهُ إليكَ مُبارَكٌ ليدَّبَّروا آياته ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أطيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ فإن تولَّوا فإنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الكافرينَ (٣٢) ﴾ [٣] وقال :﴿ وأطيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ لعلكم ترحمون ﴾[٤] .

فما أصول التشريع التي يعتمد عليها المنهج الإسلامي؟.. لاتأخذ الاحكام الشرعية إلا من الكتاب والسنة والإجماع والقياس عند بعض الفرق .

١ - والكتاب الكريم : هوالقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه قال تعالى : ﴿ حم (١) والكتابِ المُبينِ (٢) إنَّا جعلناهُ قُرآنًا عربيًّا ﴾ [٥] ، ﴿ هذا كتابٌ مُصدِّقٌ لسانًا عربيًّا ﴾ [٦] ، ﴿ تلكَ آياتُ القرآنِ وكتابٍ مُبينٍ (١) ﴾ [٧] .

ويشتمل على العام والخاص ، والمجمل والمفسر ، والمطلق والصريح والكناية .

وفيه أيضا دليل الخطاب ومفهومه ، وكل هذه الوجوه منه أدلة على مراتبها ، وإن كان بعضها فى الاستدلال به على مدلوله أجلى من بعض ، وما غمض منه وجه دلالته ، على الضعيف فى نظره ، يعلمه المستنبط الموفق ، لقوله تعالى : ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [٨] .

أما تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾[٩] .

فقال فريق من العلماء : يعنى ليس يعلم تأويل المتشابه إلا الله ، ولم يُطلع أحداً من خلقه عليه . وهؤلاء وقفوا فى قراءة الآية على لفظ الجلالة .. وأعربوا « الواو » فى « والراسخون » على الاستئناف .

---

( ١ ) سورة إبراهيم : ١ ..

( ٢ ) سورة ص آية ٢٩ .

( ٣ ) سورة آل عمران ٣٢ .

( ٤ ) سورة آل عمران آية ١٣٢ .

( ٥ ) سورة الزخرف الآيات ١ ، ٣ .

( ٦ ) سورة الأحقاف آية ١٢ .

( ٧ ) سورة النمل آية ١ .

( ٨ ) سورة النساء آية ٨٤ .

( ٩ ) سورة آل عمران آية ٧ .

وقال فريق آخر : إن المعنى في الآية انه قد يعلمه الراسخون في العلم ، وإن هذا القول عطف ، أى أن « الواو » في « والراسخون » للعطف ، فهي معطوفة على لفظ الجلالة ، واحتجوا بقول الشاعر :

**الريح تبكي شجوه .. والبرقُ يلمع في غمامه**

**قالوا** : فالبرق معطوف على الريح [1] .

اشار الأشعرى إلى موقف الناس من المحكم والمتشابه ، فقال : اختلفت المعتزلة في محكم القرآن ومتشابهه :

١- فقال «واصل بن عطاء» و «عمرو بن عبيد» : المحكمات ما أعلم الله، سبحانه من عقابه للفساق ، كقوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [2] وما اشبه ذلك من اى الوعيد ، وقوله : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [3] نقول : اخفى الله عن العباد عقابه عليها ، ولم يبين انه يعذب عليها ، كما بين في المحكم منه .

قال «أبو بكر الأصم» : محكمات : يعني حججاً واضحة لا حاجة لمن يتعمد إلى طلب معانيها كنحو ما اخبر الله ، سبحانه ، عن الأمم التى مضت ممن عاقبها ، وما يثبت عقابها ، وكنحو ما اخبر عن مشركى العرب انه خلقهم من النطفة ، وأنه اخرج لهم من الماء فاكهة وأبا ، وما أشبه ذلك ؛ فهذا محكم كله ؛ فقال : قال الله سبحانه : ﴿ آيات محكمات هنَّ أم الكتاب ﴾ أى الأصل الذى لو فكرتم فيه ، عرفتم ان كل شئ جاءكم به محمد ، ﷺ ؛ حق من عند الله ، سبحانه ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [3] .

وهو كنحو ما أنزل الله من انه يبعث الأموات .

٢- أما السنة : التى يؤخذ عنها احكام الشريعة فهى المنقولة عن النبى ، ﷺ ، إما بتواتر يوجب العلم الضرورى كنقل أعداد الركعات وأركان الصلاة ونحوها ، وإما بخبر مستفيض يوقع العلم المكتسب كنقلهم نصب الزكاة وأركان الحج ، وإما برواية الآحاد التى توجب روايتهم لها العمل دون العلم .

---

(١) الأشعرى : المقالات ١ / ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) سورة النساء آية ٩٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ٧ .

ووجوه دلائل السنة على الأحكام كوجوه دلائل القرآن من عام وخاص ومجمل ومفسر وصريح وكناية وناسخ ومنسوخ ودليل خطاب ومفهومه وامر ونهى وخبر ونحوها .

٣- **وأما الإجماع** : المعتبر فى الحكم الشرعى فمقصورعلى إجماع أهل عصر من اعصار هذه الأمة على حكم شرعى ، فإنها لاتجتمع على ضلالة .

٤- **وأما القياس** : فى الشرعيات فإنما يستدرك به معرفة حكم الشئ الذى ليس فيه نص ولا إجماع على حكمه .

١- **احدها القياس الجلى** : وهو الذى يكون فرعه أولى بحكمه من اصله كتحريم ضرب الأبوين ، لقياسه على ما حرم ، عز وجل من قول الولد لهما : اف ، قال تعالى : ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...** ﴾ [(١)] .

٢- **والثانى قياس فى معرفة الأصل المقيس عليه من كل وجه كقياس العبد على** الأمة فى تنصيف الحد لتساويهما فى الرق ، وقياس الأمة على العبد فى التقوم على أحد الشريكين ، إذا اعتق نصيبه منه وهو موسر ، وكماحرم الله، عز وجل ، البيع فى وقت النداء للجمعة ثم قسنا عليه عقد الإجارة ، وسائر العقود فى ذلك الوقت ، وليس الأصل فى هذه الأحكام باكثرهما شبهًا .

٣- **والثالث** : **قياس شبه فى فرع بين أصلين متعلق باكثرهما شبها ، وقياس خفى** كالعلة فى فروع الربا ، إذا قيس فيه الفروع منها على الحنطة والشعير والتمر والملح والذهب والورق ، وهذه وجوه مدارك أحكام الشريعة على أصول أهل السنة .

وقد خالف أهل السنة فى هذه الأصول **البراهمة** فانكروا جميع الشرائع جملة وتفصيلاً ، وانكروا بعثة الانبياء والكتب السماوية ؛ اما **الخوارج** فقد انكروا الإجماع وحجيته بعلل ليس هنامكان عرضها ، وكذلك أنكروا السنن الشرعية ، أما **الروافض**

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ – ٢٤ .

الغالية فقد أنكرت جميع أحكام الشريعة وأبطلتها ، بفكرة الوصاية والدور [١] الذى يدعونه ولذلك أكفرتهم جميع طوائف المسلمين ، بما فيهم الشيعة أنفسهم ؛ وشارك النظام وأصحابه من المعتزلة الخوارج فى إنكار الإجماع والقياس [٢] .

وقد شخص الإمام أحمد أسباب خطأ الإنسان فى فهم الدين فقال : «إن الخلق تركوا معدن الهدى ، واتبعوا الهوى ، فخالفهم الردى .. ومالوا إلى الدنيا وتقليد الرؤساء» .. كما أنهم تركوا الحكم بالكتاب والسنة والاجتهاد فى النص بما يوافق مقاصد الشريعة ، وتجاهلوا أهل العلم الراسخين فيه وعلى رأسهم أهل البيت المطهرين فوقعوا فى الجهل والمراء [٣] . قال ، ﷺ : «من كتم علماً وهو يعلمه ألجمه الله بلجام من نار» [٤] .

وقد حكم الناس الظن فى فهم الدين كما حكموا الهوى والتقليد من قبل رغم أن الظن لا يغنى من الحق شيئًا ، وقد أفاض القرآن فى التحذير من الظن والهوى وتقليد الآباء والكبراء ، فهى التى أردت القدماء فعبدو الأصنام وأشركوا بالرحمن وقتلوا أبناءهم وبناتهم واستباحوا حرماتهم قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦) ﴾ [٥]

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [٦] .

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [٧] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ [٨] .

وقد عقد الإمام يحيى بن حمزة العلوى ت ٧٤٩ هـ فصلاً في الاجتهاد والتقليد من

---

( ١ ) انظر كتابنا الرد على الروافض .. فقد أشرنا إلى ذلك .. وجاء مخطوط القاسم الرسى ليؤكد كفر قائل هذا الكلام ، ٨٩ ، ١٠١ .

( ٢ ) انظر فى هذا الموضوع البغدادى : أصول الدين ، ص ١٣ – ١٩ .

( ٣ ) انظر النص ، ١٢٥ و .

( ٤ ) رواه ابن ماجة ١ / ٩٧ ، وأحمد فى مسنده ٢ / ٤٩٩ ، ٥٠٨ ، وفى طبقات ابن سعد عن ابن مسعود ، وهو ضعيف ، الجامع الصغير ، ٢ / ١٨٠ وفى معناه أيضا : «من سئل ..» فى الترمذى وأبى داود .

( ٥ ) سورة الأنعام : ١١٦ .

( ٦ ) سورة الروم آية ٢٩ .

( ٧ ) سورة المؤمنون آية ٧١

( ٨ ) سورة البقرة آية ١٧٠ .

كتابه «الرائق في تنزيه الخالق» [1] ، بين فيه مفهوم الاجتهاد والتقليد وأحكامهما في الإسلام ، ووضح الفرق بين المجتهد الكامل والناقص ، وما يجوز فيه الاجتهاد وما لا يجوز ، وكذلك ما يجوز فيه التقليد وما لا يجوز .. ومتى يكون محموداً ومتى يكون مذموماً .

ويرسم الإمام أحمد منهجاً فى فهم قضايا الدين عموماً ، وهذه القضية التى نحن بصددها ، وهى قدرة إبليس على الوسوسة وإغواء بنى آدم وهم لا حول ولا قوة لهم فى رد ولا صد ذلك البلاء عنهم ؛ لقدرة عدوهم القادرة وقوته الفائقة على التحايل عليهم والدخول عليهم من كل باب وسبيل ؛ فيقول ينبغى عند فهم هذه القضية وكل قضايا الدين طرح الهوى جانباً والمكابرة ومعاندة المعقول ، فكل ما لا يقبله عقل ولا شرع ويقدح فى أصول التوحيد والعدل ينبغى طرحه جانباً قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2] .

ويشير الإمام أحمد إلى أن القرآن الكريم لا يتناقض ولا يختلف أحكامه فمثلاً لا يقرر الله قاعدة التيسر فى التكليف ، ثم يكلفنا بما يشق علينا قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [3] ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [4] ، وقال ، ﷺ : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» .

وقال تعالى عن التكليف ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [5] . ومن أشد أنواع التعسير والتعنت أن يكلفنا الله بما لا نفهمه ولا نعقله ولا يصح فى مداركنا ومعارفنا، والوسوسة ، – التى يزعمها المجبرة لإبليس – من هذا القبيل [6] .

ولذلك يقول الإمام أحمد المرة بعد الأخرى : القرآن لا يتناقض ولا يختلف ، وأن لكل معنى من هذا الجنس – أى ادعاء إغواء إبليس وتسلطه على الإنسان – تأويل

---

( ١ ) انظر دراستنا «عقيدة التنزيه عند المسلمين» وتحقيق النص من ١٢٣ – ٢١٩ .

( ٢ ) سورة ص آية ٢٦ .

( ٣ ) سورة البقرة آية ١٨٥ .

( ٤ ) سورة الحج آية ٧٨

( ٥ ) سورة البقرة آية ٢٨٦

( ٦ ) انظر النص ١٣٨٠ و

يرده إلى الحق والعدل والحكمة والبراءة من التناقض والعيب والفساد »[1] . فدعا الى وجوب النظر والتأويل وتنزيه القرآن عن التناقض .

## ٢- موقف العلماء من تعارض النصوص

وهذا يجعلنا نبيّن موقف علماء الإسلام من تعارض النصوص ، فقد اختلفوا في ذلك .. فإذا كان لكل من الآيتين حكم مخالف لحكم الأخرى ، مما قد يجوز ان يجتمع حكمهما ، على اختلافهما ، على إنسان في وقتين ، ويتنافيان في وقت واحد .

كقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾[2] فحكم الله سبحانه ، قبل المواريث أن يوصي الرجل عند موته بماله لوالديه وأقربائه ، ثم حكم للوالدين بالميراث في فرضه المواريث ، ثم قال : ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾[3] !

( ١ ) فقال قوم : نسخت آية المواريث للوالدين آية الوصية لهما ، وهم الذين قالوا : « لا ينسخ القرآن إلا القرآن » .

( ٢ ) وقال مخالفوهم : ليست آية المواريث للوالدين بناسخة لآية الوصية لهما ، وإنما نسخت آية الوصية لهما سنة رسول الله ، ﷺ ، وهي قوله : «لا وصية لوارث»[4] ، ولولا سنته بذلك كانت الوصية للوالدين على حالها جائزة ؛ لأن الله ، سبحانه ، إنما حكم بالمواريث لأهلها من الوالدين وغيرهما من بعد وصية يوصي بها الرجل أو دين .

ولولا سنة رسول الله ، ﷺ ، انه « لا وصية لوارث » كان للرجل إذا احتضر ان يوصي بماله لوالديه ؛ لأن الله ذكر ميراثهما ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين ﴾ ، فإن لم يوص لهما كان لهما الميراث بآية الموارثة .

---

( ١ ) انظر النص ١٤٥ ظ .

( ٢ ) سورة البقرة آية ١٨٠ .

( ٣ ) سورة النساء آية ١١ .

( ٤ ) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي ، وفي طبقات ابن سعد جـ٢ ق ٢ ص ١٣١ ، وأحمد في مسنده ٤ / ١٨٦ .. و ٥ / ٢٦٦ ، والطيالسي في ١١٢٧ .

وقال أهل هذه المقالة : إنما الناسخ والمنسوخ ما ينفى حكمُ الناسخ حكم المنسوخ، أن يحكم به على عين واحدة أو فى حالين ، لتنافى ذلك فى المعنى كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ [1] وقال : ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ [2] ، فجعل عدة اللواتى حضن الاقراء ، واللائى لم يحضن لصغر أو كبر الشهور ، ثم نسخ من هؤلاء المطلقات اللائى لم يُدخل بهن، فقال: ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ [3] ، فخرجن اللواتى لم يدخل بهن من حكم الآيتين جميعاً [4] .

وهكذا قد آثرنا ذكر موقف العلماء فى هذا المسألة .. لبيان الفرق فى التعارض بين آيات الأحكام وآيات العقيدة والتوحيد .. وأن ما يجوز فى الأولى - مع تحفظنا فى كونه نسخاً - لا يجوز فى الثانية .

ويحتوى القرآن على المحكم والمتشابه والمجمل والمفسروالمطلق والمقيد ؛ والعوام لا يدركون من ذلك شيئاً ، كما أنهم يقع فى مداركهم أوهام ليست من القرآن فى شئ، ولذلك يقول الإمام احمد «وفى القرآن الكريم آيات متشابهات لها تأويل لا يعقله العوام ولا الغباة من الأنام ، ولها أيضا معانى دقيقة فى لغة العرب تعرفها العرب فى كلامها ويجوز فى خطابها ، لما خاطبها رسول الله ﷺ وعلى آله عن الله ، جل ثناؤه بلسانها العربى المبين ، الذى لا عوج فيه ولا عمابة فى نسقه ولا خفاء عنهم فى تصريفه ، ولذلك لزمتهم به الحجة ، إذ هو عربى لا يخفى عليهم منه حرف واحد فما فوقه ؛ لأنه عربى مبين ، كما قال الله ، عز وجل » . [5] .

وجدير بالذكر الإشارة إلى موقف المتكلمين من حال العامة ، إن جال بخاطرهم شبهة من التشبيه .. يقول الأشعرى : واختلف الناس فى العامة والنساء الذين على جملة الدين ، إذا خطر ببالهم التشبيه على مقالتين :-

( ١ ) فقال فريق : عليهم أن يتفكروا فى ذلك ؛ ويتبعوا فى ذلك حجة .

---

( ١ ) سورة البقرة آية ٢٢٨ .

( ٢ ) سورة الطلاق آية ٤ .

( ٣ ) سورة الأحزاب آية ٤٩ .

( ٤ ) الأشعرى : مقالات الإسلاميين ١ ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .

( ٥ ) انظر النص ١٣٩١ و .

( ٢ ) وقال آخرون : ليس ذلك بواجب عليهم ؛ وقد يجوز أن يعرضوا عنه فلا يعتقدوا فيه شيئاً ، ولكن عليهم أن يعتقدوا إن كان ناقضاً للجملة التي هم عليها ، فهو باطل [١] .

ومن عدل الله عز وجل ، ورحمته بعباده أنه يخاطبهم بما يعقلون عنه بمداركهم وما أعطاهم من حواس وعقل ويفهمونه : وليس يجوز في عدل الله ، جل ثناؤه ، أن ينهى عن أمر لا يقدر أحد على دفعه عن نفسه ، ولا يجوز أن يحذرنا عن أمر لا نعقله ، ولا نقف على كيفيته ولانهتدى إلى وصفه ، ولا ندرى حتى يقع بنا من ليل أو نهار... لأن هذا ليس من صفة العادل الحكيم الرحيم المتفضل الحسن الفعل الذى لايجور ولا يظلم » . [٢]

والله ، عز وجل ، لا يجور ولا يظلم ولا يفعل قبيحاً ، كما يزعم المجبرة .

ومما لا يعقل في حق الله ، تبارك وتعالى ، أن يحذرنا النار ثم يدس علينا شخصية إبليس لنقع فيها !.. وبعد أن يقدم لنا الإمام أحمد مثلاً يقيس عليه فعل الحق تبارك وتعالى بنا فلا يجوز في ذاته تعالى أن : « يحذرنا من النار ومن عمل يقربنا إلى الخلود منها أبد الأبيد .. ثم يدس إبليس وجنوده في خفاء فيأتونهم من المواضع التي لايقدرون الحذر منها..!» [٣] .

وقد جاء بعد الإمام أحمد من استفاد من نظريته في فهم المتشابه في القرآن الكريم، ومن هؤلاء القاضي عبد القاهر الجرجاني في «دلائل الإعجاز» والزمخشري في «الكشاف » و«الأساس» .. حيث أبدع الأول نظرية النظم ؛ وتحدث الثاني عن التفسير البياني للقرآن الكريم ، وقد بين ذلك بوضوح الإمام يحيى في كتابه «الشامل»، و«الرائق» [٤] .

* * *

---

( ١ ) الأشعرى : المقالات ؛ ٢ : ١٠٣
( ٢ ) انظر النص ؛ ٢ : ١٤٢ ظ
( ٣ ) انظر النص ؛ ٣ : ١٤٣ و .
( ٤ ) انظر الرائق في تنزيه الخالق بتحقيقنا والدراسة التي عليه ، ص ١٦٠ - ١٦٢

## ٢ - المنهج واللغة

ويتابع الإمام أحمد فى رسم خطوط المنهج وخطواته فيقرر أن هناك من آيات القرآن ما لا يفهم إلا فى ضوء معانيها وما تنصرف إليه من لغة العرب فيذكر الفرق بين الحقيقة والمجاز ، واللغة العربية مجازية ، فيقول : «ومن الحجة لنا على من خالفنا وصرف معانى القرآن على ما بطن هو ، قول الله ، عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[١] ... ولا يعقل أنه خلق من عجل ولكن العجل منه هو .. فيقول : إن أهل اللغة واللسان العربى يقولون : إن مجاز ذلك مثل قولهم عرضت الدابة على الماء . يعنى الماء على الدابة ، ومثل قوله ، تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾[٢] وإنما الوجه أن تكون العيشة مرضية[٣] .

ورد الزمخشرى على من تسائل بقوله: لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴿١١﴾ ﴾[٤] ، أليس هذا من تكليف ما لايطاق ؟.. وأجاب بقوله : هذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها ؛ لأنه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة»[٥] .

أما الآية الثانية «فراضية» منسوبة إلى الرضا ؛ كالدارع والنابل ، والنسبة نسبتان : نسبة بالحرف ، ونسبة بالصيغة . أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها[٦] .

ويقول ابن قتيبة فى كتابه «مشكل القرآن» : ومنه أن يجئ المفعول به على لفظ الفاعل»[٧] .

كقوله سبحانه : ﴿ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾[٨] أى لا معصوم من أمره .

وقوله : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾[٩] ، أى مدفوق[١٠] .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٧ .

(٢) سورة الحاقة آية ٢١ .

(٣) النص ١٤٧ و .

(٤) سورة الإسراء آية ١١ .

(٥) انظر الزمخشرى : الكشاف ٢١ / ٦٥١ .

(٦) المصدر السابق : ٤ / ٦٠٣ .

(٧) ابن قتيبة : مشكل القرآن ؛ ص ٢٧٥ حتى ٢٩٨ .

(٨) سورة هود آية ٤٣ .

(٩) سورة الطارق آية ٦ .

(١٠) انظر فى ذلك مجاز القرآن لأبى عبيدة ؛ ٣ / ٢٦٨ .

وقوله : ﴿ أو لم يروا أنّا جعلنا حرمًا آمنًا ﴾ [1] ، اى ماموناً فيه .

وقوله : ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ [2] ، أى مبصراً بها .

والعرب تقول : ليل نائم ، وسرٌّ كاتم ، قال « وَعْلَةُ الجَرْمى » :

ولما رأيت الخيل تترى أثايجاً .. علمتُ بأنّ اليوم أحمسُ فاجرُ

، أى يوم صعب مفجور فيه [3] .

وهذا ما يسميه علماء اللغة والبلاغة المقلوب من الكلام ، فيقصد المتكلم اسم المفعول ويذكر اسم الفاعل أو العكس . وهو انواع عديدة غير ما ذكرنا .

***

---

( ١ ) سورة العنكبوت آية ٦٧

( ٢ ) سورة الإسراء آية ١٢

( ٣ ) انظر الاصمعيات، ص١٩٨ .. وهومطلع قصيدة من بحر الطويل .. وانظر «المعاني الكبير» لابن قتيبة كذلك ، ٢/ ٩٤٦ .

## ٤ - عرض السنة على الكتاب

ومن القواعد التى يذكرها كذلك الإمام احمد لتفادى أكاذيب القصاص والمحدثين على رسول الله ، ﷺ ، عرض السنة على الكتاب : وأما ما رووا من الأحاديث فى الشيطان ، وما أكثروا الرواية فى ذلك عن النبى ، ﷺ ، وغيره فما أمكن التاويل فى القرآن كان التاويل فى الأحاديث اجدر واحرى ، وليس كل حديث روى يجب انه حق ، لما قد عرفنا من كذب كثير من الأحاديث مما يبطله القرآن .

وقد قال صلوات الله عليه وعلى آله وسلم : «**ما آتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق الكتاب فهو منى ، وأنا قلته**» ، وماخالف الكتاب يمكن تقريره بالقاعدة التالية :-

١ - التثبت من الحديث سنداً ومتناً .

٢ - إذا خالف الحديث ، الصحيح السند، صريح القرآن يرد إلى التاويل ، ما أمكن ذلك، فى ضوء الكتاب .

٣ - إن استحال التوفيق ، أو تاويل الحديث ، بعد عرضه على كتاب الله يرد؛ الحديث لمخالفته لمحكم الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحتى لا يبطل الكتاب والسنة جميعاً ، وهى قاعدة يوافقه عليها أغلب المحدثين .

وقد اختلف العلماء فى موضوع نسخ القرآن والسنة - عند من اجاز النسخ - فقالوا : هل يُنسخ القرآن بقرآن أو بسنة ؟ والسنة هل ينسخها القرآن أولا ينسخها إلا سنة مثلها ؟ . . وجاءت آراؤهم على أقسام :-

( ١ ) فقال قوم : لا ينسخ شئ من القرآن بسنة رسول الله ، ﷺ ، . . وهذا صحيح إن سلمنا بجواز النسخ فى القرآن وهو موضوع طويل ، غيرأن كثيرين من القائلين بالنسخ فى القرآن الكريم ، يقصدون به التدرج فى التشريع . . وإلا كيف يجوز البداء على الله ؟!

---

( ١ ) النص ١٤٧ ظ .

( ٢ ) وقال آخرون : السنة تنسخ القرآن وتقضى عليه ؛ والقرآن لا ينسخ السنة ولا يقضى عليها . وأكثر هؤلاء من المحدثين .. وهوكلام يحتاج إلى نظر .. إذ كيف تقضى السنة بنسخ الكتاب ووجودها من وجوده .. ولم يكن النبى نبياً إلا بالوحى المنزل من السماء؟ .. والأصح أن السنة مبينة للكتاب وموضحة لمقاصده .. فالشرع كتاب وسنة لا يتناقضان حتى يقال بالنسخ بينهما .. إلا إذا كان توجيهاً وتصحيحاً لمسيرة الدعوة فى زمن التنزيل ، كما حدث فى أسرى بدر مثلاً .. فقد قضى الرسول ، ﷺ ، بحكم .. وعاتبه الكتاب على ذلك وبين له الحكم الآخر .. أوكما فعل الرسول ﷺ ، مع عبد الله بن أم مكتوم ، رضى الله عنه ، اجتهاداً منه .. ولامه الوحى فى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ ﴾ [١] ..

( ٣ ) أما من قال بأن القرآن ينسخ السنة ، والسنة لا تنسخ القرآن .. فهو أقرب للصحة والصواب لما ذكرنا من قبل .

( ٤ ) أما مقالة الفريق الأخير التى قال فيها : إن القرآن والسنة حكمان من حكم الله، عز وجل ، العلم والعمل بهما على الخلق واجب ، فجائز أن ينسخ الله القرآن بالسنة ، وأن ينسخ السنة بالقرآن ؛ لأنهما جميعاً حكمان لله ، سبحانه ، ينسخ من حكمه بحكمه ما شاء [٢] .

وهذا الفريق يبدو من كلامه الرحمة ، إلا أن النقاش معه يطول بداية من زعمه أن الله حفظ السنة كما حفظ الكتاب .. وكونهما بمنزلة واحدة .. ونهاية بقضية النسخ .. فهل تنسخ السنة الكتاب ؟! .. ومناقشة هذا الفريق تطول لكثرة جداله .. وتطبيقه الخطأ على مفاهيم لا نسلم بها أصلاً .

* **الأمثال فى القرآن الكريم :**

كما ذهب الإمام إلى أن هناك من آيات الله فى القرآن الكريم ما هو ضرب للأمثال لتقريب المعانى للمفاهيم قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ۝٤٣ ﴾ [٣] .

---

( ١ ) سورة عبس آية ١

( ٢ ) الأشعرى : المقالات ، ٢ / ٢٥١ .

( ٣ ) سورة العنكبوت آية ٤٣

فأخبر أنه قد ضرب أمثالاً لا يعقلها إلا العالم بها ، وليس يجوز قولهم فى الوسوسة على أحد له أدنى عقل ؛ إذ لا حجة معهم توجب قبول ذلك ممن خالفهم ، « والدليل على الخلق الاضطرار إلى قبوله ، وليس معهم فى الوسوسة حجة تضطر أحداً إلى قبولها . . » [١] .

وتفسير هذه الآية يساعد فى فهم المراد من النص ؛ فقد كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون : إن رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك، فلذلك قال : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [٢] ، أى لا يعقل حسنها وفائدتها إلا هم ؛ لأن الأمثال والتشبيهات إنما هى طرق إلى المعانى المحتجبة فى الأشياء ، حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام ، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحاول الموحد، وعن النبى ، ﷺ ، أنه تلا هذه الآية فقال : «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سُخطه» [٣] .

ويقول الإمام أحمد فى هذا الصدد : « هذه الأمثال والمعانى تحتاج إلى التأويل وطاعة العلماء والمستخلفين من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام . . لأنه لا يعقلها إلا أهل العلم ولا علم لمن جهل معدن الحق وقدر النبوة وخيرة الأمة » [٤] وماعظم المجبرة إبليس ورفعوا من شأنه إلا لجهلهم وتجاوزهم فى عقائدهم ، فأشركوا من حيث لا يدرون شركاً كبيراً حيث نسبوا له قدرة خارقة وأعمالاً لا يأتى بها إلا الله الواحد .

ومن الأمثلة التى ذكرها الإمام أحمد من القرآن الكريم ، التى ضربها الله ، عز وجل، للتفهيم والتقريب ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٥] والسموات والأرض لم تقبل ولم تأت على وجه الحقيقة ، وإنما هو مثل لأنها جماديات لا تسمع ولا تبصر ولا ترى ولا تتكلم وليس لها وجدان أو عاطفة بها تشعر ، ولكنه مثل منه ، عز وجل ، يفيد أنها لوكانت تعقل كما يعقل الإنسان وتفهم كفهمه لماحملت الأمانة كما حملها ، ولأشفقن منها [٦] .

---

( ١ ) النص ؛ ١٤٩ و .　　( ٢ ) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

( ٣ ) الزمخشرى : الكشاف ، ٣ / ٤٥٥ ، وبهامشه أخرج الحديث داود بن المحبر . . والواحدى والبغوى ، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

( ٤ ) ، ( ٦ ) انظر النص ؛ ١٤١ و .　　( ٥ ) سورة الأحزاب آية ٧٢ .

ويذكر الطبرى فى تفسير هذه الآية والتى بعدها ، أن الله ، جل ذكره ، لما استخلف آدم على ذريته ، وسلطه على جميع ما فى الأرض من الأنعام والطير والوحش – عهد إليه عهداً أمره فيه ونهاه ، وحرم عليه وأحل له ، فقبله ، ولم يزل عاملاً به إلى أن حضرته الوفاة .

فلما حضرته ، ﷺ ، سأل الله أن يعلمه من يستخلف بعده ، ويقلده من الأمانة ما قلده ؟ . فأمره أن يعرض ذلك على السموات بالشرط الذى أخذ عليه من الثواب إن أطاع ، ومن العقاب إن عصى ، فأبين أن يقبلنه شفقاً من عقاب الله .

ثم أمره أن يعرض ذلك على الأرض والجبال ؛ فكلها أباه ، ثم أمره أن يعرضه على ولده ؛ فعرضه عليه ، فقبله بالشرط ، ولم يتهيب منه ما تهيبته السماء والأرض والجبال . . ولذلك كان « جهولاً » بعاقبة ما تقلد لربه [1] . .

وبعد أن عرض بعض الاجتهادات الأخرى فى تفسير الآية ، قال الطبرى : « وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، ماقاله الذين قالوا : إنه عنى بالأمانة فى هذا الموضع جميع الأمانات فى الدين وأمانات الناس . وذلك أن الله لم يخص بقوله : « عرضنا الأمانة » بعض معانى الأمانات ، لما وصفنا » [2] .

ومن قواعد اللغة التى ينبغى مراعاتها وملاحظتها عند النظر فى القرآن الكريم ما يذكره الإمام أحمد ، **وهو جواز مخاطبة الجميع بما يصح إطلاقه على الفرد** ، فقال : « يجوز فى لغة العرب التى يخاطبه بها ، الجميع بالشئ الذى هو فى البعض دون الكل .

والذى يقول عنه ابن قتيبة «**باب فى مخالفة ظاهر اللفظ معناه**» ويذكر أن منه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل ، فيجعل الفعل لهما ؛ كقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا** ﴾ [3] مع أن الذى نسى هو يوشع بن نون، أما موسى ، عليه السلام، فلم ينس [4] .

---

( ١ ) انظر تفسير الطبرى ؛ ٢٢ / ٣٨ – ٤٢ .

( ٢ ) تفسير الطبرى ؛ ٢٢ / ٤١ .

( ٣ ) سورة الكهف آية ٦١ .

( ٤ ) انظر ابن قتيبة : تاويل مشكل القرآن ؛ ص ٢٨٦ ومابعدها .

ومن أهم دواعي نقد المجبرة جهلهم بالعربية ومعانيها في القرآن الكريم ، وفي ثنايا هذه الرسالة يقول الإمام أحمد معلقاً على سذاجة تفكير المجبرة : « فقد بان هذا وصح، وبطلت فيه دعوى كل كاذب على الله ، عز وجل ، وعلى كتابه ، إذ جهلوا القرآن ومعاني اللغة العربية فيه »[1] .

فهل كان العرب يعرفون معاني القرآن الكريم ، ويميزون بين الحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة ، واختلاف المعنى مع اتفاق اللفظ والعكس وغير ذلك؟ . .

يقول الإمام أحمد : « وللقرآن معاني تحتاج إلى التأويل والمعرفة باللغة التي خاطب الله ، عز وجل ، بها رسوله ، صلوات الله عليه ، وخاطب بها رسوله الله ، ﷺ ، العرب الذين عرفوا عنه ماتلا عنهم ، ولم يخف عليهم من ذلك حرف واحد في التلاوة ، ولا في التأويل؛ لأنه لوعيً عليهم حرف واحد ؛ لقالوا : هذا حرف لا نعرفه في اللغة العربية ، ولو جهلوا شيئاً من القرآن لم تلزمهم به حجة »[2] .

* * *

---

(١) النص ، ١٣٨ و .

(٢) النص ، ١٥١ ظ .

## ٥ - المنهج والعقل

يأتي بعد ذلك لتمام خطوات المنهج المعرفي الإسلامي مراعاة قواعد النظروالاستدلال العقلي ، فإذا كانت المعرفة نصية تعتمد على النقل والوحي ، فالجانب الآخر منها هو العقل ، وللعقل أدوات للإدراك يشير إليها الإمام أحمد في رسالته فيقول : « لا نعقل الوسوسة والأمر بالفحشاء ولا وعد الفقر إلا على قدر البينة التي نبأنا الله ، عز وجل ، عليها وماجعل لنامن الإدراك **بالحواس الخمس وبخاطر العقل**.. وليس البينة التي نحن عليها تعقل الأشياء ولا تصل إلى علمها إلا من هذه الجهات ، وهي الحواس الخمس = التي لا سبيل لبني آدم إلى شئ مما يدركونه إلا بها – وقد سقطت كلها عما ادعوا ، وإن إبليس لم يأتنا قط من قبل الحواس الخمس.

وقد أكد الإمام أحمد على أثر الإدراك الحسي في المعرفة فخاطب المجبرة في ادعائها الوسوسة بأنه يلزم عن ذلك أنه لا يعقل إلا بإدراك الحواس الخمس ، وقد صح أن الحواس لا تدرك إلا ما كان محسوساً ، ولذلك سميت الحواس لحسّها الأشياء كلها ، وإدراكها لها كلها ؛ ولذلك يقع عليها التأديب والتكليف بالأمر والنهي والجزاء بالثواب والعقاب [١] .

ثم بين أهمية هذه المدارك في النظر والاستدلال على قضية الوجود والتوحيد ، وقد نوه القرآن الكريم ونبه إلى أهمية التفكير والتدبر والتذكر والتأمل في ملكوت السموات والأرض والأنفس والآفاق لإدراك العبرة فيها وإعجاز خالقها وحكيمته وتأمل الإتقان في صنعها ؛ فإذا عطلنا الإدراك الحسي والعقلي فقد أبطلنا الشرع والعقل جميعاً ولا خطاب لمن لا عقل له .

وعلى هذا فكل ما لا تدركه الحواس فلا حجة فيه عليها لله الواحد ، ولذلك كان ﷺ يؤكد على أنه رفع القلم عن ثلاث النائم حتى يستيقظ وعن الطفل حتى يبلغ وتكتمل أدوات المعرفة عنده ، وكذلك يسقط التكليف عن المضطر ؛ لكون الحرية شرط فيه ، والمجنون والساهي لامتناع وجود العقل : « ما لا تدركه الحواس فلا

---

(١) انظر النص ١٣٩ و .

حجة عليها فيه لله الواحد ، الذى لا يدرك بالحواس ، وبذلك وجبت له الوحدانية ؛ واستحق الربوبية ، إذ لا يدرك ولاتدركه الحواس ولا يقاس بالناس»[1] . وعلى هذا فإن إدراك التكليف شرط من شروط قبوله .

***

## ٦- الحــواس

ولأهمية الحواس فى تحديد معالم المنهج العقلى يجدر الإشارة إلى ان القدماء شغلوا بتحديد ماهيتها إلى مذاهب مختلفة ..

١- فقالت المانوية : الإنسان هو الحواس الخمس وانها أجسام ، وإنه لا شئ غير الحواس ؛ لان الاشياء عندهم شيئان نور وظلمه ، وينقسم النور إلي خمس حواس ، وكذلك الظلام : هى السمع والبصر والذوق والشم واللمس ..

٢- امــا الديصــانيــة ، وهى ديانة شرقية كذلك ، تؤمن بالاثنينية فقد نفت عن الظلام الإحســاس ؛ لأنه عندها موات جاهل ؛ وأثبتت للنور الحياة وبالتالى الإحســاس ؛ بنفســه .. وكذلك اثبتت وحدة الحواس وإن اختلفت المدارك لاختلاف الأعراض .. وحاولوا تفسير خلق الألوان ، رغم ان العالم عندهم لونين هما الأبيض والأسود ، اللذان يرمزان للنور والظلمة ، بأن اختلاط الاثنين وامتزاجهما أدى لهذه النواتج اللونية .

٣- وقدم المرقونية تفسيراً لماهية الذات الإنسانية ، اقرب للفكر الفلسفى الشرقى القديم ، فقالوا بان البدن كل مجموع من الروح والحواس الخمس ، ومع ذلك تتمايز الجسمية / البدن ، عن الروح / القلب / النفس ، عن الحواس .

٤- اما من انكر الاعراض فقد انكر الحواس ، او بمعنى أصح انكر الإدراك الحسى ، واثبتوا مع ذلك سمعياً بصيراً ؛ دون إثبات للسمع والبصر !! .. وكلامهم جدلى بحت ليس فيه من العقل شئ ، حيث اثبتوا ونفوا ما اثبتوا .

٥- ولكن الإسلاميين اثبتوا الحواس الخمس .. واخذوا يبحثون عن حاسة سادسة اختلفوا فى تحيدها .. كما انهم ميزوا بين الإدراك والحاسة التى يدرك بها الإنسان .. ولذلك تسائلوا هل الحواس جنس واحد ؟

---

(١) انظر النص ٤ ١٣٩ و .

وهل الشم والذوق واللمس إدراك للمشموم والمذوق والملموس ، كما بحثوا كيفية رؤية الأجسام والأعراض .. وهل هذه الحواس تدرك المحسوسات بنفسها أم بغيرها .. وما سبب الإدراك ، بمعنى هل تدرك الحواس باختيارها أم لعلة طارئة عليها ؟!

كما تطرقوا إلى قضية محل الإدراك من جسم الإنسان، هل يدرك الإنسان المرئيات بعينه فقط ، أم أنّ العين وسيلة حسية حتى ينتهي الإدراك إلى محله الأصلى ، وهو القلب / العقل »[1] .

وقصدت من ذكر ما سبق إلى بيان أنه قد كان في تاريخ الفكر الإسلامي تياراً واعياً يدرك الأشياء إدراكاً متكاملاً .. وله قدرة على تحديد القضايا وتحليلها وتفسيرها .. في مقابل تيار آخر أشبه بالراوي والقصاص في صعيد مصر .. لا تخرج دائرة المعرفة لديه عن بعض الحكايات التي ورثها أوجمعها من رحلاته بين البلاد .. ولذلك هو لا يضيف ولا يبدع في المعرفة ، وحدود ما يعرف هو تلك الخبرة المتوارثة المنقولة .. ولذلك يستهلكها حكاية ونظراً .. ويفسر بعضها ببعض .. وربما كان هذا القصاص وأمثاله أحد زوايا مثلث التخلف في تاريخ الفكر ؛ لأن لكل مشكلة حلاً جاهزاً ابدعه القدماء ، لا ينبغي تجاوز ابعاده بحال من الأحوال .. وهذا التيارهو تيار التكفير والتفسيق والإرهاب الفكرى في كل زمان، ولا نتجاوز إن سميناه **«الأصولي المتزمت»** .

ففي حين يؤصل القدماء للمنهج وحدوده وابعاده ، والأطر التي تفيد الممارسة العلمية وتنميها .. يبقى هذا التيار المتزمت حاصراً نفسه في مروياته العاجزة .. والغريب هناك من يصدره دائماً ليتحدث باسم الإسلام، حتى في زماننا ، ليعيرنا به!!

* * *

(١) انظر الاشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ؛ الجزء الثانى ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ٦٠ .

## ٧ - المنهج وانصاف الخصوم

كما بين الإمام أحمد ان من أهم أسس المنهج النقدى للخصوم ، هو ذكر مقالتهم على وجهها - دون تشويه - كاملة ، ويعد ذلك من الإنصاف ؛ كما انه يسلم لهم إن جاءوا بحجة قاطعة : «ونحن من بعد هذا كله نقول لهم إن جاءوا بحجة قاهرة ودلالة باهرة تشهد عليها عقولنا وعقول من سمعها من غيرنا ، سلمنا لهم» [(١)] .

والعكس صحيح «فإن لم يأتوا بحجة توجب لهم علينا أن لإبليس اللعين الذليل الضعيف ، قدرة أقدره الله ، عز وجل ، كقدرته هو تبارك وتعالى الذى لا يقدر على مثل قدرته أحد غيره ، فالقول قولنا والحق معنا دونهم» [(٢)] .

ولا يعد إنصاف الخصوم شكاً فى الحجج ولكن من تمام إقامة المنهج وصحة المناظرة والمجادلة بالحسنى التى من أهم أهدافها الوصول إلى الحق لانصرة الرجال والمذاهب أو تقليد الرؤساء والكبراء والأجداد ؛ ولذلك يشير الإمام أحمد انه لم يأت بدعاً من القول فقد سبقه جده الإمام على بن أبى طالب فى ذلك الامر عندما تجادل مع الخوارج فى شان موقفه من التحكيم ورميهم له بالشك فى نفسه فرد عليهم بقوله : إنما قلت هذا من طريق الإنصاف ، وقد قال الله ، عز وجل ، لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [(٣)] وقد علم ، صلوات الله عليه ، انهم لايأتون بكتاب أهدى من كتابه أبداً ، وإنما هذا لحد الإنصاف ..» [(٤)] .

وقد ورث الإمام أحمد من جده الإمام القاسم الرسى ت ٢٤٦ هـ هذا الإنصاف فى مجادلة الخصوم .. كما ورث من أجداده كذلك أدب الحوار والجدل ، وهو سمة بارزة وراسخة فى المنهج الإسلامى ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [(٥)] .

وعلى قدر ما دعا القرآن إلى الجدل بالحسنى والنصح والوعظ للخصوم ، والأدب فى الحوار .. فقد نفر من الجدل المغالطى ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا

---

(١) ، (٢) انظر النص ؛ ١٤٩ ط ،
(٣) سورة القصص آية ٤٩ .
(٤) النص ؛ ١٥١ و .
(٥) سورة النحل آية ١٢٥ .

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [١] .. وكره المجادلة دون علم أو نظر : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [٢] .

يقول الإمام القاسم : « فلابد لمن انصف خصماً فى منازعته له ومجادلته ، من ذكر مايرى الخصم أن له حجة من مذهبه ومقالته ، فإذا ذكر ذلك كله ، بان ما فيه عليه وله ، فكان ذلك لباطله اقطع ، وفى الجواب له أبلغ وأجمع » [٣] .

وقد جادل خصومه من النصارى ، مراعياً ابعاد وحدود هذا المنهج : « والنصارى فهم خصماؤنا فى الله ، فلابد من تبيين ما افتروا فيه على الله ، وهم ممن قال الله فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [٤] ، ومن الذين قال فيهم : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [٥] ، فهم فى ذلك كغيرهم من كفرة الامم » [٦] ، أى لهم حق الإنصاف ، وعدم الجور عليهم او الاعتداء على عقائدهم أو نفوسهم .

ثم قال : « فليفهم من قرأ كتابنا هذا ، ما نصفه فيه من قولهم ، فسنصفه بما يعلمه علماء كل فرقة منهم ، إن شاء ، ونعرفه ونستقصى لهم فيه كله ، ما استقصوا لانفسهم من المقال .. ثم نجادلهم فيه على الحق ، بالتى هى احسن وأبلغ فى الجدال ، وندعوهم إلى سبيل ربنا وربهم ، بالحكمة والبينة ونعظهم ؛ إن شاء الله ، فيه بالمواعظ البليغة الحسنة » [٧] .

هكذا كان المسلمون القدماء أكثر تسامحاً وأدباً فى الحوار ، ولديهم مساحة واسعة يعيشون فيها مع خصومهم فى العقيدة على أرض واسعة رحبة ، ومن وحى هؤلاء العظماء القدوة ينبغى ان نأخذ منهم سنة التسامح ، ومشاركة الآخرين فى كل ما تسمح به الظروف المعاشة ، فلا مانع من الشراكة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. طالما ان الآخر متفاهم او مواطن ، فيكون له نفس حقوق المواطنة مثلاً بمثل ، دون أى انتقاص أو افتئات أو فتنة .. وهكذا نضمن للوطن أمنه وأمانه ، ونفوت على أعدائنا الحقيقين فرصة الوقيعة بيننا .

---

( ١ ) سورة العنكبوت آية ٤٦ .
( ٢ ) سورة الحج آية ٨ .
( ٣ ) انظر القاسم الرسى : الرد على النصارى ، ص ٣٢ بتحقيقنا .
( ٤ ) سورة لقمان آية ٢٠ .
( ٥ ) سورة الحج آية ١٩ .
( ٦ ) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
( ٧ ) المصدر السابق .

# الفصل الثالث

## التكليف

وفي إطار بيان شروط التكليف تحدث الإمام أحمد عن الاستطاعة وكونها لازمة لصحة التكليف ؛ فقد منح الله الإنسان الحرية والعقل والاستطاعة أى القوة والقدرة على الاختيار وترك له حرية أن يؤمن أو يكفر ، أوان يفعل الطاعات وماكلفه به أو يتركه ويعصاه ، ورتب على ذلك الجزاء ، وهو من جنس العمل ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [(١)] .

الإنسان محاسب بقدر مامنحه الله من الحرية والقدرة على استقبال التكاليف وادائها كما أمره ؛ فمن أكره أو اضطر الى فعل معصية أو الكفر به اسقط عنه التكاليف وبالتالي لم يحاسبه لعدم وجود القدرة والاستطاعة والحرية في الاختيار.. وكذلك سقط التكليف عن المجنون والنائم ، وقياساً على ذلك سقط التكليف عن المريض إن كان مرضه سبباً في عجزه عن أداء ماكلف به ..

ويؤكد القرآن دائما على يسر التكاليف ، ومعقوليتها وإمكانية إدراكها ومعرفة العلة ايضا من تشريعها بالعقل ، وجعل الأولى شرطاً في إقامتها أما الثانية فلا ، لأنه لا حصر لحكمة الله من التشريع فما أدركه الإنسان من علل التشريع ، فبتوفيق من الله وهدايته ، وما غاب عنه من حكمة بعض التشريعات فرحمة من الله به ، ولله فضل يعطيه من يشاء من عباده .

عموماً قد اعطى الله كل المكلفين من عباده القدرة على الاستطاعة ؛ وكلفه ماهو في طاقته ووسعه ، كما انه جعل هذه الاستطاعة قبل الفعل « لأن الله عز وجل في عدله وحكمته ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾، نطق بذلك الكتاب وشهدت به رسله »[(٢)] .

ولذلك نقد الإمام أحمد المجبرة في زعمها أن الاستطاعة بعد الفعل بانه يلزم من ذلك « أنه قد امره – اى آدم عليه السلام أو المكلف – بامر هو خارج عن طاقته ، وأنه قد كلفه ما ليس في وسعه ؛ وانتقض قوله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [(٣)] و ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [(٤)] . كما يلزم من ذلك اعتقاد المجبرة بإبطال القرآن وهو حجة الله التي لا ترد ولا تبطل .

---

(١) سورة الزلزلة الآيتان ٧ ، ٨

(٢) انظر النص ١٤٨ و .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق آية ٧ .

وإبليس من جملة المكلفين ، هوجميع الجن ، قال تعالى : ﴿ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [١] ولذلك فهو وذريته وجميع الجن لهم استطاعه على الفعل فمن آمن منهم ، آمن باختياره.ومن كفر وعصى كفر وعصى باختياره ، ولم يجبره الله على فعل أو اضطره إليه [٢] .

ويقول صاحب الكشاف في هذه الآية : «أى وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة ، ولم أرد من جميعهم إلا إياها . وَرد على التساؤل التالى : لو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا كلهم عباداً ؟.. فأجاب بقوله : إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها ، لأنه خلقهم ممكنين ، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها ، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم [٣] .

وخطأ المجبرة فى زعمها أن الاستطاعة مع الفعل أو بعده ، بيِّن واضح ، إذ كيف يتيسر للمكلف الاختيار بعد الاضطرار أوحدوث الفعل حسبما اتفق؟!.. إنهم يصورون قضية الخق والوجود على أنها تمثيلية اضطر الخالق إليها ، وقد انتهى من حسم النتائج قبل بداية الخلق كما يريد ، خلقاً وأمراً ، ولا يفرقون بين إرادة الخلق التى هى له ، وإرادة الأمر التى منح بها عباده – بقدرته – اختياراً حراً .

وإذا شئنا بعض التفصيل حول مسألة التكليف أخذنا فى بيان أن الاستطاعة والطاعة والقدرة والقوة ألفاظ مترادفة ، إذا أضيفت إلى العبد يراد بها كلها معنى واحد فى مصطلح أهل الأصول .

يقول الجرجانى ت ٨١٦ هـ صاحب «التعريفات» عن الاستطاعة : «هى عرض يخلقه الله فى الحيوان ، يفعل به الأفعال الاختيارية . **والاستطاعة والقدرة والقوة والوسع والطاقة** متقاربة المعنى فى اللغة ، أما فى عرف **المتكلمين** : فهى عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك .

**والاستطاعة الحقيقية** : هى القدرة التامة التى يجب عندها صدور الفعل ، فهى لا تكون مقارنة للفعل . **والاستطاعة الصحيحة** : هى أن ترتفع الموانع من المرض وغيره» [٤].

---

( ١ ) سورة الذاريات آية ٥٦ .

( ٢ ) انظر النص : الصفحة نفسها .

( ٣ ) الزمخشرى : الكشاف ، ٤ / ٤٠٦

( ٤ ) الجرجانى : التعريفات ، ص ٣٠

فالمعاني الدالة على القدرة واحدة واختلفت الأسماء ؛ وعلامة اتفاق هذه الألفاظ في المعنى ، أنك لو أثبت ببعضها ونفيت بالبعض لتناقض الكلام » [1] .

**وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين :**

١- **القسم الأول** : المقصود به سلامة الأسباب والآلات وصحة الجوارح والأعضاء ، وهي المعينة بقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [2] . قيل هي الزاد والراحلة [3] .

وبقوله : ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ [4] ، أي لم يكن له الآلات السليمة والأسباب الصالحة ، وبقوله تعالى : خبراً عن أهل النفاق : ﴿ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ [5] ؛ أي لو كانت لنا الآلات السليمة والأسباب .

وصحة التكليف تعتمد على هذه الاستطاعة ، إذ العادة جارية ان المكلف لو قصد اكتساب الفعل عند سلامة الأسباب وتوفر الآلات ، لحصلت له القدرة الحقيقية ، وإنما لا تحصل له لاشتغاله بضد ما امر به ، فصار مضيعاً لحقيقة القدرة [6] .

٢- **أما القسم الثاني** : الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة ، وهي المعنية بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ [7] ، الا ترى ان الله ، تعالى ، قد ذمهم بذلك ، والذم إنما يلحقهم بانعدام حقيقة القدرة عند وجود سلامة الأسباب وصحة الآلات ، لا بانعدام سلامة الاسباب وصحة الآلات ؛ لان انتفاء تلك الاستطاعة لا يكون بتضييعه ، بل هو مجبور ، فلم يلحقه الذم بالامتناع عن الفعل عند انتفائها [8] .

والاستطاعة الثانية عرض .. تحدث عند الأشاعرة والماتريدية مقارنة للفعل .. ولكن المعتزلة خالفوهم فقالوا بانها تقدم الفعل وتسبقه ، قال القاضي عبد الجبار :

---

( ١ ) القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، ص ٣٩٣ .
( ٢ ) سورة آل عمران آية ٩٧ .
( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير ، ١ / ٣٨٥ – ٣٨٦ .
( ٤ ) سورة المجادلة آية ٤ .
( ٥ ) سورة التوبة آية ٤٢ .
( ٦ ) انظر النسفي : كتاب التمهيد لقواعد التوحيد ، ص ٢٥٨ .
( ٧ ) سورة هود آية ٢٠ .
( ٨ ) المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

« القدرة متقدمة لمقدورها غيرمقارنة له »[1] . وكذلك قال الخياط فى كتابه « الانتصار »[2] ، ووافقهم الزيدية فى أن الاستطاعة قبل الفعل[3] .

أما الضرارية أتباع ضرار بن عمرو فقد وافقوا الماتريدية والأشاعرة فى القول بخلق الأفعال وفى نفى التولد ، ووافقوا المعتزلة والزيدية فى الاستطاعة[4] أما النظام فقد كان يرى أن الإنسان قادر بنفسه[4] ، ونفى الأسوارى وأبو بكر الأصم الاستطاعة إذ إنها ليست معنى وراء المستطيع .. بل الإنسان مستطيع بنفسه[5] ..

وعند تحليل رأيهما نجده لفظى لا يعبر عن شئ ، إذ إنهما يريان الاستطاعة مركبة فى الإنسان يستدعيها قبل فعله .. وهو كذلك صحيح .. ولكن جاء الخلاف من أن الآخرين ذهبوا أنها غير الإنسان .

والدليل على أنها معنى وراء الجسم ، هوأننا نجد رجلاً سليم الجوارح يحمل مرة حملاً مقداره خمسين رطلاً ، ثم يحمل بعد ذلك حملاً آخرمقداره مائة رطل ، دون زيادة فى أعضائه !!

ويوافق الماتريدية والأشاعرة المعتزلة فى أن الاستطاعة ، التى هى بمعنى سلامة الأعضاء والآلات ، سابقة على الفعل .. وخالفوهم فى الثانية فقالوا القدرة إنما تكون ليحصل بها الفعل ، فلو كانت مقارنة للفعل لماكان حصول الفعل بالقدرة أولى من حصول القدرة بالفعل والقول به محال[6] .

قال القاضى : « والذى يدل على فساد مذهبهم – أى الأشاعرة – هو أنه لوكانت القدرة مقارنة لمقدروها ، لوجب أن يكون تكليف الكافر بالإيمان ، تكليفاً لما لا يطاق ، إذ لو أطاقه لوقع منه ، فلما لم يقع منه دل على أنه غير قادر عليه ، وتكليف ما لا يطاق قبيح ، والله ، تعا لى ، لا يفعل القبيح »[7] .

---

( ١ ) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٠ .

( ٢ ) الخياط : الانتصار ، ص ٦١ ، ٦٢ ، ٩٦ .

( ٣ ) انظر يحيى بن حمزة : الرائق ، ١٩٤ بتحقيقنا ، والأساس : للقاسم ، ص ١٠٥ .

( ٤ ) انظر الشهرستانى : الملل والنحل : ١ / ١١٤ – ١١٦.

( ٥ ) انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين ، ١ / ١٧٤ .

( ٦ ) النسفى : التمهيد ، ص ٢٦٤ .

( ٧ ) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٦ . والباقلانى : التمهيد ، ص ٢٩٤ .

واتفق أغلب المتكلمين على أن من زعم بوجوب وجود الفعل ممن لا قدرة له ، واستحالة وجوده من القادر فهو عديم الحظ من العلم والعقل [1] .

« القائل إن العبد كلف بتحصيل فعل لا قدرة له عليه وقت الفعل ، قائل بتكليف ما يطاق ، ولو لم يكن هذا حماقة ووقاحة فلا وجود لهما في الدنيا! » [2]

وتأتي ثمرات التكليف موافقة لطبيعة اختيار العبد ، والله عادل عدالة مطلقة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3] ، فيعرض المطيع لأعلى درجات الثواب ، ويعاقب المسيء أو يعفو عنه برحمته وفضله [4] .

ويشير القاضي عبد الجبار إلى ذلك : « وثمرته أنه ، تعالى ، إذ خلقنا وأحيانا وأقدرنا وأكمل عقولنا وخلق فينا شهوة القبيح ونفرة الحسن ، فلابد من أن يكون له فيه غرض ، وغرضه إما أن يكون إغراء له بالقبيح ، والتكليف لا يجوز أن يكون غرضه الإغراء بالقبيح ؛ لأن ذلك قبيح ، وقد ثبت أن الله ، تعالى ، لا يفعل القبيح ، فلم يبق إلا أن يكون غرضه بذلك التكليف ، وأن يعرضنا بالتكليف إلى درجة لا تنال إلا به » [5] .

محاولة المكلف معرفة علة كل تكليف أمر مرهق ، ولا معنى له إذا شغله عن العمل، أو رفض العمل بالتكليف حتى يعرف علته وقصد الله منه ؛ وهو أمر ليس في قدرة كل واحد من البشر ، وإن جاز عقلاً أن يتعاون جمع على دراسة علة جميع التكاليف الشرعية ، ولن يعرفوا كل الوجوه ؛ لأنهم لن يحيطوا بحكمة الله وعلمه .

وكما أن رد الشرع كفر فإن الحكم بعدم عليته مرفوض ؛ لأن المشرع حكيم عادل والحكمة صفة كمال ، وفعله يأتي موافقاً لحكمته وعدله ورحمته ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [6] ، وقد قام علم أصول الفقه على معرفة العلة من الأحكام ، وتوظيف ذلك في خدمة القياس الشرعي بأنواعه المختلفة [7] .

---

(1) النسفي : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .
(2) المصدر السابق ، ص ٢٦٧ .
(3) سورة يونس آية ٤٤ .
(4) أمام عبدا لله : الآراء الكلامية للقشيري ، والصوفية ٣٢٥ .
(5) القاضي عبد الجبار : المصدر السابق ، ص ٥١٠ .
(6) سورة الدخان آية ٣٨ .
(7) إمام عبدالله : الآراء الكلامية للقشيري والصوفية ، ص ٣٢٦ .

# الفصل الرابع

## عقيدة المجبرة في إبليس

١- يعتقد المجبرة أن إبليس قادر على أن يعدهم ويمنيهم ويوسوس إليهم ويغويهم ويأمرهم بالفحشاء والمنكر فيأتمرون بامره ، وانه قريب منهم قرب الملائكة وقرب الحق، تعالى، من حبل الوريد ، وأنه يوصل إليهم ما يريد ويلقيه في قلوبهم ، وهم لا يدرون كيف يحدث ذلك كله وحجتهم في ذلك آيات من كتاب الله - لم يدركوا تأويلها ولم يحسنوا فهمها - ومن ذلك قوله ، عز وجل :-

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [1] .

﴿ لَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [2] .

﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3] .

﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [4] .

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [5] .

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [6] .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [7] .

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [8] .

ففهموا من هذه الآيات ان الشيطان يفعل كل ذلك وزيادة ، ويراهم من حيث لا يرونه ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [9] .

٢- ونفى اهل الوسطية والاعتدال هذا الافتراء على الله ، عز وجل ، وبينوا للمجبرة انهم قد غلطوا واخطأوا في التأويل والتعبير ؛ وحقيقة الأمر ان الله ، عز وجل ، حكى لنا في كتابه ان إبليس ومن اطاعه ، يريدون ويتمنون ان لو اتبعناهم وعصينا كما عصوا وكفرنا كما كفروا ، وهي مجرد حكاية كقول الرجل لابنه : افعل او افعل كذا..

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(٢) سورة الأنعام آية ٤٣ .

(٣) سورة محمد آية ٢٥ .

(٤) سورة يوسف آية ٤٢ .

(٥) سورة الإسراء آية ٦٤ .

(٦) سورة المجادلة آية ١٠ .

(٧) سورة الزخرف آية ٣٦ .

(٨) سورة الأعراف الآيتان ١٦ ، ١٧ . .

(٩) سورة الأعراف آية ٢٧ .

أما إنه أراد ، تعالى ، أن يثبت لإبليس ومن تبعه من الجن و الإنس قدرة على خلقه وأفعالاً خارقة تلهيهم عن طاعته وذكره وأن لهم سلطاناً على قلوب عباده كسلطانه ، فهو باطل من القول وافتراء وزوراً ، فلا إبليس ولا غيره من الجن قادرون على أن يلقوا إلينا قليلاً أو كثيراً لا سراً ولا علانية ولا مواجهة ولا في خفاء . قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [1] .

فمن أين أتى لهذا الضعيف الكيد الذليل النفس الحقير الشأن ، هو ومن تبعه إلى يوم الدين ، الذى لحقته لعنة رب العالمين فى الدنيا والآخرة ، كل هذه القدرات الخارقة التى لم يمنحها الله لملك مقرب ولا لنبى مصطفى ولا لولى مختار ؟!

٣- إن من يعتقد هذه العقيدة فى إبليس وأعوانه قد أشرك بالله رب العالمين شريكاً هو له عدو مبين ، وقدح فى توحيده وأفسده ، ومن أجل ذلك عليه أن يصحح عقيدته فى إبليس والجن ، وأن يضعهم فى حجمهم الحقير الذى شاء الله أن يضعهم فيه ، وأن لا يعدوا قدره فيهم فينسب لأعداء الله وشرار خلقه ما هو لله ، ذاتاً وصفاتاً وأسماء ، فيكفر من حيث لا يدرى .

وأول ما ينبغى اعتقاده فى إبليس هو أنه خلق من خلق الله ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [2] ، ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [3] .. وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [5] .

٤- فإبليس من خلق الله ، وهو من الجن بنص الكتاب ، وقد أمره هووالجن بطاعته وعبادته ، كما أمر الإنس بطاعته وعبادته ، ولكنه وحده عصى ربه وفسق وفجر وأبى طاعة ربه .. فهو إذن مخلوق للطاعة لا للمعصية والفسوق وإغواء خلق الله .. وهو فى إغوائه لبنى آدم عاصٍ لله فاسق .. ولايمتثل أمر ربه ، وكل من اتبعه من ذريته أو

---

( ١ ) سورة النساء آية ٧٦ .
( ٢ ) سورة الرحمن آية ١٥ .
( ٣ ) سورة الحجر آية ٢٧ .
( ٤ ) سورة الكهف آية ٥٠ .
( ٥ ) سورة الذاريات آية ٥٦ .

من بني آدم ،هم مثله فسقوا كفسقه وعصوا كعصيانه ، ولذا فهم له اتباع وهو لهم سيد ومتبوع .

فقد فسق باختياره ، والله ، عز وجل ، حذرنا من اتباعه ، ولامنا عند اقتفاء نهجه واثره في المعصية ، ولا يمكن ان يحذرنا الله ، عز وجل ، شيئاً سلطة علينا ابداً ، ولو كان مكلفاً بإغواء الناس ، لكان مطيعاً لاوامر ربه فاعلاً ماكلفه به ؛ ولا يقول بذلك مسلم عاقل ؛ لان في ذلك نقض للقرآن وإبطال لآيات الرحمن ، وخروج من حظيرة الإيمان .

إن إبليس امر بالعبادة والطاعة فعصى وفسق ، وهو في عصيانه لامر ربه ملوم .. ووجب عذابه بمعصيته .. ولم يقدره الله على خلقه ؛ لان ذلك يلزم عنه كونه خالقاً مع الله قادراً قوياً ، وهو شرك يخرج من الدين .

إنَّ المجبرة في إدعائها ان لإبليس قدرات خاصة خالفوا القرآن وجعلوه شريكاً لله في ملكه ومسلطاً من دونه على عباده ، ويلزمه من ذلك أنه خير من الانبياء والاولياء والملائكة المقربين ؛ لانه اعطى ما لم يعطوا من منزلة شريفة ومرتبة رفيعة ، وصارت خطراً عظيماً يحسدونه عليه ، ومن يجوز ان يكون للعاصي الفاسق ما لا يكون للطائع العابد ، فهو إما جاهل أو معاند كفور .

* * *

# الفصل الخامس

## إبطال مزاعم المجبرة في إبليس من وجوه

ذهب الإمام أحمد إلى إبطال حجج المجبرة فيما نسبوه لإبليس من قدرات فائقة على الخلق بها يوسوسهم ويغويهم عن سواء السبيل بما يلي :

**١- الحجة الأولى** : وتمثلت في أن كل ما ادعوه من آيات القرآن وذكر فيها ، تعالى ، وسوسته لبني آدم ينصرف إلى الهوى ، الذي يهواه الناس مع شيطان بني آدم أيضا .. وإنما الهوى شيطان ؛ لأنه رضا للشياطين [١] .

قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [٤] .

**٢- الحجة الثانية** : ان الذي يعد الناس ويمنيهم هو شيطانهم من الإنس لا الجن ، والناس عاجزون من جميع الوجوه في صرف هذا المعنى إلى الجن دون الإنس ، فنحن وهم لم نشاهد احداً يعد بالفقر ويامر بالفحشاء إلا شيطان بني آدم : « فكيف جاز لهم أن يقطعوا الشهادة على شيطان الجن دون شيطان الإنس »[٥]؟!.

وقد اعلمهم الله ، عز وجل ، ان في الإنس شياطين وفي الجن شياطين ، قال، تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [٦] .

وقال ، تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [٧] .

وعلى هذا يقطع أهل العدل والتوحيد بأن الله لم يقدر إبليس على ما يفعل من المعاصي والذنوب وإغواء الخلق ، وإلا لزم من ذلك فساد حكمة الحكيم وبطلان عدله : « لزمه أن حكمة الحكيم ها هنا غير حكمة ؛ وحسن نظره لخلقه غير حسن نظر ، .. إذ أقدر عليهم عدواً يأتيهم من حيث لا يعلمون ، وقد أمرهم بمخالفته بعدما أقدره عليهم ..

ويلزم من ذلك بيان كيف يعدُ إبليس ويوسوس لبني آدم ، بما يتفق مع العقل

---

(١) النص ؛ ١٣٦ ط .

(٢) سورة النجم آية ٢٣ .

(٣) سورة القصص آية ٥٠ .

(٤) سورة الكهف آية ٢٨ .

(٥) النص ؛ ١٣٧ ط .

(٦) سورة الأنعام آية ١١٢ .

(٧) سورة البقرة آية ١٤ .

وتقبله مدارك الإنسان ؛ كما أنه يلزم من كلام المجبرة إقدار الله لإبليس على الاطلاع على القلوب وعلمه ما فى الضمائر وقدرته على تصريفها وتقليبها ، وهو أمر مدح الله به نفسه ولا يكون إلا له .

والتساؤل الذى يلزمهم هل هناك وسوسة أصلاً ، أم أنه فهم خطأ للقرآن وآياته، وأن لها تأويلاً وتفسيراً وبياناً غفلوا عنه واستهواهم نسبة إله للشر ، كما فعل المجوس والمانوية والثنوية وعبدة الأصنام فى كل زمان ؟!

وخلاصة القول أن الهوى هو الذى يدعو الإنسان إلى كل خير أو شر ، وهو الذى يوسوسه ولا فاعل لذلك غير الإنسان ، إذ لا قادر على تصريف القلوب وتصريفها سوى الله الواحد الأحد الفرد الصمد لا شريك له .

ثم ما هو ذلك الوسواس المقصود فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦ ﴾ [١] ؟

الوسواس هو ما يخطر على قلب الآدمى ، من ذكره الجنة والناس ، لا أنه يوسوسونه فى صلاته .. فأما غير الصلاة فإن شياطين بنى آدم توسوس إخوانها بكل شئ مما تأمرها به، وتشير عليها من القتل والزنا والسرقة والشرب للخمر وجميع المعاصى[٢] .

إن الهوى أعظم ألف مرة من إبليس فى إغواء الإنسان ، وقد سماه الله إلهاً ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [٣] .

إن إبليس وذريته يروننا من حيث لا نراهم ﴿ إنه يراكم وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ وفى الآية نفى تام لأن يكون لإبليس وقبيلته حديث أو أى معاملة مع الإنسان.. ولذلك ينبغى تفسير العديد من الآيات التى يذكر الله فيها الشياطين إلى شياطين الإنس دون الجن ، فهم أقدر على إغوائنا ووسوستنا من شياطين الجن ، فشيطانك أيها الإنسان النفس والهوى المتبع ، وعدوك من شياطين الإنس الذين يقتدون بإبليس .

---

(١) سورة الناس آية ٥ ، ٦

(٢) النص ؛ ١٣٩ و .

(٣) سورة الجاثية آية ٢٣

إن المجبرة تنسب علماً خارقاً لإبليس والجن ، لا يكون إلا لله تعالى أو من ارتضى من رسله ، فلا يعلم الغيب إلا الله ولا يطلع على غيبه سوى صفوة رسله الذين خصهم بعلم بعض الغيب ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ [1] .. وكل علم ينسبه المجبرة لإبليس هو لله ، تعالى ، دون غيره باطل ، ويدل على جهلهم بالتوحيد الخالص ، إذ كيف يعلم ما يعلمه الله ويتصرف في الملك كربه ، مع انه ، تعالى ، وصفه بالضعف والصغار والذلة ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [2] ولكن المجبرة لا يقدرون الله حق قدره ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [3] .

ثم إنه إذا كان إبليس يلقى فى قلوب بني آدم مضطراً ، فمن الذى اضطره؟!.. والله يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [4] وإذا كان فعلاً مضطراً فهو معذور .. ومن يفترى على الله الكذب فيدعى بعد ذلك ان الله اضطره إلى غواية عباده ، فقد كفر بالله وخرج من الدين وأسقط علم التوحيد ..

فقد حذرنا الله من إبليس وغوايته ، ودعاه إلى الهداية فما اهتدى وفضّلَ العناد والمكابرة على أن يخضع ويستسلم لامر ربه ؛ وجعل الله كل من يفعل فعله ويعصي عصيانه ويفسق ، كهو ، تماماً لا فرق بينهما .. ثم بعد ذلك تكذب المجبرة على ربها بادعائها أن الله وظف إبليس لإغواء خلقه ووسوستهم ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [5] !

ومن عجائب مقالة المجبرة فى الوسوسة أن لإبليس منقاراً ، يتوصل به إلى قلب الإنسان عن طريق أذنه فيوسوسه !.. وهو كلام سخيف جداً لا يصمد لاى نقد .. فاى منقار هذا الذى له ، وكيف يدخل اذن الآدمى دون ان يحس أو يدرك وجوده ؟!

والنتائج المترتبة على مقالة المجبرة السالفة الذكر تؤدى إلى إبطال المعرفة العقلية حيث ابطل المجبرة الإحساس بالمدارك الحسية ، كذلك الخروج عن حد العقل والدخول فى الخرافة والجهل ؛ وتكذيب النص ومناقضة الإسلام .

---

( ١ ) سورة الجن آية ٢٦ .

( ٢ ) سورة المائدة آية ٧٣ .

( ٣ ) سورة الانعام آية ٩١ .

( ٤ ) سورة الذاريات آية ٥٦ .

( ٥ ) سورة الانعام آية ١٤٤

وما سبق ليس بمستغرب عليهم حيث كانت بعض البيئات التي قالت بالجبر، قد ابتدعت القول بالتشبيه من قبل ، وانكرت الوعد والوعيد ، فأجازوا على الله ، عز وجل ، أن يخلف وعيده وتطرف بعضهم فأجاز ان يخلف وعده أيضاً! . .

ويبدو أن الذين امروا على ان الله لا يخلف وعيده ، أو اوجبوا عليه تحقيق وعيده ، كما قال في كتابه . . كانوا ينظرون إلى عدله ، تعالى ، والوجوب الذى قصدوه هو الوجوب الأخلاقي لا غير . .

ويضاف إلى فضائحهم عقيدتهم في إبليس هذه التي تناقض التوحيد وتنقضه من اساسه ، حيث جعلوه لله شريكاً ونداً وسوى .

٣- **أما الحجة الثالثة** : في إبطال زعم المجبرة بان لإبليس قدرة على الخلائق وبيان ضعفه وعجزه ، هو ان الله ، عز وجل ، لا يفعل الجور ولا الفساد ولا يضل العباد ولايصدهم عن الرشاد ، وقد بين الإمام احمد ان من تمام عدله ، تعالى ، ان يخاطبنا بما نعرف ونعقل ونفهم : **«ولا يجوز أن يحذرنا عن أمر لانعقله ولانقف على كيفيته ولانهتدى إلى وصفه .. لأن هذا ليس من صفة العادل الحكيم الرحيم المتفضل** الحسن الفعل الذى لا يجور ولا يظلم»[1].

فالنفس هي التي توسوس الإنسان ، وليس إبليس ، قال تعالى **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾** [2] فنفسه هي التي طوعت له قتل أخيه وليس إبليس ، وكذلك قال تعالى : **﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾** [3] .. وفي العقل لا يجوز ان يحذرنا الله النار، ثم يدس علينا إبليس لنقع فيها ، فذلك ليس من صفات الحكيم .

٤- **الحجة الرابعة** : شهادة بعض العصاة المذنبين أنهم قد أتوا ما أتوا من انفسهم ومن ذلك قول السامري لموسى ، عليه السلام ، حين سأله عن العجل الذى صنعه من حلى بني إسرائيل ولم زين لهم عبادته من دون الله فقال : **﴿كَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾** [4] وانكر ان يكون إبليس هو الذى وسوس له أو دفعه إلى فعله هذا، أوكونه شريكًا له في صنيعه .

---

(١) النص ١٤٣ و .

(٢) سورة المائدة آية ٣٠ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٣

(٤) سورة طه آية ٩٦

أما قوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) ﴾ [1] فيخرج على معنيين :-

أحدهما : التهديد والتخويف ، وقد كانت العرب تستخدم هذا الأسلوب فى لغتها .. فيدعون أحدهم أن يقتل فلانًا ، وهم لا يريدون قتله ، وإنما يقصدون تهديده وتخويفه .

والثانى : أنهم إذا فعلوا هذه المعاصى فزنوا وسرقوا وتعاملوا بالربا فهم مشاركون لإبليس فى عصيانه لله تعالى [2] .

أما قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾ [3] الآية فيخرج على أنه الهوى .. لما يلزم من الظاهر والمعنى الصريح منه بالقول بأنه واجههم ورأوه وعاينوه وهو يناقض القرآن الكريم .

كما يمتنع أن يوسوسهم إبليس فى بدر جميعا فى وقت واحد ، إلا أن ينسب لإبليس قدرة تفوق كل قدرة ، وهو فاسد غير معقول !..

يقول الزمخشرى : واذكر – يا محمد – ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾[3] . التى عملوها فى معاداة رسول الله ، ﷺ ، ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون ؛ وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم ؛ فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم ، أى بطل كيده حين نزلت جنود الله ؛ وكذا عن الحسن رحمه الله : كان ذلك على سبيل الوسوسة ، ولم يتمثل لهم .

وقيل : لما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذى بينها وبين بنى كنانة من الحرب، فكان ذلك يثنيهم ، فتمثل لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك ابن جعشم الشاعر الكنانى – وكان من أشرافهم – فى جند من الشياطين معه راية ، وقال : لا غالب لكم اليوم ، وإنى مجيركم من بنى كنانة .

فلما رأى الملائكة تنزل ، نكص .

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٤ .

(٢) انظر كذلك الزمخشرى : الكشاف ، ٢ / ٦٧٧ ، ٦٧٨ .

(٣) سورة الأنفال آية ٤٨ .

وقيل : كانت يده في يد الحارث بن هشام ، فلما نكص . قال له الحارث : إلى أين أتخذلنا في هذه الحال ؟

فقال : إني أرى ما لا ترون ، ودفع في صدر الحارث وانطلق ، وانهزموا ، فلما بلغوا مكة .

قالوا : هزم الناس سراقة ، فبلغ ذلك سراقة .

فقال : والله ما شعرت بمسيركم ؛ حتى بلغتني هزيمتكم ، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان .

وفي الحديث : « وما رؤى إبليس يوماً أصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة ، لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤى يوم بدر »[1] .

ولا مانع من أن يوسوس إبليس لنفر قليل من قريش ؛ فيقومون بالوسوسة للقبيلة بأسرها .. أوان يجرى كلاماً على لسان آدمي ، حتى يقنع الناس بمنطقه والاعيبه فيصدقوه .. وهذا في الشرع والعقل مقبول .. سيما ان له سابقة مع أبينا آدم - عليه السلام - ولكن ليس بالضرورة أنه يفعل هذا مع كل جنس بني آدم ، لما في ذلك من غلو في شخصيته التي لا تتفق مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[2] ، إذ إنه على تصورهم لا يكون كذلك .

٥- الحجة الخامسة : المجبرة تستعين بكثيرمن النصوص وتروى الأكاذيب عن الجن : وتستعين المجبرة بكثير من النصوص والروايات الكاذبة ، لتثبيت عقيدتهم في إبليس والجن ، ويلاحظ في رواياتهم عن الجن أنهم لا يحدثون عنهم إلا بكلام نطقوا به وأخبار اخبروا بها ، لا وسوسة كما ادعوا أنهم يوسوسنهم في صدورهم !

وهذه الاحاديث والأشعار التي رووها عن الجن ، تقتضي المواجهة التي تبطل بدورها الوسوسة ..

---

( ١ ) اخرجه مالك في الموطا .. والبيهقي في الشعب . وانظر الزمخشري : الكشاف ٢١ / ٢٢٨ .

( ٢ ) سورة النساء آية ٧٦ .

كما يكذبون على الجن فيدعون ملاقاتهم في مواطن عديدة من الأرض ، أو انهم يتمثلون لهم في اشكال آدمية أو حيوانية [١] . .

وكلامهم في المواجهة والمشافهة يناقض كلامهم في الوسوسة ، مما يسقط كلامهم بعضه بعضاً . ثم من اخبرهم حين تمثلهم في اشكال حيوانية انهم جن !!

٦- **الحجة السادسة** : نص القرآن الكريم بان شيطان الإنسان وإبليسه ، حقيقة ، هو هواه الذي يدله على الشر والفساد ، ويغويه بالميل إلى الشهوات والملذات ، قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [٢] .. وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ [٣] ، ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [٤] .

لقد اعتمد المجبرة على المتشابه وتجاهلوا المحكم وأسس العدل والتوحيد ، كما جهلوا تاويلها وفهم معانيها ، وقليل من التامل يوضح الحق جلياً [٥] .

٧- **الحجة السابعة** : ان معاني القرآن الكريم تساعد على فهم المتشابه على وجهه الصحيح ، وهو من قواعد المنهج عند أهل العدل والتوحيد ، حيث يعتمد تاويل القرآن وتفسيره في ضوء معاني اللغة وبلاغتها ، فالعرب اعرف الناس بلغتهم ، والقرآن كتاب عربي صميم .. فمنها ما ياتي على سبيل المثال والتصوير والمجاز ومقلوب الألفاظ والمعاني .. إلخ .

٨- **الحجة الثامنة** : الزعم بمشاركة إبليس للإنسان في الاموال والأولاد يسقط حقيقة العدل الإلهي .. فلا يجوز ذلك في عدل الحكيم ، والله لا يامر بالباطل ولا يقضيه [٦] ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [٧] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [٨] !؟

---

(١) انظر النص ، ١٤٥ و .

(٢) سورة ص آية ٢٦ .

(٣) سورة المائدة آية ٧٧ .

(٤) سورة القصص آية ٥٠ .

(٥) النص ، ١٤٥ و .

(٦) النص ، ١٤٧ ظ .

(٧) سورة النساء آية ٨٧ .

(٨) سورة النساء آية ١٢٢ .

٩- **الحجة التاسعة** : نقد زعم المجبرة ان الاستطاعة مع الفعل ، وبيان ان الاستطاعة قبل الفعل ؛ لأن الله عز وجل فى عدله وحكمته لا يكلف نفساً إلاما آتاها ، نطق بذلك الكتاب وشهدت به رسله . قال تعالى : ﴿ **وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** (٦٢) ﴾ [(١)] .

١٠- **الحجة العاشرة** : انه لا يعقل ان يكون الله عز وجل قد وهب لعدوه إبليس قدرة تفوق قدرة أوليائه ومن هؤلاء الملكين الموكلين بكل إنسان ! [(٢)]

* * *

(١) سورة المؤمنون آية ٦٢ .

(٢) النص ، ١٥١ و

## تصور ابن حزم الظاهرى لإبليس والجن

ويُجمل ابن حزم الظاهرى موقفه وموقف أهل الظاهر من الجن فيقول : أخبر ، عز وجل ، أن الجن والناس يوسوسون فى صدور الناس ، ونحن نشاهد الإنسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل اعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته ، ويرى من يحب فيحدث له حال أخرى ويبتهج وينشط ، ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى ، من سفرة ورعشة وضعف نفس ، ويشير إلى إنسان آخر بإشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ، ويخجله أخرى ؛ ويفزعه ثالثة ، ويرضيه رابعة ؛ وكذلك يحيله أيضا بالكلام إلى جميع هذه الأحوال .

فعلمنا أن الله ، عز وجل ، جعل للجن قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها إليه ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ؛ ومن شرار الناس وعلى هذا جريه من ابن آدم مجرى الدم »[1] .

يشير ابن حزم عند تحليل مقالته إلى قوله تعالى : ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴾[2] ورأينا كيف نقد الإمام أحمد الاتجاه الجبرى فى تفكيره ، ووقف على خطوره دعواه ، وفند حججه وبين وجه الحق ، وتأويل معنى الوسوسة فى الآيات السابقة .

كما تعرض ابن حزم إلى الانفعالات الإنسانية فى الرضا والغضب والفرح والحزن ، والأمن والخوف ، والرهبة والجراة والشجاعة ثم علقها كلها على فعل الشيطان فى قوى الإنسان !! . .

لهذا الحد انساق هذا المفكر الكبير وراء التيار الجبرى . . وأدى مذهبه الظاهرى إلى وقوعه فى خية الجبر . . وصار من المعقول لديه أن يعطى الله أحكم الحاكمين ، العادل فى حكمه المنصف فى قضائه ، عدوه إبليس وجنوده من مردة الشياطين تصريفاً تاماً لجوانيه وداخلية الإنسان ، والتحكم فى مشاعره وقواه وقدراته وميوله ونوازعه ودوافعه . . ! . .

---

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٥ / ١١٢ .

(٢) سورة الناس الآيات من ٤ – ٦ .

ماذا أقول بعد أن صدمنا ابن حزم بقوله : « فعلمنا أن الله ، عز وجل ، جعل للجن قوى يتوصلون بها إلى تغيير النفوس ، والقذف فيها بما يستدعونها إليه »[1] .! وقد كان في زمانه من أكبر الشخصيات الناقدة للفكر الرجعي .. فحارب التقليد .. ونقد الفقهاء الأربعة ونادى بمذهب جديد – هو المذهب الظاهرى – فى بلاده ، وأبلى بلاء حسناً ، ولكن لكل جواد كبوة ، ولكل عالم ذلة !

ويمكن مراجعة رسالة الإمام أحمد ومنهجه في التفكير .. حتى يتيسر لنا كيف نفهم ديننا ، ونقف عند حدود أصوله وأساسياته ، دون الوقوع في نقض التوحيد والشرك بالله .. ولا داعي لتكرار ما سبق الإشارة إليه ..

لقد تجاوز أهل الظاهر عن وضع لغة القرآن في موضعها الصحيح من المنهج ، فأدى بهم مسلكهم إلى الخطأ الفادح فى الفهم لقضايا القرآن ، فلغة القرآن تصويرية وبيانية ذات مستوى رفيع فى التركيب على أحسن وأفضل ماعرف العرب من لغتهم .

فلما سمع العرب قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [3] لم يعقل منهم أحد أنها على ظاهرها ولكن قال قائلهم .. إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق .. إلخ .. من عظمة ما وجده من علو نظم القرآن الكريم ..

ولم يخطأ من وصف اللغة فى القرآن بأنها مجازية أى تصويرية تعتمد على الاستعارة والتشبيه والكناية .. وتعتمد على البيان قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) ﴾ [4] وعلى ضرب الأمثال ، والمجاز أنواع ليس هنا محل عرضها ..

ولهذا لم يكن غريباً من ابن حزم أن يفهم من قوله تعالى ﴿ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [5] أن للشيطان تأثيراً فى المصروع يكون بالمماسة .. والذى سنشرحه فيما بعد ، ونبين مراد القرآن من ذلك .

---

( 1 ) المصدر السابق .
( 2 ) سورة الكهف آية ٧٨ .
( ٥ ) سورة البقرة آية ٢٧٥

( ١ ) سورة يوسف آية ٨٣ .
( ٣ ) سورة الرحمن الآيات من ١ – ٤ .

ويؤخذ على ابن حزم ، على ما وهبه الله من قدرة عالية على التفكير والتحليل والنقد وجرأته في مواجهة الخصوم ، يؤخذ عليه مصادرته بشكل واضح على من خالفه فيقول في هذا الموضوع «فلا يجوز لأحد أن يزيد على ذلك شيئًا ، ومن زاد على هذا شيئًا فقد قفا ما لا علم له به ، وهوحرام لا يحل ، قال تعالى : ﴿ولا تقفُ ما ليس لكَ به علم﴾ [1] . وهذه أمور لا يمكن أن تعرف البتة إلا بخبر صحيح عن رسول الله ﷺ ، ولا خبر عنه ، عليه السلام ، بغير ما ذكرنا» [2].

ويصف ابن حزم ما يفعله الشيطان في المصروع من مسٍّ فيقول : «إن الشيطان يمسُّ الإنسان الذى يسلطه الله ، عز وجل ، عليه مسًّا ، كما جاء في القرآن ، يثير من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ ، كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف ، فيحدث الله ، عز وجل ، له الصرع والتخبط حينئذ ، كما نشاهده ، وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة ، وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزَّامين والكذابين..» [3] .

ويحمل كلام ابن حزم العديد من التناقضات ، فهو يعتمد منهجاً يؤدى به ، لا محالة ، إى الوقوع فى الخطأ ، وهو الأخذ بالظاهر ، وليس فى ظاهر القرآن تسليط الله لأعدائه على أوليائه .. أو منح عدوه الذى أخرجه من الجنة صاغراً ذليلاً حقيراً قدرة على التغلغل فى أعماق النفس الإنسانية والعبث بها ، وليس فى القرآن كذلك نص يفيد أن الله ، تعالى ، خلق الجن لإغواء البشر وتضليلهم ..

انظر إلى قوله : «.. فيحدث الله ، عز وجل ، له الصرع والتخبط حينئذ» ياسبحان الله لقد جعل قدرة الله وفعله تابعة لقدرة إبليس وفعله .. حتى التسوية بين قدرة إبليس وقدرة خالقه تجاوزها ابن حزم ، وجعلها تابعة لإبليس ! .

ثم مَنْ من المصروعين أخبره عندما أفاق أن ما حلَّ به كان فعلاً وكيداً

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(٢) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ / ١١٣ .

(٣) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ / ١١٣ .

للشيطان؟!.. إن أدوات الحس والإدراك تنفى تماماً أن يكون الشيطان قد دخل وحل في جسم المصروع [1] وعطل عقله وتلاعب بكيمياء جسمه ..

ولكن لاغرابة إن كانت هذه ثقافة عصر ابن حزم، الغريب حقيقة أن نجد مسلماً في القرن العشرين والحادى والعشرين، تكون كل معارفه الدينية وثقافته في تحدى الغرب ومواجهته، هي مجموعة خرافات مركبة تركيباً معقداً، بحيث لا ينفك منها المسلمون؟!.. ويظلون قابعين في ردهات الجهل والتخلف والتصورات الجائرة للتوحيد الإلهى، وحرية الإنسان وقدرته على الاختيار والفعل ..

ليس من الخير في شئ بقاء العقلية الإسلامية صريعة الوهم متجاوزة منهج القرآن في النقد والتفكير والاستدلال والنظر .. وبدعوى ان ما يقوله مهاويس الحشوية وأتباعهم من أنصاف المتعلمين، تعلماً دينياً، من أن هناك احاديث وروايات او ايات تلزمهم بنقض التوحيد، وجعل إبليس وجنوده شركاء لله، تعالى، بما يدعونه من سلطان الشياطين على الإنسان وقدراته وملكاته التى وهبه الله لها ..

لقد وقع تصور المسلمين للتوحيد في مازق صعب عندما آمنوا بالله الواحد الأحد القادر القاهر الغنى الملك المتكبر القدوس، وآمنوا مع ذلك بإبليس والجن والشياطين القادرين على التصرف والتحول والوسوسة والإغواء وتغيير المقادير، حسب ما يحلوا لهم، أو على أسوا الأمور حسب ما أمكنهم الله منه .. فمن هذا اللعين الذى أدخل في روع المسلمين أن الله أمكن الشيطان من إغواء الإنسان، بعدما هداه إليه بحوله وقوته !

* * *

---

(1) انظر كذلك الاشعرى : المقالات 1 / 109 .. لقد كان لعلماء المسلمين القدماء موقفاً من صرع إبليس للإنسان مشرفاً .. فليراجع .. وإن حكى الاشعرى مذهب الجبرة فيمن ذكرهم .

# الفصل السادس

## حول الرسالة

١- ترجمة المؤلف ومصنفاته .

٢- وصف المخطوط .

٣- منهجي في التحقيق .

٤- نماذج من المخطوط .

## ١- ترجمة المؤلف ومصنفاته

هو الإمام أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم الحسني العلوى ؛ الناصر لدين الله؛ إمام زيدى يمانى مشهور .. ومن كبار علمائهم وبسلائهم .. عرف بالجهاد ونصرة دين الله ؛ ولد سنة ٢٧٥هـ ولا يعرف أين ولد .. وربما كان ذلك بجبال الرس قبل أن يخرج والده الإمام يحيى بن الحسين ت ٢٩٨هـ مجاهداً وفاتحاً لليمن وإقامته لدولة الزيدية بصنعاء .. وذلك لأن الرس وما حولها ارتضاها جده الإمام القاسم بن إسماعيل الرسى موطناً له ، لما حطت به عصا الترحال ، بعد جهاد كبير للدولة العباسية عرف فيه طعم الغربة وعذابها لمدة عشر سنوات كاملة .

عرف الإمام أحمد الحفيد بما عرف به أجداده وأباؤه من آل البيت الأطهار ، من تقوى الله وورع وحب للدين والعلم ، والجهاد فى سبيل الله ، واشتهر من بينهم بأنه ترجمان الدين ، وذلك لغزارة علمه ونباهته ؛ وتولى الإمام أحمد الإمامة باليمن بعد أن قدم عليها فى بداية القرن الرابع الهجرى واعتزال أخيه لها - محمد المرتضى - طواعية وعرفاناً بمقدرة أخيه على القيادة وإدارة أمور الحكم ، سياسياً وعسكرياً .. وغير ذلك .

وما لبث الإمام أحمد إلا أن جهز جيشاً كبيراً قوامه أكثر من ثلاثين ألف مقاتل لمواجهة دولة الباطنية الكافرة .. وتوجه به نحو الغرب ، فانتصر عليهم انتصاراً باهراً ، ودخل عاصمتهم عدن .. ونكل بالقرامطة .. وظل وضع الدولة قوياً ومزدهراً فى عهده حتى توفى بصعدة سنة ٣٢٥ / ٩٣٧م .

قال عنه ابن الوزير فى كتابه «هداية الراغبين» : «كان من الأئمة السابقين وعيونهم المعتبرين وسادتهم المطهرين ، وكان عالماً فاضلاً ورعا وزاهداً ؛ جامعاً لشرائط الإمامة ، كاملاً فى صفات الزعامة ، سالكاً منهج آبائه الأئمة الأطهار ، فى أحواله الخاصة والعامة» .

كما قال الفقيه حميد فى وصفه فى كتابه «الحدائق الوردية» : «نشأ على الزهادة والعبادة، واقتبس من نور والده الوقاد ؛ وارتوى من علم الآباء والأجداد ؛ فأحرز من علمهم الصافى الكثير ، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير» .

وقد أشارت كتب الطبقات إلى تصانيفه العلمية ، بما فيها كتابه النجاة الذى شمل على ثلاث رسائل منها رسالتنا - هذه - التى قمنا بتحقيقتها .. فقالوا فى وصف كتبه : «له ، عليه السلام ، التصانيف الرائعة الشافية .. والكتب البالغة الوافية ، فى الأصول والفروع والمعقول والمسموع» .. ثم ذكروا كتبه على النحو التالى :

١- كتاب النجاة الفريد المتميز بقولهم : وفيه علم عجيب وكلام حسن غريب .. وهومجلد كبير يحتوى على عدة رسائل ، منها مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس.». وسيصدر قريباً بتحقيقنا بإذن الله .. بعد أن أمضينا فى تحقيقه ودراسته عامين كاملين.

٢- كتاب الدامغ .

٣- كتاب التوحيد .

٤- كتاب الفقه .

٥- كتاب التنبيه .

٦- كتاب مسائل الطبريين .

٧- كتاب الرد على الإباضية . حققناه وسيصدر قريباً ، إن شاء الله .

كما أن له كتاباً فى علوم القرآن تشهد له بالإصابة والتبريز منهاكتابه المشهور

٨- كتاب المفرد فى الفقه .

وقد ذكره الإمام حميد ..

ومن عجائب هذا الإمام العظيم المجاهد فى العلم والعمل .. أنه كان يخرج لغزواته ومعه كتبه وأدوات الكتابة من حبر وورق .. فيؤلف المسائل الصعبة والكتب الطوال وهو على ظهور الخيل .. وهو أمر لم نجد لأحد من السلف أوالخلف - له مثيل - على السواء !!

**الكتب التى ترجمت للإمام أحمد :**

١- هداية الراغبين : لابن الوزير لوحة ١١٣ و - حتى ١١٥ و

وهو مصور بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم تحت رقم ٢٧٤٤ .

٢ـ **حميد المحلى** : الحدائق الوردية جـ٢ ورقة ١١١ ـ ١١٢

وهو مصور بدار الكتب المصرية ، ميكروفيلم تحت رقم ٢١٣٦ .

٣ـ **عبد الله بن حمزة** : الشافى جـ١ ورقة ١٦٦

وهومصور بدار الكتب المصرية ميكروفيلم تحت رقم ٢٣٤ .

٤ـ **أحمد القرشي : بلوغ المرام ؛ ص ٣٣ طبع بمصر ١٩٣٩ .**

٥ـ اتحاف المسترشدين ، ص ٤٥ .

٦ـ **الجنداري : تراجم** الرجال جـ٦ .

٧ـ **الزركلي** : **الأعلام ؛ ١ / ٢٦٨ .**

٨ـ **كحالة : معجم المؤلفين** ١ / ٣٢٣ .

* * *

## ٢- فى وصف المخطوط

١- هذا المخطوط يمثل جزء هاماً من تراثنا الفكرى الإسلامى الناضج والحر ، والذى جاء في فترة مبكرة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية .. فقد كتبه الإمام احمد والفه إجابة على أسئلة بعض اتباعه ، ورداً على المجبرة الذين روجوا للجبر فى القضاء والقدر ، وذلك من خلال قصص القصاص والإسرائيليات والخرافات والأساطير الموروثة عن الشعوب والأدب العالمى ، بكل ماتحمله من تاثيرات عقائدية فى الديانات المختلفة ، وخصوصاً الديانات الشرقية كالثنوية والمانوية والبوذية والمجوسية .

بالإضافة إلى تصور إبليس فى الديانات السماوية كاليهودية بماتحمله من تصور مادى وسطحى لحقيقة الألوهية والنصرانية وهى عقيدة حلولية .. ودور إبليس في عقيدة التثليث هام وبارز ، وعليه عولوا في سبب نزول ابن الله ، على ما يزعمون ويفترون – تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ؛ لفداء العالم !

٢- تُمثل نهايات القرن الهجرى الثالث فترة ازدهار فكرى وادبى واجتماعى .. ولم يمنع هذا من ظهور الدولة الطولونية بمصر ثم الإخشيدية ، وانفصال اليمن وقيام الدولة الزيدية به سنة ٢٩٦ هـ ، وكذلك انفصال الأندلس من قبل بنحو مائة وخمسين عاماً .

٣- القصد من ذلك أن العباسيين فى بغداد جمعوا من حولهم كل الاتجاهات والتيارات المذهبية .. وتحولوا بعد عصرالمامون والمعتصم عن التوجهات الفكرية الناضجة إلى التقليدية ، وحارب المتوكل الاتجاهات الحرة فى الفكر ، حتى يتيسر له حكم الدولة دون منازعات أو ثورات على الأوضاع السيئة ، وتقدم المحدثون والقصاص صفوف العلماء مما كان له اسوأ الأثر فى تاريخنا كله .. وراج الفكر الجبرى والتواكل ، وتأخر على إثر ذلك العلم الطبيعى .. وشاعت طوائف الزهاد والعباد والصوفية ، وتلاشت النهضة العلمية التى قدر لها أن تظل متوارية وباهتة .. فورثت أوربا مناهج العلم والفكر الحر فى أواخر القرون الوسطى ، وبنت عليها أسس نهضتها فى بداية العصر الحديث .

٤- ما يعرضه الإمام احمد في هذه الرسالة تلقفته ايدى فلاسفة اوربا في عصر النهضة وأولوه كل عنايتهم .. ومن ينظر مقارناً يلاحظ لأول وهلة ويجد ان فكر المسلمين الأوائل الحر ، والذى يقوم على الكتاب والسنة المتواترة ومنهج العقل، بعيداً عن الغموض الفلسفي من جهة ، والانحراف الأسطورى والخرافة من جهة اخرى ، هو اساس البناء المنهجي الذى قام به زعماء الفكر الغربي بداية من المنهج الديكارتي والتجريبية عند كوبرنيكس وكانت ، والمنهج الاستقرائي والبراجماتية عند جون لوك وجون ستيوارت مل .. ثم ظهور نظرية العقد الاجتماعي والعدالة الاجتماعية ، وإرساء قواعد الدستور والديمقراطية والنظم التعددية .. كل ذلك خرج من عباءة الفكر الإسلامي الناضج في البدايات ..

٥- ولذلك نقول إن هذه الرسالة ، ومثيلاتها من فكر الإمام احمد بن يحيى وكتب ابيه يحيى بن الحسين ت ٢٩٨هـ ، وجده القاسم بن إسماعيل الرسي ت ٢٤٦هـ ، هو من افضل ما قدم وكتب المسلمون في القرن الثالث الهجرى حول التوحيد والعدل .. وإرساء قواعد المنهج واسس الحرية الإنسانية وحرية الفعل الإنساني بمنهجية ناضجة وواضحة .

٦- جاءت هذه الرسالة في مجموع الإمام احمد بن يحيى .. والذى سنصدره محققاً تباعاً ، إن شاء الله ..

**وعنوانهـــا :**

أ - ( مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين ) .

ب- وصفحاتها تقع بين ١٣٤ و - ١٥١ ط .

جـ- والنسخة التي بين ايدينا نسخة فريدة ومتميزة في نوعها .. فقد كتبت بخط نسخي جيد سنة ٥٤٨هـ ، وعلى حواشيها بعض الشروح .. غير ان ذلك وقع في هوامش رسالة النجاة .. وسلمت من شروح النسّاخ والمعلقين من القراء عليها .

د - جاء على هامش هذا المجموع وبداخله ، كثير من التملكات والتوقيعات ، التي تبين مسيرة انتقال هذه النسخة بين ائمة الزيدية وكبار علمائها ..

هـ- توجد عدة أسباب لوجود هذه النسخة وحيدة في مكتبتنا العربية ، من ذلك حرص الزيدية على تراثها من جهة ، وعامل الزمن وكيد الخصوم لهذا التراث.. أما لمَ لم تحقق وتخرج للنور ، رغم أهميتها البالغة ، فهو لزهد كثير من الدارسين في التراث الفكرى ولصعوبته ، سواء من حيث التحقيق أو من حيث الدراسة .. وكذلك لظنهم أن النسخة قديمة ، وقد تعرضت لعوامل الزمن التي غيرت من معالمها .. غير أن هذا التغيير لم يؤثر على الكلام بحال .. ولكنه يخدع الناظرين إليها .

ز- ومسطرتها : ثنتان وعشرون سطراً ( ٢٢ ) .

ح- ومقاسها : ٢٠ X ٢٧سم .

ط- النسخة التي قمنا بتحقيقها مصورة عن النسخة اليمنية الموجودة بمكتبة الجامع الكبيرة بصنعاء تحت رقم ١٤١ علم الكلام - كتاب ٣٨ ..

وقد قامت بعثة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المختصة بالمخطوطات العربية، والتابعة لجامعة الدول العربية بتصويرها في الثلاثاء ٢٤ من رجب ١٣٩٤هـ الموافق ١٣ من اغسطس ١٩٧٤ وإيداعها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت رقم ١٥٧ يمن شمالي .. ومنها صورنا نسختنا .

* * *

## ٣- منهجي في التحقيق

١- قمت بمراجعة المخطوط مرات عديدة ، للتأكد من سلامته من النقص وعوامل التعرية .. ثم قمت بتصويره .

٢- تحققت من نسبة المخطوط لصاحبه ، بمراجعة كتب الفهارس وقائمة كتب الزيدية وكذلك قائمة كتب الإمام احمد .

٣- نسخت المخطوط وقومته إملائياً .

٤- وضعت للقضايا عناوين ، وللمسائل عناوين داخلية ، وقسمته إلى فصول .. حتى يتيسر الانتفاع به .. كما نسبت الآراء والأفكار والمذاهب إلى أصحابها في كتبهم الأصلية .

٥- خرجت الآيات والأحاديث التي وردت بالرسالة ، ووضعت له فهرساً عاماً .

٧- ترجمت للشخصيات ، وعلقت على القضايا والمصطلحات .

٨- كما قدمت للمخطوط بدراسة عن «إبليس في التصور الإسلامي بين الحقيقة والوهم» .. ووضعت مقدمة له ، وترجمت للمؤلف . ومصنفاته .

هذا وأسأل الله العلي القدير ؛

أن ينفع به ، وهو ولي التوفيق ؛

القاهرة في ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٠م

# ٤- نماذج من المخطوط

تقليد الرجال بلا حجة ولا بصيرة ولا اتباعهم من خطاب الله عز وجل الا كما تعلقت به من
متشابه القرآن الذي جهلت تأويله فقد علمت ما ورد عليك وكتابنا هذا ما فيه الاستحكام
والاستشهاد بالقرآن عليك والحجة الواضحة التي لا مخرج لخصومها انها المحجة [illegible] وقد قال الله
تبارك وتعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب فقال قوم ان الراسخين في العلم لا يعلمون
تأويل الكتاب جهلا منهم وبلا حجة [illegible] ان الراسخين ليعلمون تأويل الكتاب وما يحتاج اليه الامة
من أمر دينها الذي بعثها الله عز وجل به ولولا ذلك لم يجب لهم اسم الرسوخ في العلم [illegible] تأويل
القرآن لا يجب له اسم الرسوخ في العلم [illegible] إذ لم يعلم تأويل القرآن فلو لا يجب [illegible]
من أهل بيت النبوة عليهم السلام والراسخون في العلم هم أهل التنزيل والتأويل ولو لم يكن [illegible] فهو محمد
عالم الكتاب لما جاز ان يقول الله عز اسمه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والذكر [illegible]
صلى الله عليه وعلى آله وسلم دليل ذلك قول الله عز وجل قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات
الله مبينات فصار الذكر هو الرسول وهذا ما لا يدفع فصار أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر [illegible]
الخلق [illegible] ولم يكلفوا ان يسألوا عبد العزيز بن يحيى البغدادي ولا عبد الرحمن [illegible]
نعيم ولا [illegible] ولا عبد الصمد ولا المعلم ولا عبدة بن عامر ولا [illegible]
ولا فلانا ولا ان يدعي عبد الله بن يزيد البغدادي وهؤلاء الذين سمينا [illegible] صلوات الله عليه
كان يهبط على جدهم ومن بيوتهم [illegible] التنزيل والتأويل وعنهم [illegible]
فيهم من الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا
فان صح ذلك [illegible] والسلام
[illegible] فهذا جوابنا لعبد الله بن يزيد البغدادي على مسائله والحمد لله [illegible]
قال الامام الناصر لدين الله قد [illegible]

ومن وصل اليه هذا الكتاب [illegible] من المسلمين [illegible] حتى يكون
الله [illegible] يوم القيامة [illegible] من الحق وقال الله عز وجل ومن أظلم ممن كتم
شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون والله عز وجل حسيب [illegible] وسيعلم الذين ظلموا
أي منقلب ينقلبون وصلى الله على سيد المؤمنين وامام المسلمين وعلم المهتدين [illegible]
العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الأمين الصادق وعلى [illegible] والمستضيء بكتابه والتابع
لأمره حتى مضى صابرا [illegible] صلوات الله عليه وبركاته ورحمته عليه وعلى آله
الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار الأزكياء [illegible] الكاتب

## [illegible] باب الحجة عن [illegible]

[illegible] وسوسة ابليس وسائر الشياطين مما أجاب عليه الامام الناصر لدين الله أحمد بن
يحيى [illegible] الى الحق [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين
وعلى آله الطيبين قد فهمنا أكرمك الله ما ذكرت عن القوم الذين جرى بينهم الكلام والمناظرة
في وسواس الجن والناس [illegible] كيف يصل الى الانسان وكيف الأمر فيه [illegible]
الله عز وجل انه يعد بني آدم الفقر ويأمرهم بالفحشاء [illegible] فلو كان ابليس يلقي في قلوب
[illegible] وعدة [illegible] ويأمرهم بالفحشاء ثم قال عز وجل
[illegible] قال الله عز وجل [illegible] ثم قال الشيطان
[illegible] ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله [illegible]
[illegible] ثم قال [illegible] المستقيم ثم لآتينهم
من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ثم قال [illegible]

# ثانياً

# ( النـــص )



الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ خاتم النبيين ،
وعلى آلـهِ الطيبين ؛

قد فهمنا - أكرمك الله - ما ذكرت عن القوم الذين جرى بينهم الكلام والمناظرة في وسواس الجن وإبليس ، عليه لعنةُ الله ؛ كيف يصل إلى الإنسان وكيفَ الامر منه لنا ، والعداوةُ التي قال الله ؛ عز وجل ، انه يعد بني آدم ويأمرهُمْ بالفحشاء [1] .

**حكاية موقف الناس من إبليس :**

وذكرتَ ان قوماً قالوا : إن إبليس يلقي في قلوب الإنس امراً وعدةً ، وسوَّل لهم ، وهو - زعموا - شئ لا يدرون كيفيَّةَ وصول ذلك إلى قلوب الخلق ؛ واحتجوا بكتاب الله ، عز وجل ، فقالوا : قال الله عز وجل : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾[2] .

ثم قال ، عز وجل ، يحكي عنه - إذ قال : ﴿ **لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ** ﴾[3] .. !

ثم قال : ﴿ **الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥)** ﴾[4] !

ثم قال إبليس - اللعين : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)** ﴾[5] .

١٣٤ ط / ثم قال : ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)** ﴾[6] .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) ﴾ النساء / ١٢٠ - وقوله ، تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ البقرة / ٢٦٨ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ النور / ٢١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(٣) سورة النساء آية ١١٩ .

(٤) سورة محمد آية ٢٥ .

(٥) سورة الاعراف آية ١٦ .. وجاءت في الأصل خطا هكذا ﴿ رب بما اغويتني ... ﴾ .

(٦) سورة الحشر آية ١٦ .

**قالوا** : فقد نراه ها هنا يأمر ويعدُ ويوسوس بالقول ، وذلك أنه يصلُ - زعموا - إلى قلوبهم منه شيٌ ؛ ويلقى إليهم ، ولا يدرون - زعموا - كيفية وصوله إليهم ؟!!

وذلك أن الله ، عز وجل ؛ قال : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1] وأنه - زعموا - : يجرى من الإنسان مجرى الدم [2] !

* **ثم قال آخرون** : صدق الله في كتابه ، وهو كما قال الله ، عز وجل ؛ غير أن تأويل الآيات خلاف ماتأولتم ، فمن ثمَّ غلطتم ؛ إن إبليس ومن معه لا يقدرون على أن يلقوا في قلوبنا شيئاً ، كما يلقى الشيءُ في الشيء ، ولا يصلُ إلى قلوبنا منه شيء ؛ ولا يأمرنا بشيء ، لا مشافهةً ولا خفاءً ولا سراً ولا علانيةً ؛ ولم يصل إلينا منهم شيء قط ؛ ولم نسمع بذلك منهم في حالة ما .

وإنما وصلتنا الحكاية التى حكى [3] الله ، عز وجل ؛ فى كتابه على لسان نبيه، ﷺ ؛ فأبطلت لنا الحكاية من الله ، عز وجل ؛ وأخبرتنا أن إبليس ، ومن أطاعه من الجن يريدون منا إتيان المعاصي وارتكاب الفواحش؛ وأن ذلك إرادتهم منا ، وأنه يرضيهم عنا إتيان ذلك ؛ بحكاية الله ، عز وجل ، لنا ذلك فى كتابه أن ذلك من مرادهم ، فالحكاية الواصلةُ بنا الأمر منهم لنا ، كأمر الرجل لابنه ولغلامه : إفعل كذا وكذا [4] ..!

وبعد ؛ فأخبرنا عن الله ، عز وجل ، أَقَدَرَ على أن يوصِّل الأمرَ بالطاعة إلى قلوبنا، من غير سفير ولامعبِّر ولا حكاية ؟!

فإن قالوا : إبليس أقدر على ذلك من الله .. كفروا وخرجوا من ملة الإسلام .

وإن قالوا : الله أقدر على ذلك .

* * *

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٢) هذا معنى حديث أخرجه البخاري فى صحيحه فى أكثر من موضع منها ( كتاب الأحكام باب ٢١ ) ١٣ / ١٦٨ «عن علي بن حسين أن النبى ﷺ أتته صفية بنت حي ، فلما رجعت انطلق معها ، فمرَّ به رجلان من الأنصار ، فدعاهما ، فقال : إنما هي صفية . قالا : سبحان الله !. .قال : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» ، ورواه الدارمى ؛ ٢ / ٤١١ «كتاب الرقائق» باب «٦٦» ، وأحمد فى مسنده ؛ ٣ / ١٥٦ ، ٢٨٥ ، ٣٠٩ - ٦ / ٣٣٧ .

(٣) في الأصل : حكا .

(٤) فى الأصل : كذى وكذى .

**قصة الغلام الوحيد على الجزيرة :**

قلنا لهم : في رجل وامرأته ، كانا في المركب ، ثم باق [1] بهم المركب ؛ فخرجا إلى جزيرة ، فكان الرجل من مرته [2] ؛ فحملت غلاماً ، ثم بلغ الغلام ثلاث سنين ؛ ثم ماتا وتركاه [*] ، أيصلُ إلى قلبه الأمرُ بالصلاة والصيام وجميع الفرائض بلامخبر له ولا معبر؟!

ونحن ، فلم ندر ما الكتاب ولا الإيمان حتى [3] أوحى الله ، عز وجل ، إلى رسوله ، صلوات الله عليه وعلى الأخيار من ذريّته ، فبلّغ إلينا ما امره الله ، عز وجل ؛ به من طاعته وفرائضه ؛ ونهانا عن معاصيه ؛ فإن فعلنا المعاصي كنا قد فعلنا كفعل الشيطان؛ وكنا مطيعين له ؛ لأنّ ذلك إرادته وامره ؛ وكذلك إذا فعلنا ما امر الله ، عز وجل ، كنا قد اطعناه وفعلنا ما أراد منا . . !

* * *

* وقال آخرون : إنه ماكان من مشروب وملبوس ومنكوح ، فهو من فعل النفس ، وما كان من قتل وعقوق الوالدين فهو من إبليس .

١٣٥و/ وقد اكذبهم الله ؛ عز وجل ، حيث قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [4] .

وقال في ذكرموسى ، ﷺ : ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [5] ، فقال : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [5] ، يعني كعمله .

تمت مسائل أبي إسحق ؛ أكرمه الله

---

( ١ ) عطب وفسد .

( ٢ ) كناية عن الجماع .

* هذه القصة مشهورة في تاريخنا الفلسفي ،حيث تناولها ابن سينا وابن طفيل والسهروردي المقتول وابن النفيس ، وعرفت بقصة «حي بن يقظان» . وهي ذات طابع فلسفي ملخصه : هل يمكن ان يصل الإنسان إلى المعرفة بنفسه ، وهل يمكنه إدراك معرفة الله وتوحيده بلا وحي ولا رسالة ؟!..

( ٣ ) في الأصل : حتا .

( ٤ ) سورة المائدة آية ٣٠ .

( ٥ ) سورة القصص : آية ١٥ .

**لا يؤخذ الدين بالظن :**

**الجـــواب :** قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليه :

اعلم – أكرمك الله – أن هذه المخاطبة قد كثر فيها اختلاف الناس وقولهم ، وذهب كل منهم إلى مذهبٍ ، على قدر عقلهِ وظنه وخرصهِ ، والدين لا يكون بالظنّ ولا بالخرص ، وقد ذمَّ الله ، عز وجل ، قوماً في كتابه إذ أخبر أنهم على الخطأ والجهل ؛ فقال : ﴿ **إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ** ﴿١١٦﴾ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ **إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] وقال آخرون : ﴿ **إن نَّظُنُّ إلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] ، ﴿ **وَإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** ﴿٢٨﴾ ﴾ [4] .

* * *

**ينبغي الرجوع للكتاب والسنة :**

وذلك – أكرمك الله – أن الخلق تركوا معدن الهدى ، واتبعوا الهوى ؛ فخالفهم الردى [*] ودانوا بالخطأ ، ومالوا إلى الدنيا وتقليد الرؤساء ؛ وقد قال الله ، عز وجل : ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وَإلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [6] ، وهذا قول الله ، عز وجل ، الذى لا يشوبه فساد ولا طعن أهل العناد ، وقد أخبر الله ، عز وجل ، أنه لو رُدَّ إلى حيث أراد وافترض لعُلمَ ؛ ولم تقع خُلفَةَ ولا مراء ولا جهل ولا خطأ .

واعلم – أكرمك الله – أن القوم الذين ذكرت عنهم الكلام فى أول كتابك ؛ الذين اعتقدوا أن إبليس ، عليه لعنة الله ؛ يقدرُ على أن يلقى ويوصل العدة والأمر بالفحشاء إلى قلوب بنى آدم ، فقد أخطؤا وغلطوا وضلوا عن سواء السبيل ، وأن القوم الذين ردوا عليهم و عابوا جهلهم ، أهل الصواب والرشد .

وقد فهمت ما احتجوا به ، وقد أحسنوا ، إلا أنهم لم يشبعوا المسائل ، ولم يقووا الاحتجاج ، حتى يشتفى السامع ويُقطع المخالف .

* * *

---

(١) سورة الأنعام : آية ١١٦ .

(٢) سورة النجم آية ٢٣ .

(٣) سورة الجاثية آية ٣٢

(٤) سورة النجم آية ٢٨ .

(*) فى الأصل : الردا

(٦) سورة النساء آية ٨٣ .

**قواعد ينبغي تقريرها :**

واعلم - أكرمك الله - أن كل قول يعتقده قوم إذا انكسر بعضه وبان كسره ، وجب أن آخره ينكسر ، كما انكسر أولُهُ ؛ لأنه لا يجوز أن يكون لله ، عز وجل ، حق فيه باطل ، ولا باطل فيه حق ؛ ولايجوز أن يكون الحق ينكسر بعضُه ويثبتُ بعضه ؛ وقد يجرى أن يرد عليك على ما شك فيه الجهال ، من الآيات التي ذكرت فيها إبليس، في غير موضع من القرآن .

* * *

**التأويل حسب معاني العربية وتصريفها :**

فإذا صح كسرنا لذلك ؛ لزم أنَّ آخره على مجرى أوله ؛ وإلا طال الكتاب ومله ١٣٥ط/ القارئُ والمستمعُ ؛ وما أجزأ قليلهُ ، وبان القطع لمن خالف في أوَّل مسألة منه، لزم أنَّ آخره كأوَّله من المعنى ، والتأويل في اللغة على مثل ما أنا مُفسِّرُه لك إن - شاء الله .

* * *

**أثر الهوى في هلاك الإنسان :**

فافهم جوابي ، وقف على معانيه - أرشدك الله ووفقك - واعلم أن عامة الآيات ، التي اعتلوا بها ، تخرج على الهوى - وهو القائل [1] للإنسان لكل خطأ وردى [2] وبلاء وظلم ، ولذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [3] .

فأخبرنا ، عز وجلٍ ؛ أن الهوى هو الذي يُوقعِ في المهالك ؛ ولم تصح دعوى [4] من ادعى الوسوسة إلا بالمكابرة ، ومالا يصح بحجة .

وقال ( عز وجل ) [5] : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [6] .

---

( ١ ) أي الذي يدعو ويجعل الإنسان ، وهو من ، قوّل - أو قيل .

( ٢ ) في الأصل : ردا .

( ٣ ) سورة النازعات آية ٤٠ .

( ٤ ) في الأصل : دعوا .

( ٥ ) ليست في الأصل .

( ٦ ) سورة ص آية ٢٦ .

ومما كان ينبغي للقوم الرادين على أهل الخطأ أن يقولوا لهم ، في صفة الغلام المولود في الجزيرة ، الذي لم يرَ [1] أحداً قط ، ولم يصل إليه أمرٌ بطاعةٍ ولا معصية ، ولا معرفة خير ولا معرفة شرٍ .

أخبرونا : هل يقدر إبليس يغويه ويضله ، أم لا يقدر ( على ) [2] ذلك ؟ .

فإن قالوا : إنه لا يقدر على أن يضله . لزمهم لنا عجز إبليس وضعفه ، وانه لا يقدر أن يغوى أحداً من الخلق ولايضله ، ورجعوا عن قولهم ودعواهم في إبليس أنه قادر على إضلال الخلق وإغوائهم .

وإن قالوا : إنه قادر على إضلال ذلك الغلام وإغوائه .

قلنا لهم : فأخبرونا عن إبليس مخيرٌ في ذلك الفعل أم مجبرٌ عليه جبراً ؟!

فإن قالوا : إنه مجبورٌ عليه . لزمهم أن الله ، عز وجل ، البرئ من قولهم ، أنه أجبَر إبليس على إضلال ذلك الغلام ؛ وقد أخبرنا في كتابه أنه لم يخلق إبليس إلا لطاعته لا لمعصيته ؛ إذ قال ، عز وجل ؛ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [3] .

* * *

**يرسل الله الرسل لإقامة الحجة :**

فكيف انتقض قوله ، وجبر إبليس على إضلال ذلك الغلام ، من قبل أن يبدأه بالخير ، ومن قبل أن يلزمه الله ، عز وجل ، حجة ، إذ قال : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) ﴾ [5] !

فتراه قد عذَّب هذا الغلام لإضلال إبليس له من قبل أن يبعث إليه رسولاً ، ومن قبل أن يلزمه حجة واضحة ، وتراه قد بدأ بالشر قبل الخير ، وبالنقمة قبل النعمة ، وبالضلال قبل الهدى ؛ وبالسوء [6] قبل الإحسان ؟!..

وليس هكذا [7] وصف نفسه ، عز وجل ؛ إذ قال : ﴿ اللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ [8] ، وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [9] .

---

( ١ ) في الأصل : يرى .
( ٢ ) زيادة ليست في الأصل .
( ٣ ) سورة الذاريات آية ٥٦ .
( ٤ ) سورة النساء آية ١٦٥ .
( ٥ ) سورة الإسراء آية ١٥ .
( ٦ ) في الأصل : بالسواية .
( ٧ ) في الأصل : هكذى .
( ٨ ) سورة البقرة آية ٢٠٧ .
( ٩ ) سورة البقرة آية ١٨٥

فأى عسر أعظم ، وأى بلاء أكبر من انه اقدر إبليس على ذلك الغلام الذى فى ١٣٦و/ الجزيرة بلا ذنب ولا جرم ، فاضله واغواه عن غير استحقاق !!

* * *

**خلق الله إبليس لطاعته .. وهو من الجن:**

وقد خلق الله إبليس ايضاً للطاعة ولم يخلقه للمعصية ، إذ قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [١] ، وإبليس فهو من الجن ، يصدق ذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾ ﴾ [٢] .

فتراه يخبرنا عن فسقه عن أمره باختياره ، ويلومنا عن اتخاذنا له أولياء ولذريته ، وذلك الاتخاذ هو اتباعنا لهم على معاصيهم ، وفعلنا للظلم كفعلهم .

* * *

**عودة إلى قصة «حى بن يقظان»:**

رجع الكلام إلى إضلال إبليس للغلام الذى فى الجزيرة .

فنقول لهم : أخبرونا حيث خلق الله إبليس للطاعة ، أليس عليه الطاعة لله ، عز وجل ، فريضةً ؟!

**فإذا قالوا** : بلى ، قلنا لهم : فاخبرونا عن إضلاله للغلام أهو طاعة لله ، عز وجل ، أو معصية ؟!

**فإن قالوا** : هو طاعة لله ، عز وجل . لزمهم – صُغْرةً أقمياء – أن إبليس مطيع لله ، عز وجل ، فى إضلال الخلق ، وأنه يوم القيامة ، (على طاعة) [٣] لا على معصية ؛ وفى هذا نقض القرآن ، والكفر بالرحمن والخروج من الإيمان .

**وإن قالوا** : إن إضلال إبليس للغلام هو معصية لله ، عز وجل . لزمهم انه قد ترك ما خُلق له واتبع هواه ، وخالف خالقه ووجب عذابه بمعصيته ، وقالوا بالعدل .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٢) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

ثم نقول لهم : اخبرونا اليس قد قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [١] ؟

**فإذا قالوا** : بلى [٢] .

**قلنا لهم** : فاخبرونا عن ذلك الغلام الذى فى الجزيرة ، كيف يغويه إبليس ، وكيف يضله ، وكيف يضل غيره من جميع الخلق - على انه ما لزم فى واحدٍ لزم فى جميع الخلق ، إذ القصة واحدة ؟ .

فلابد لهم أن يقولوا : إنه يبدوا لهم . فيردون على القرآن ، ويضلهم على وجه من الوجوه .

**فإن ادعوا أمراً لا تقبله العقول** ، ولاتقوم لهم به حجةٌ سقط قولهم ؛ إلا ان يدعوا أنه يقدر على الخلق ، كقدرة الله ، عز وجل ؛ على خلقه ..! ( فيوجبوا ) [٣] خالقاً آخر قادراً قوياً مع الله ! .. فيلزمهم الشرك والخروج من فيه الإسلام كافةً ، لابد لهم من ذلك ، أو الرجوع عن الجهل .

**فإن قالوا** : إن الله ، عز وجل ، اقدره على ذلك ، وجعل له إليه السبيل .

* * *

**هل أقدر الله عدوّه على ما لم يعطه لأوليائه ،**

لزمهم أن الله ، عز وجل ؛ جعل لعدوه ، المخالف لأمره والعاصى له ، من القوة والمقدرة والسلطان ، ما لم يجعل لأوليائه ذلك ، وأهل طاعته من الأنبياء والمرسلين ؛ وانه قد وَصَّلَ عدوّه وامكنه من المنزلة الشريفة والمرتبة الرفيعة ، التى نال بها أولياء الله، عز وجل ؛ رسُلَه ، عليهم السلام ، وبلغ بها مكروههم ، وأحرق بها قلوبهم ، على قود قولهم !

فكان له من الخطر العظيم والعطية النفسية والعلو والدرجة الكريمة / والقدرة ١٣٦ط / القاهرة ما علا به على الخلق المطيع منهم والعاصى ؛ وبان بذلك الفضل على

---

( ١ ) سورة الاعراف آية ٢٧ .

( ٢ ) فى الاصل : بلا .

( ٣ ) زيادة ليست فى الاصل .

الأنبياء والمؤمنين إذ معه من عطية الله ، عز وجل ؛ وموهبته وخصوصه ما ليس مع الأنبياء الله ، عز وجل ؛ ولا مع أوليائه ! .

فاى عظيمة اجلُ من هذه العظيمة !.. وأى كبيرة أكبرمن هذه الكبيرة ( التى )[1] نسبتموها إلى الله ، عز وجل ؛ انه خصً بها إبليس ، ولم يُعطها رسله ولا أولياءه ولا من يسعى في طاعته ، واعطاها من كفر به واشرك واستكبر ، وقال : ﴿ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[2] !

فهذا استاهل ، عندكم ، ان يجعل له المقدرة القاهرة والسلطان العظيم على خلقه الضُعَفاء المساكين ، الذين افترض عليهم ان يحذروا عمله ولا يتبعوا معاصيه ولا يقفوا آثاره ولا يفعلوا كفعله !.. سبحان الله العظيم عما قال المبطلون ، وعلا علواً كبيراً .

* * *

---

( ١ ) زيادة ليست فى الأصل .

( ٢ ) سورة الحجر آية ٣٣ .. وجاءت فى الاصل ﴿ .. خلقته من طين ﴾ وهو خطا بيّن

# الحجة الأولى

## فى إبطال قدرة إبليس على الإغواء

ومن الحجة فى إبطال قدرة إبليس وما ادعوا فيه من آيات القرآن جميعاً ؛ التى فيها ذكره وسوسته لبنى آدم ، أن ينصرف كله على الهوى الذى بهواه الناس مع شيطان بنى آدم أيضاً .

وإنما الهوى شيطان ؛ لأنه رصاً للشياطين . على مقدار قول موسى ، صلى الله عليه؛ حيث وكز [1] القبطى فقتله : ﴿ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2] ؛ أى إنه عدوٌ لبنى آدمَ ؛ عليه السلام . ونولده من بعده على العداوة الأصلية ؛ إن هذه المعصية من جنس عمل الشيطان الذى عمله ؛ فكان معصيةً .

* * *

**لم يشارك الشيطان موسى فى قتل القبطى :**

ولو كان قتل موسى ، عليه السلام ، للقبطى عملاً للشيطان عمله هو ، دون موسى ، ﷺ ، لم يجز أن يقول الله ، عز وجل : ﴿ قَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [3] ؟!.. وكان الواجب أن ينسب قتل القبطى إلى قاتله ، وهو إبليس ، ولا يرمى [4] به موسى، وهو برئٌ : ﴿ مَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [5] .

وكيف يدخل ، عز وجل ؛ فيما عاب ، أو يُلزِم البُرآء قتل الشحناء [6] ؟!.. وإن كان إبليس أعانَ موسى فى قتل القبطى ، بمقدار شعرةٍ ، لزمه أنه شريك لموسى ، عليه السلام ، فى القتل ، ووجب عليه نصف الدية فى حكم الإسلام ؛ لأن الدّية على من قتلوا [7] كلهم لا بعضهم دون بعض ؛ وكلُّ منَ قتل رجلاً فلابُدَّ أن يكون معه إبليس بالحضرةِ يقتل معهُ الناس أينَ ما كانوا!. وكذلك الزناة واللاطة [8]

---

( ١ ) أى ضربة بيده مضموماً أصابعها فى صدره وهو لا يريد قتله .

( ٢ ) سورة القصص : آية ١٥ .

( ٣ ) سورة طه : آية ٤٠ .. والفتون : الإبتلاء ، وهو مصدر .

( ٤ ) فى الأصل : يرما .

( ٥ ) سورة النساء آية ١١٢ .

( ٦ ) الشحناء : الحقد والعداوة والبغضاء .

( ٧ ) فى الأصل : قتل .

( ٨ ) مفردها لوطى : أى من عمل عمل قوم لوط ، والمصدر منها لوط .

وشراب الخمور والسُّرَّاق ، وجميع أهل المعاصي في البر والبحر والشرق والغرب والسهل والجبل ؛ فيكون معهم إبليس مشاركاً لهم في جميع المعاصي أين ماكانوا! .

١- فإن قال من خالفنا بهذا القول الزمهم أن ليس بين ربهم القول العزيز المطلع ١٣٧و/ على جميع الخلائق - فرق ، وبن / إبليس الذليل العاجز الضعيف ! .

* * *

### في إبطال أن له أعوان !

وإن قالوا : إن له أعوان يفرقهم في جميع البلدان ، فيضلوا [١] الخلق ؛ لزمهم أن يقال لهم : اخبرونا عن هؤلاء [٢] الأعوان والجنود لإبليس ؛ مجبورونَ على إضلال الخلائق وتفرقهم في جميع البلدان ، حتى لا تخفى [٣] عليه خافية سراً ولا علانية ، أم مخيرون تخييراً ؟! .

* * *

### إبليس هل هو مخير أم مجبور؟

٢- فإن قالوا : بل هم مجبورون جبراً على إضلال الخلائق .

قلنا لهم : فما حيلة الخلائق ؟!.. واى قوة ( لهم ) على أن يخرجوا من تسليط ربهم عليهم ، ما لا يقدرون على التخلص منه ؟!..

ويلزمهم أن القرآن قد انتقض في قوله ، عز وجل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٤] .

* * *

### هل إضلال الشيطان للناس عبادة منه لله ؟!

فإن زعموا أن إضلالهم للخلق هو عبادة لله ، عز وجل ؛ ألزموه ، عز وجل ؛ الجور والظلم والعذاب ، لمن عبده وأطاعه ؛ إذ قال في كتابه إنه يعذب المطيعين ، إذ

---

( ١ ) في الأصل : فيضلون .

( ٢ ) في الأصل : تخفى .

( ١ ) في الأصل : هاولا .

( ٣ ) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

قال : ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [١] ، وقوله ، عز وجل : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [٢] ! . .

فتراه سمى المطيعين له غاوين – على قود قولكم ! . .

٣- وإن قلتم : مجبورن تخييراً لا قسراً لزمكم ان قولكم بالجبر باطل ، وان أهل العدل اصوب قولاً منكم ، وان الناس يقدرون ان لا يطيعوا إبليس في قوله وامره وفعله ووسوسته ، وأن لهم عن ذلك مندوحة ومعزلاً وغنى [٣] ؛ وانه لامقدرة له على معصيتهم ، ولامقدرة له ولا لجنوده على إضلالهم جبراً او قسراً ؛ لانهم – اعنى الجن– مخيرون تخييراً ؛ ولذلك لزمهم ان لايضلوا عباد الله ، عز وجل ، إذ خلقوا كلهم للطاعة لا للمعصية .

* * *

**من الذى قتل القبطى موسى أم الشيطان أم هما معاً ؟**

ودليل آخر ؛ انه لايجوز لموسى ، صلوات الله عليه ، فى عظمة وشرف مقامه وكمال ورعه وصدق لسانه وبارع علمه ، أن يلزم إبليس قتل القبطى ، وهو القاتل له وحده ؛ إذ قال : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [٤] فالزمه إياه كله ، ولم يقل : هذا من عمل الشيطان وعملى معه أيضا ، فيلزمه الكذب ها هنا . إذ كذب على إبليس إذ الزمه القتل كله ؛ ولم يذكر نفسه ! . .

وهذا خارج من الحق ، والانبياء لا يقولون إلا الحق ، صلوات ( الله )[٥] عليهم اجمعين ؛ وإنما المعنى فيه الذى عنى [٦] الله ، عز وجل؛ انه – اى موسى ، عليه السلام[٧] – عنى انه – أى القتل بلا ذنب ظلماً [٨] – من جنس عمل الشيطان وشكله ، إذ عمل إبليس المعصية فى بدء الأمر ، يوم غشَّ آدم ، صلى الله عليه ؛ وكان إبليس اول من عصى [٩] الله ، عز وجل؛ معصية عمد ، لا ما ذهب إليه الجهال انه

---

( ١ ) سورة الشعراء : الآيتان ٩٥ – ٩٦ . ، ويختصمون : يتجادلون ويتنازعون .

( ٢ ) سورة ص آية ٨٥ .

( ٣ ) فى الاصل : وعنا .

( ٤ ) سورة القصص آية ١٥ .

( ٥ ) ليست فى الاصل .

( ٦ ) فى الأصل : عنا .

( ٧ ) من وضعنا .

( ٨ ) من وضعنا .

( ٩ ) فى الاصل : عصا .

يقدر على القلوب ولطائف الصنع ، كقدرة الله ، عز وجل ؛ وكذب العادلون بالله ، وضلوا ضلالاً بعيداً .

* * *

**لقد ساوى المجبرة بين إبليس وخالقه :**

ومن قال هذا ، فكيف بالله ، عز وجل [١] ، ساوى / بينه وبين خلقه في القدرة ولطائف الصنع !..

فنعوذ بالله من العمى [٢] في دينه والصد عن سبيله .

ولو كان إبليس يضلُ الخلق بأمرٍ لا يعرفونه ، وسبب لا يرونه ، وبحيلة لا يهتدون إلى وصفها ولطائف تدق عليهم ؛ لوجب أن له من المقدر والقوة مثل ما لله ، عز وجل !..

وهذا أعظم الفساد وأكبر الإلحاد وأشد العناد .

* * *

( ١ ) اى كيف يكون ربه ؟ بعد ان وصف إبليس بما لايكون إلا لله الواحد الأحد القادر القاهر الخالق العزيز .

( ٢ ) في الأصل : العما .

## الحجة الثانية

## إقامة الدليل على أن إبليس لا يعد أحداً أو يمنيه

ومن الحجة عليهم ، في دعواهم أن إبليس يعدهم بالفقر ويأمرهم بالفحشاء ؛ أنا ، نحن وهم ، لم نشاهد أحداً يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء إلا شيطان بني آدم ،فكيف جاز لهم أن يقطعوا الشهاد على شيطان الجن دون شيطان الإنس ، وقد أعلمهم الله ، عز وجل ، أن في الإنس شياطين وفي الجن شياطين [1] !..

فَلِمَ قطعوا الشهادة على الجني دون الإنسي ، والإنسي ، بالمشاهدة (هو) [2] ، الذي عمل بنا العمل ؛ والجني لم نشهد عليه ، بالعيان ، كما شهدنا على هذا الآخر؛ والله ، عز وجل ، فلِمَ يُفرد واحداً منهما دونَ الآخر في كتابه [3] .. فكيف جاز لهم هذا القول ؟!..

ولو كان لإبليس من القوة والقدرة ولطائف الصنع ودقائق الأسباب ، التي لو اجتمع الخلق على أن يقفوا على كنه واحدة منها ما قدروا على ذلك أبداً .

فيلزم من خالفنا أن ليس بين قوة الله ، عز وجل ، وقدرته ولطائف صنعه ودقة أسبابه ، وبين قدرة إبليس وقدرته ولطائف صنعه ودقائق أسبابه فرق ، وبين الخالق - وهذه صفة الواحد الفرد الذي ليس كمثله شئ - والذي قالوا في قدرة إبليس ولطائف معانيه ، يوجب فساد التوحيد ؛ وأن كمثل الله ، عز وجل ؛ حَيّاً يقدر كقدرته ويفعل كفعله !.. عز عن ذلك القوي العزيز .

* * *

### هل أقدر الله إبليس على ما يفعل ؟!

فإن قال قائل : إن الله عز وجل ؛ أقدره على ذلك ، وجعل له السبيل والقوة على

---

(١) يشير إلى قوله ، عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام آية ١١٢ .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ الأنعام آية ١٢١ .

(٢) زيادة ليست بالأصل .

(٣) ويمكن أن تقرأ هكذا : «فلم يفردُ ....؟» .

فعله . لزمه أن حكمة الحكيم ها هنا غير حكمة ؛ وحسن نظره لخلقه غير حسن نظر ، ورحمته لهم غير رحمة ؛ إذ أقدر عليهم عدواً يأتيهم من حيث لا يعلمون ، وقد أمرهم بمخالفته بعدما أقدره عليهم !.. فأيُّ جور يكون أعظم من هذا الجور ، وأي ظلم يكون أكبرمن هذا الظلم ، إذ كلفوا الحذر ممن لا يرون إلى معاني أسبابه الواقعة ، ١٣٨و/ بعد ما قال في كتابه ، على لسان نبيه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [(١)] ؛ و قوله : ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [(٢)] ؛ وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [(٣)] ، وقوله : ﴿ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [(٤)] !.

* * *

**الحق لا يختلف ولا يتضاد :**

فهذا شئ يخالف بعضُهُ بعضاً ، والحق لا يختلف ولا يتضاد ؛ إنما الذى يختلف ويتضاد الباطل . وإن لا ، فهل يوجدونا حجة نعقلها ، ويعقلها معنا الرجال ، ذووا الألباب، حتى تصح وتلزمنا بها الحجة ؛ إنْ واحداً منهم ، أو من غيرهم ، وعدهُ إبليس– منذ خلق – الفقر ، أوصَدَّهُ عن الطاعة ، أو وسوسهُ فى صلواته أو فى غيرها .

* * *

**كيف وعد وصد ووسوس !؟**

كيف ذلك كله الذى كان من إبليس إليه !!

فإن جاء فيه بحجة قاطعة بيِّنة تشهدُ عليها العقول ، ويفهمها أهل العلم والمعرفة بأمر واضح بيِّن ، رجعنا عن قولنا إلى قوله ، وتُبنا عما كنا عليه .

* * *

**أدوات المعرفة :**

لأنا لا نعقلُ الوسوسة والأمر بالفحشاء ولا وعد الفقر ، إلا على قدر البينةِ التى نبأنا الله ، عز وجل ، عليها وما جعل لنا من الإدراك بالحواس الخمس وبخاطر العقل .

---

( ١ ) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

( ٢ ) سورة الطلاق آية ٧ .

( ٣ ) سورة البقرة آية ١٨٥ .

( ٤ ) سورة الأحزاب آية ٤٣ .

وهذا الشيطان - الذى ذكره مخالفونا - لم يلقانا قط فيكلمنا مواجهة ولم يكلمنا من وراء حجاب ؛ ولم يخاطبنا على لسان رسول بعثه إلينا ؛ فلم يأتنا منه كتاب نقرأه ونعلم ما فيه ، وليس البنية - التى نحن عليها - تعقل الأشياء ، ولا تصل إلى علمها إلا من هذه الجهات ، وهى الحواس الخمس - التى لا سبيل لبنى آدم إلى شئ مما يدركونه إلا بها - وقد سقطت كلها عما ادعوا ؛ وأن إبليس لم يأتنا قط من قبل الحواس الخمس .

فقد بان هذا وصح ، وبطلت فيه دعوى كل كاذب على الله ، عز وجل ؛ وعلى كتابه ؛ إذ جهلوا القرآن ومعاني اللغة العربية فيه .

* * *

### نفى كون لإبليس تأثير فى قلوبنا:

فإن قالوا : إنما يأتى إبليسُ الناس من قبل أن يوقع ذلك فى قلوبهم لا غير ذلك . لزمهم القول الأول ؛ أنه يجب له من القوة والقدرة الدقيقة اللطيفة ما يجب لرب العالمين العلى العظيم ؛ الذى لا يقدر على تصريف القلوب وتقليبها غيره ، عز وجل !

وإبليس أقل وأذل وأضعف من أن يكون بهذه المنزلة العالية الرفيعة ، التى لم يقدر عليها الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون ؛ وقد مدح الله ، عز وجل ، نفسه - فى غير موضع من القرآن - باطلاعه على القلوب وعلمه بالضمائر وقدرته على تصريفها وتقليبها ، فقال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾[١] .

فإن كان إبليس يقدر أن يحولَ بين المرء وقلبِه ، فقد لزمهم ووجب عليهم أن له قدرة كقدرة الله ، عز وجل ، وأنه قد ساواه فى هذه المنزلة التى مدح الله (عز وجل) [٢] بها نفسه ولم يكن له عليه فضل .

١٣٨ظ / وقد زعمتم أن إبليس يقدر أن يحول بين المرء / وقلبه . ومن قال بهذا فقد بان كفره وظهر جهله ، وخرج من الإسلام كافة ، وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَنَعْلَمُ مَا

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٢) ليست فى الأصل .

تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] ، فتراه – عز وجل – قد أضاف وسواس النفس إلى النفس ولم يضفه إلى إبليس !.

**الهوى هو الداعي ..**

إذاً الهوى [2] هو [3] الداعي إلى كل صواب وخطأ ووسواس وكل خير وشر ، وانه لا فاعل لذلك غير الآدمي ؛ إذ لا قدرة لأحد على تصريف القلوب ، وإمالتها عن شئ إلا الله الواحد الفرد القوى القادر اللطيف الصنع ، الذى عجز عن كنه لطائفه أهل الغموض في العلم [4] ؛ وأهل التدقيق من أهل النظر ، وتاهت العقول والأوهام عن إدراك ذلك ، وثبتت به الوحدانية ووجبت به على الخلق الطاعة .

فإذا كانَ موصوف آخر غيره تجب له هذه الصفة الشريفة الكريمة العظيمة فما الفرق بينهما !.. بينوه لنا إن كنتم صادقين !..

* * *

**احتجوا بقوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ [5] .**

فإن قال قائل : قد قال الله ، عز وجل ، فى كتابه ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [5] فقد أخبرنا بهذه فلا حجة لكم فيها .

* * *

**الرد عليهم فى احتجاجهم :**

قلنا رادين عليه ، لجهله ، وناقضين عليه خطاه ، ومحتجين عليه بما يقطع – بعون الله– على أداء الصواب ، والقول بالحق : إنما عنى [6] الله ، عز وجل ، بهذه الآية –

---

(١) سورة ق : آية ١٦ .

(٢) فى الأصل : الهوا .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

(٤) لا أدرى ماذا يقصد بهذه العبارة .. غيرانه ربما قصد علماء الطبيعة والرياضيات ..أو قريباً من هذا .

(٥) سورة الناس الآيات ٤ – ٦ .

(٦) فى الأصل : عنا .

التي ذكرت – ما يتصور في قلوب بني آدم وفي صدورهم وماتجريه الخواص في الصدور [1] ، من ذكرها للجنة والناس في الصلاة وفي غير الصلاة ؛ إن ذلك امر غير مجهول لما تجده يوسوس في صدرك من ذكر الجنة والناس ؛ ولا موسوس وسوسك ولامكلم كلمك ولا احسست احداً مازج قلبك .

* * *

## هل هناك وسوسة من الأصل؟!

والدليل على صدق قولنا ، وثبوت حجتنا انك – إذا كنت تصلي ثم خطر في صدرك خاطر – أن احداً من الناس لا يكلمك في صلاتك ؛ إذ قد علم الناس أن ذلك شئ لا يجوز ؛ فاحد لا يكلم احداً في الصلاة ، ولا يوسوسهُ ولا يساره إذا هو يصلي؛ بإجماع الخلق معنا على هذا القول !..

فإن وسواس الإنسان – الذي ذكره الله ، عز وجل ، حيث قال : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾ [2] .

فاخبرونا الآن كيف وسواس الناسُ للناسِ في الصلاة إن كنتم صادقين؟!.. فلا سبيل لكم إلى ذلك ابداً .

فإن قالوا : هو صياح من يصيح بي ، وكلام من يكلمني .

قلنا له : ليس ذلك يعني ، إنما يعني وسوسة دقيقة لطيفة ، كما ادعيتم ؛ لإبليس؛ ١٣٩و/ فاما اصواتُ بني آدم ، وشغلُهم للمصلي فهو كثير غير قليل . فبطل ما ادعيتم في وسوسة بني آدم لصاحبه في الصلاة وحدها .

* * *

---

( ١ ) إنه يشير إلى الخواطر والتي قسمها الغزالي إلى دواعي خير وشر .. وسماها إلهامات ووساوس .. والداعي إلى الأولى الملك ، وإلى الثانية الشيطان .

( ٢ ) سورة الناس آية ٦

يعني لا يخرج عن كونه حديث النفس وترددها بين خواطرها المختلفة ؛ ومن هذه الخواطر ما هو خير وما هو شر ؛ تنشأ من انشغال الإنسان بالدنيا وما يتنازعه فيها من رغبات وأهواء وأماني .

لهذه الآية تأويل لم يدركه الجبرة :

ووجب ان له تأويلاً لم تعرفوه [1]، وكذلك يلزمكم في وسواس الجن للناس ؛ انه لا يعقل إلا بإدراك الحواس الخمس [2] ، وقد صح ان الحواس لا تدرك إلا ما كان محسوساً [3] ؛ ولذلك سميت الحواس لحسّها الأشياء كلها [4] وإدراكها لها كلها ؛ ولذلك لزمها التاديب والأمر والنهي والثواب والعقاب .

* * *

**أثر الإدراك الحسي في المعرفة :**

فاما ما لا تدركه الحواس فلا حجة عليها فيه لله الواحد ، الذى لا يدرك بالحواس ؛ وبذلك وجبت له الوحدانية ، واستحق الربوبية ، إذ لا يدرك بالحواس ولا تدركه الحواس ولا يقاس بالناس .

* * *

**إدراك التكليف شرط من شروط قبوله :**

فإن كان ثم شئ نهينا عنه وحُذّرنا عن مواقعته ، وهو شئ لا تدركه الحواس ، فهذا تكليف ما لا يطاق ولا يعرف ولا يمكن الحذر منه ، لغموضه فإنه لا يدرك ابداً؛ فهذا ما لا يجوز على الله ، عز وجل ، في حكمته وحسن فعله وعدله ، البعيد

---

(١) اى لهذا الوسواس الخناس .

(٢) في بيان ان الحواس خمس اواكثر انظر الاشعرى : مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ٣٠ .

(٣) في بيان ان الحواس لا تدرك إلا ماكان محسوساً ، انظر راى علماء الاصول وخلافهم حول هذه المسألة .
الاشعرى : المقالات ؛ ٢ / ٥٩ .

(٤) في بيان معنى الإدراك انظر الجرجاني : «التعريفات» ، ص ٢٥ حيث يقول : **الإدراك** : هو الإحاطة بالشئ بكماله . وهو حصول الصورة عند النفس الناطقة ؛ وتمثيل حقيقة الشئ وحده ، من غير حكم عليه بنفي او إثبات ، ويسمى تصوراً؛ ومع الحكم باحدهما يسمى تصديقاً
اماكيف يحدث الإدراك الكلي في الحس المشترك ، فيقول عنه الآمدى في كتابه «المبين» ، ص ١٠٥ : **وأما الحس المشترك؛ ويسمى فنطاسيا** : فعبارة عن قوة مرتبة في مقدم التجويف الاول من الدماغ ، من شانها إدراك ما يتادى إليها من الصور المنطبعة في الحواس الظاهرة

عن الجور والظلم أن يحذر العباد عن أمرٍ لا يقفون له على كنه ولا يقفون له على صفة [1].

* * *

**العوام لا يدركون تأويل المتشابه:**

ولا يجوز أن يكون بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار ، الذى ليس كمثله شئ وهو السميع العليم ؛ وفى القرآن (الكريم) [2] آيات متشابهات لها تأويل لا يعقله العوام ولا الغباة من الأنام [3]؛ ولها أيضا معاني دقيقة في لغة العرب تعرفها العرب في كلامها، ويجوز في خطابها ، لما خاطبها رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، عن الله عز وجل ثناؤه ؛ بلسانها العربى المبين ؛ الذى لا عوج فيه ولاعماية في نسقه ، ولا خفاء عنهم في تصريفه ؛ ولذلك لزمتهم به الحجة ؛ إذ هو عربى لا يخفى عليهم منه حرفٌ واحد فما فوقه ؛ لأنه عربى مبين ، كما قال الله ، عز وجل .

* * *

**الوسواس هو ما يخطر على قلب الآدمى من ذكره الجنة والناس:**

فمن الشواهد على ما قلنا : أن الوسواس إنما يعنى به ما يخطر على قلب الآدمى [4] من

---

(١) هل يكلف الله عباده ما لا يطاق .. أو يجوز فى حقه ذلك ؟
اختلف القائلون بالعدل والتوحيد مع التيار الجبرى ، الذى يمثله جهم بن صفوان والأشعرى من بعد ، وغيرهما من الطوائف الإسلامية - والفرق بينهم فى الدرجة وليس فى النوع - فى هذه المسألة .. انظر الإيجى : المواقف ؛ ص ٣٢٠، والأشعرى : اللمع ؛ ص ١٠٧ وما بعدها ، والقاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ٣٩٧ .

(٢) زيادة ليست فى الأصل .

(٣) انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ٢ / ١٠٣ .

(٤) فى بيان موقف المسلمين من الخواطر .. ومعنى الوسواس .. وكيف يوسوس الشيطان لبنى آدم .. وكيف اختلفوا فى ذلك ، انظر الأشعرى : مقالات الإسلاميين ؛ ٢ / ١٠١ ، ١٣٤ ... أما الخاطر فى المصطلح ، فقد ذكره الجرجانى فى التعريفات، ص ١٠٧ .. فقال : الخاطر : مايرد على القلب من الخطاب ، أو الوارد الذى لا عمل للعبد فيه ، وماكان خطاباً فهو أربعة أقسام :-

١- ربانـى : وهو أول الخواطر ، وهو لا يخطئ أبداً ، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع .

٢- وملكـى : وهو الباعث على مندوب أو مفروض ، ويسمى إلهاماً .

٣- ونفسانى : وهو ما فيه حظ النفس ، ويسمى هاجساً ؛ وشيطانى ، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق ، قال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٦٨ .

وهكذا نجد الجرجانى ، فى القرن التاسع الهجرى ، لا ينسب للشيطان فعلاً فى الإنسان ، لقد كان المسلمون دائماً على وعى .. لولا غلبة الخرافة على جهالهم .

ذكره الجنة والناس ، لا أنهم يوسوسنه فى صلاته ، فأما غير الصلاة فإن شياطين بنى آدم توسوس إخوانها بكل شئ مما تأمرها به ، وتشير عليها من القتل والزنا والسرقة والشرب للخمر وجميع المعاصى .

* * *

**شياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض ، وكذلك شياطين الجن :**

والدليل على ذلك قوله : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [1] فشياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض ، لا الجن توحى إلى الإنس ، ولا الإنس إلى الجن ؛ لأنا لم نجد ذلك قط .

وأما قوله – عز وجل : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [2] فإنهم يقولون : لو شاء لحال بينهم وبين تلك المعاصى التى يوحى بها بعضهم إلى بعض ؛ حتى لا يقدروا على فعلها ؛ ولكنهم مخيرون غير مجبورين فافهم هذا الباب ، إن شاء الله [3].

* * *

**أثر اللغة ومعانيها فى فهم القرآن الكريم :**

١٣٩ظ / رجع الكلام إلى تفسير الشواهد على قوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[4].

**(١) الشاهد الأول :**

فمن ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ [5] ، ثم قال فى ثمود ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [6] ، فأخبر عز وجل ؛ أن عاداً أهلكت بالريح الصرصر [7] ، وأن ثموداً أهلكت بالرجفة [8] ، ثم قال ، بعد

---

( ١ ) ، ( ٢ ) سورة الأنعام آية ١١٢ .

( ٣ ) اختلف المسلمون هل يخبر الجن الناس بشئ أو يخدمونهم ؟ . . انظر الأشعرى : المقالات ، ٢ / ١١٠ .

( ٤ ) سورة الناس آية ٦ .

( ٥ ) سورة الحاقة آية ٦ .

( ٦ ) سورة الأعراف آية ٧٨ . . وكذلك الآية ٩١ من السورة نفسها .

( ٧ ) الريح الصرصر : شديدة البرودة .

( ٨ ) الرجفة : الزلزلة الشديدة يقال رجفت الأرض : أى اضطربت وزلزلت .

ذلك في سورة حم السجدة [١] : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [٢] !.

فجاء – ها هنا – أن الفريقين إنما هلكا جميعاً بالصاعقة بعد ما قال ما قال أنهما هلكا بالريح والرجفة !..

هذا من عجائب العربية ؛ لأن الريح عند العرب الصاعقة [٣] وكل عذاب هو عندهم صاعقة ؛ لا يشكون في ذلك ؛ لما بعوا في كلامهم وخطابهم ، والدليل على ذلك أن الصعق القيسي كان يقرى أضيافاً له ، واشتدت عليه الريح مآذنة فدعا عليها ، فسلطها الله ، عز وجل ، عليه فاهكلته فمات منها ؛ ولذلك لا يعرف هو ولا ابنه في قيس إلا بعمر بن الصعق .

قال الشاعر :

وإنَّ خويلداً فابكي عليه ... قتيلُ الريحِ في البلد التِهامي

فسمّوه « الصعق » ورثَوْهُ بأنه قتيل الريح ، وأن الصعقَ عندهمْ – هو الريح ، فافهم هذا الباب ؛ إن شاء الله .

**(٢) الشاهد الثاني :**

وشاهد آخر قوله ، عز وجل : ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [٤] والكفار لم يكونوا قط في النور فيخرجوا منه ، وإنماهم في الظلمة والعمى [٥] أبداً ؛ وإنما المعنى فيه أن من مال عن الحق فهو خارج من النور [٦] .

---

(١) يقصد سورة فصلت ، وهو أحد أسمائها .

(٢) سورة فصلت : آية ١٣ .

(٣) الصاعقة : العذاب المهلك . قال تعالى : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ سورة الرعد / ١٣ .
والصاعقة كذلك : جسمٌ ناري مشتعل يسقط من السماء في رعدٍ شديد .

(٤) سورة الأحزاب آية ٤٣ ، وكذلك سورة الحديد آية ٩ .. وقد وردت في الأصل هكذا ﴿ لتخرجهم .. ﴾ وهو خطأ بيّنٌ.

(٥) في الأصل : العما .

(٦) يبدو أن المؤلف يقصد قوله تعالى : سورة البقرة آية ٢٥٧ .. لأن كلامه لا ينطبق إلا على هذ الآية .. وهو ما يؤكد أنه كان يقصدها ، ولكن سبقه قلمه بذكر آية أخرى . وفيها يقول الزمخشري : ( يخرجونهم ) من نور البيّنات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة . الكشاف ، ١ / ٣٠٤ .. وهو ما لا يفعله إلا شياطين الإنس .

(٣) الشاهد الثالث : (المقلوب فى اللغة) :

وقال الله ، عز وجل ، فى صفة النار - نار الآخرة - ﴿ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [1] وأعلمنا أنه لا يفتر [2] عنهم ؛ والذى لا يفتر هو الدائم غير المنقطع، ثم قال : ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴿٩٧﴾ ﴾ [3] فأعلمنا - ها هنا - أنها تخبو ، و«الخبو» فى لغة العرب ، التى يتجمد لهبها القوى ، ويعود إلى الجمود والسكون واللين بعد الشدة والحركة العظيمة [4] .

قال الشاعر :

يسطعُ الضربُ بينهم لم يخبو ... كاخباءِ المقَطَّعِ الأطناب .

وهذا يوجب الاختلاف ؛ وقد قال الله ، عز وجل ؛ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً ﴿٨٢﴾ ﴾ [5] .

وإنما المعنى فيه وهو باب تسمية العرب المقلوب فى اللغة [*] ، وكذلك تسمية المقلوب فى لغاتها وأشعارها .

وإنما المعنى فيه أن النار كلما أحرقت جلودهم أعادها الله ، عز وجل ، على ما ١٤٠و/ كانت عليه تأكلهم ، حتى يحترقوا ، ثم يعادوا ويبدأوا ، وذلك قوله ، عز وجل : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [6] فقال - عز وجل- : كلما خبت زدناهم سعيراً ؛ يعنى بالخبو ، خبو ما يحرق لا خبوها هى . وهذا الباب تسميه العلماء المقلوب فى القرآن . وكذلك تسمية العرب فى لغاتها وأشعارها .

قال الشاعر فى نحو ذلك :

حتى لحقناهم تعدوا فوارسنا ... كأننا زغن قف نرفع الآلا [7]

---

(١) سورة الزخرف آية ٧٥ .. والمبلس : الذى يأس من تخفيف العذاب ، من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس .
(٢) لا يفتر : اى لا يخفف عنهم العذاب ولا يسكن .
(٣) سورة الإسراء : آية ٩٧ .
(٤) انظر المعجم الوسيط ؛ مادة «خبو» ؛ ١ / ٢١٦ .
(٥) سورة النساء آية ٨٢ .
(*) انظر ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، باب المقلوب ، ص ١٨٥و وما بعدها .
(٦) سورة النساء آية ٥٦ .
(٧) البيت فى الأمالى ؛ ٢ / ٢٨٨ ، وهو من بحر البسيط..

فقال : نرفع الآل ، والآل [1] : السَّراب في لغة العرب ، يريد أن الآل يرفع القف ، والقف : هضبة من الهضاب ، فيصير الآل يرفع المرفوع وهو الرافع .

وقال آخر :

ونركب خيلاً بعد خيل قواصداً .. وتعدوا الرماح بالضياطرة [2] الحمرِ .

فصَيَّر الرماح تعدوا بالرجال ، والرجال هم الذين يعدون بها .

وفي ذلك يقول الله ، عز وجل ؛ ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [3] والعصبية [4] هي التي تنوء بالمفاتيح . فافهم هذا الباب ، إن شاء الله .

وقد قال الله ، عز وجل : ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [5] والعجل منه هو ؛ وهذا حجة عليك في قولكم : يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ، ألا ترى قوله : ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [6] والعجل منه هو !!.

ومن الشواهد على تصريف اللغة العربية ، قوله ، عز وجل : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [7] والليل والنهار لا مكر لهما ، وإنما عنى [8] ، عز وجل ، مكر الكفار [9] بالليل والنهار ، فجاز ذلك في اللغة ، كما تقول العرب : أكل الليل يضرُّني .

---

(١) انظر المعجم الوسيط ، ١/٢٤ ، ٢٥ .

(٢) أي الفرسان العظيمة الضخمة المهابة .. والضوطر : الضخم الأغناء عنده .. وقد نسبه المبرد في «الكامل» لخداش بن زهير ١/٢٧٤ ، وكذلك ابن منظور في «اللسان» ٦/١٦٠ ورواه هكذا : «وتشقى الرماح» .. وفي قصيدته التي رواها في «جمهرة أشعار العرب» ، ص ١٠٨ .

وقال ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» .. «ومن المقلوب ما قلب على الغلط» وذكره ، ثم قال : أي «تعصى الضياطرة بالرماح» وهذا ما لا يقع فيه التأويل لأن الرماح لا تعصي بالضياطرة ، وإنما يعصي الرجال بها ، أي يطعنون ؛ ص ١٩٨ . كما جاء في اللسان : «ويجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم ، أي أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القلب ، أي تشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، يعني أنهم يقتلون بها» .. وهو من بحر الطويل .

(٤) سورة القصص آية ٧٦ .

(٥) العصبة : الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير ، والجمع عُصَب .

(٦) سورة الأنبياء : آية ٣٧ .

(٧) سورة سبأ آية ٣٣ .

(٨) في الأصل : عنا .

(٩) ذكر ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» باباً عن الحذف والاختصار قال فيه : «ومن ذلك أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له ، فذكر هذه الآية ومما ذكره قوله تعالى ﴿واسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف ٨٢ – أي سل أهلها ، وقوله ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ البقرة ٩٣ – أي حبه ، و ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ البقرة ١٩٧ – أي وقت الحج – وغيرها في القرآن كثير ، انظر ص ٢١٠ وما بعدها ، بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر ، وقارن بهامشه ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ من «الصناعتين» للعالم البلاغي الكبير أبي هلال العسكري .

وهو لا يأكل الليل ، وإنما يريد : أكلى بالليل يضرنى .

قال الشاعر يمدح هوذة بن على الحنفى [1] :

خيلك فى الصيف فى نعمة  تصان الجلال وتعطى الشعيرا[2]

وإنما يريد تصان بالجلال ، فصيَّر الجلال المصونة .

وقالت خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية [3] تصف ناقة بطلت [4] ولدها :

ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت  فإنما هى إقبال وإدبار [5]

تعنى أنها مقبله ومدبرة، لا أن فى صورتها إقبال وإدبار ، وهذا من عجائب العربية، التى صرفوها إلى عقولهم واتباع أهوائهم هذا ، وإنما جرينا هذا الاحتجاج فى اللغة العربية وكيف تصريف معانيها فى القرآن ؛ ليعلم جميع من [6] خالفنا فى إبليس وفى الجن أن ذلك كله له معنى يجرى فى اللغة العربية ، ويصرفها التأويل إلى ١٤٠ظ/ معنى[7] غير الذى ظنوا ، ولكن لا معرفة للقوم بمعانى القرآن ، ولا معانى

---

( ١ ) هوذة بن على بن ثمامة بن عمرو الحنفى ، من بنى حنيفة . من بكربن وائل ، توفى سنة ٨ هـ / ٦٣٠ م : صاحب اليمامة ( بنجد ) وشاعر بنى حنيفة وخطيبها قبل الإسلام وفى العهد النبوى .

وفيه يقول الاعشى ( ميمون ) قصيدته التى أولها : «بانت سعاد وامسى حبلها انقطعا» ومنها «من يلق هوذة يسجد غير متئب» دعاه الرسول ، ﷺ ، للإسلام .. فاشترط ان يشارك النبى فى أمره ، فلم يجبه ، فأبى .. ومات بعدها بقليل .

( ٢ ) البيت لاعشى بكر .. انظر ديوانه .. وكذلك فى الأمالى ؛ لأبى على القالى ؛ ١ / ٧٥ .

( ٣ ) هى تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، الرياحية السُّلمية . من بنى سُليم ، من قيس عيلان . من مضر ؛ توفيت سنة ٢٤ هـ / ٦٤٥م: أشهر شواعر العرب . وأشعرهن على الإطلاق . من أهل نجد ، عاشت أكثر عمرها فى العهد الجاهلى . وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله ، ﷺ ، مع قومها من بنى سليم فكان رسول الله ، ﷺ ، يستنشدها ويعجبه شعرها ، فكانت تنشد ، وهو يقول : هيه ياخنساء ! .. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها ( صخر ومعاوية ) وكانا قد قتلا فى الجاهلية . لها ديوان شعر مطبوع ، فيه ما بقى محفوظاً من شعرها . وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً . فقالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ! ..

انظر ترجمتها بالأعلام للزركلى ؛ ٢ / ٨٦ .. وبهامشه ما يلى : «شرح الشواهد ٨٩ – ومعاهد ١ / ٣٤٨ – والشعر والشعراء ١٢٣ – والدر المنثور ١٠٩ – والشريشى؛ ٢ / ٢٣٣ – وفى أعلام النساء ١ / ٣٠٥ طائفة من أخبارها ، وحسن المحاضرة ، ص ٩٤ – وخزانة الأدب للبغدادى ١ / ٢٠٨ – وجمهرة الأنساب ؛ ص ٢٤٩ – وفى القاموس : ويقال لها خناس – كغراب – أيضاً .

( ٤ ) أى فقدت ولدها .

( ٥ ) البيت فى ديوانها ، ص ١١٢ .

( ٦ ) فى الأصل ما .

( ٧ ) فى الأصل ' معنا .

اللغة العربية التى خاطب الله ، عز وجل ، اهلها بكتابه المبين وجعله حجة عليهم إلى يوم الدين .

**الهوى إله الكافرين .. وهو أعظم من إبليس :**

الا ترى إلى قوله ، عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ [1] وإلا لهُ عنده أعظم من إبليس ، افلا ترى أن الكافر جعل إلاهه هواه ، وكذلك يكون إبليسه هواه ، إذ اثبتنا فى كتابنا هذا الحجة الواضحة ان إبليس لم يغونا بشئ وقعت عليه حواسنا ، وإنما كان إبليس عدواً لأبينا آدم ، صلى الله عليه ، وكل معصية من بنى آدم منسوبة إلى تلك المعصية .

الا تسمع إلي قوله ، عز وجل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾ [2] ؛ فنحن نقول الآن ، لمن خالفنا : اخبرنا كيف يفتننا الشيطان إذ لانواجهه ولا نراه ولا نكلمه ولا يرسل إلينا ولا يكاتبنا ولا يقدر على قلوبنا ، لضعفه وذلته وعظيم عجزه [3] ؟!

وانا قد أوجبنا عليكم انكم اثبتم له أنه يقدر على القلوب ويوسوسها بلطيفة لا نعلمها ، لزمكم أنه لا فرق بينه وبين ربكم ، الذى لا يعجزه شئ ، وانكم إن قلتم : إنه اقدره على ذلك . وجب ظلمه لعباده وعذابه لهم على امر اقدر عدوهم على فعله من حيث لا يعلمون ولا يقدرون على الحذر منه ! . .

وهذا خارج من العدل والرشد والرحمة وإرادة العسر لا اليسر ، لا مخرج لكم من هذا الباب [4] .

* * *

---

( ١ ) سورة الجاثية آية ٢٣ .

( ٢ ) سورة الاعراف آية ٢٧ .

( ٣ ) يقصد الإمام احمد ان الذرية تفعل فعل ابيها حيث اتبع هواه ، حين سمع كلام الشيطان وترك كلام ربه – غافلاً وناسياً .. فالآية لا تفعلوا كفعله ولا تعصوا كما عصى ،واحذروا الهوى فهو شيطانكم ، حيث لا شيطان لكم غيره يضلكم ، وهو تفسير لطيف للآية بعيداً عن التصور الجبرى لها .

( ٤ ) اختلف الإسلاميون حول كيفية وسوسة إبليس لبنى آدم على ثلاثة مذاهب .. انظرها فى مقالات الإسلاميين، للاشعرى؛ ٢ / ١٠٩ ، اما موقفهم من قضية هل يعلم الشيطان ما فى القلوب ، فقد اختلفوا فيها على ثلاثة مذاهب كذلك؛ ٢ / ١١٠ .

**الإنسان له استطاعة :**

**فإن قال قائل** : فقد أراه أقدر بعضاً على قتل !

**قلنا له** : إنما جعل فينا استطاعة [1] ، وحرم دمانا علينا ، ونحن نرى من يريد لنا ضرراً ، ونقدر أن نتقيه ونحذر منه ، وهذا الذى وصفتم لا يقدر أحد أن يحذره ، وهذا يخرج من العدل والحكمة .

وإنما إبليس ، الذى جرت عليه المخاطبة فى جميع الآيات التى اعتلوا بها لا تخرُج على شئ من جميع الأشياء إلا على الهوى المتبع والميل عن [2] الحق والاقتداء فى فعله، فسمى ذلك كله لإبليس طاعةً وفعلاً له ؛ إذ الهوى صار إلى مراده وفى طاعته فنسب ذلك إلى إبليس ، فاعلم ذلك وقف عليه بأحسن الفكرة ، إن شاء الله .

* * *

**كيف يرانا إبليس وذريته .. وما أثر ذلك علينا :**

وأما قوله : عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [3] فهذا هو الصحيح من القول ، قد جعل الله ، عز وجل ، له ولقبيله أنهم يروننا من حيث لانراهم ، إذ هم فى الهواء [4] والملائكة فى السماء ، ونحن فى الأرض فى الدنيا ، وليس لهم علينا مقدرة ولا كرامة لهم .

* * *

**لمَ صرف المجبرة كلامهم إلى شياطين الجن دون الإنس ؟!**

ومن جهل مخالفينا وعمى [5] قلوبهم أن الله ، عز وجل ، ذكر شياطين الجن والإنس فى كتابه ، فجعلوا جميع (همهم) [6] وحجتهم ومخالفتهم واحتجاجهم ١٤١و / علينا فى شياطين الجن وحدهم ، ولم يذكروا ولم يحتجوا بشياطين الإنس – وهم أضرُّ وأشد بلاء وبأساً وعلواً وإهلاكاً من شياطين الجن !! ..

---

(١) الاستطاعة هنا بمعنى قوة وإرادة وقدرة ورغبة فى الفعل أو عدمه ..

(٢) فى الأصل : من .

(٣) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٤) فى الأصل : الهوى .

(٥) فى الأصل : عما .

(٦) فى الأصل بياض

### شياطين الإنس أقدر علينا من غيرهم :

أفلا جعلوا بعض هذا الإغواء والضلال والفساد منسوباً إلى شياطين الإنس !.. كأنهم لم يسمعوا الله ، عز وجل ، إذ يقول : ﴿ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (١) وهم شياطين الإنس خاصة (٢) .

* * *

### من شيطانك أيها الإنسان ؟!

ولأنهم لا يرون شياطين الجن ، بشاهدة القرآن أن شياطين الإنسان نفسُه وظلمه وهواه المتبع وعدوُّه من شياطين الإنس ، واقتداؤه بإبليس ، وإنما يسمعون ذكر الشيطان في القرآن ، وما أخبرنا الله ، عز وجل ، عنه ، وله تأويل غير ما ظنوا تعرفه العلماء ، ولا يشك فيه البصراء .

* * *

### المثل في القرآن الكريم .. للتفهيم والتقريب :

١- ألا تسمع إلى قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾(٣) والسموات والأرض والجبال فإنما هي أجسام جمادية لا سمع فيها ولا بصر ولا عقل ولا شفقة ولا طاعة ولا معصية ؛ وإنما مثل ضربه الله ، عز وجل ، للناس يريد به ، أنها لو كانت تعقل - كما يعقلون - وتفهم - كما يفهمون - لما حملت الأمانة ، كما حملتموها ولأشفقن منها (٤) .

---

( ١ ) سورة البقرة آية ١٤ .

( ٢ ) جاء في تفسير ابن كثير أن هؤلاء الشياطين هم رؤساؤهم وكبراؤهم وزعماؤهم في الكفر والشرك وقادتهم كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن أبي الصلت ، وكذلك اليهود الذين كانوا ينصرفون إليهم فيشيرون إليهم بعداء ، محمد ﷺ ، ومحاربته ، والمنافقون الذين يجتمعون في الخفاء للكيد مع اليهود للإسلام ونبيه ، وقد كان ﷺ يتعوذ من شياطين الإنس والجن . ١ / ٥٥ ، ويقول الزمخشري : مائلوا الشياطين فصاروا مثلهم ١ / ٦٥ .

( ٣ ) سورة الأحزاب آية ٧٢ .

( ٤ ) قارن ما ذكره الإمام هنا بما ذكره الطبري في تفسيره ، ٢٢ / ٣٨ - ٤٢ - فسيتضح لك فرقاً كبيراً في التفسير والتأويل وفيه دلالة على وعي هذا الإمام ومن جاء على نهجه ، من أصحاب التفسير البياني للقرآن الكريم ، كالقاضي عبد القاهر الجرجاني والزمخشري وغيرهما .

٢- وقول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [١] فنقول لمن خالفنا : أخبرونا متى خاطبها الله اقبل ان يكونا او بعد ماكانتا ؟!

**فإن قالوا** : قبل ان يكونا .

**قلنا لهم** : فكيف يخاطب الله ، عز وجل ، شيئا لم يكوّن ولم يخلق ؟!

**وإن قالوا** : خاطبهما بعدما كانتا .

**قلنا لهم** : فكيف يخاطب الله ، سبحانه ؛ شيئاً قد كان وخلقه !.. **فيقول له** : « ائت وكن » . وقد جاء وفرغ ؟!

فلا يجدون حجة يدفعونا بها .

وإنما هذا على معنى ان الله ، عز وجل ، خلقهما [٢] وحيث أرادهما ، فجاءتا كما اراد ، وليس ثَمَّ كلفة ولا اضطرار ولا قول « كن » لأنه الغنى لا يحتاج إلى شئ واحد من جميع الأشياء كلها ، ولو احتاج لشيءٍ واحدٍ لاغيره بطل قوله : ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [٣] ؛ لأنه غنى عن عباده على الحقيقة لا على المجاز .

* * *

**قاعدة فى منهج الفهم :**

وإنما هذه الأمثال والمعانى تحتاج إلى التأويل وطاعة العلماء والمستخلفين من أهل بيت النبوة ، عليهم السلام ، وقد قال ، عز وجل ؛ ﴿ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٤] .

١٤١ظ / فاعلمك (الله) ، عز وجل ، انه لا يعقلها [٥] إلا اهل العلم ، ولا علم لمن جهل معدن الحق وقدر النبوة وخيرة الأمة .

---

(١) سورة فصلت آية ١١ .

(٢) اى إنه تصوير ومجرد ضرب مثل لانفعالهما بالقدرة الإلهية ؛ ومجاز لا يؤخذ ابداً على حقيقته كما فعل بعض المشبهة والكرامية حيث يرون ان اضراب هذه الآية لا مجاز فيها ، انظر ابن قتيبه : مشكل القرآن ؛ ص ١٠٦ ، ١١٢ .

(٣) سورة لقمان : آية ٢٦ .. وهى جزء من آيات كثيرة .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

(٥) العقل هنا بمعنى الإدراك .. عقل عقلاً : ادرك الأشياء على حقيقتها ، والعاقل : المدرك ، والعقل : ما يقابل الغريزة التى لا اختيار لها . ومنه : الإنسان حيوان عاقل .

وقوله – عز وجل : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [1] ؛ ومما عظموا به شأن إبليس – عليه لعنة الله – ورفعوا به خطره وساروا بينه وبين الله ، جل الله عما قالوا وعلا علواً كبيراً .

* * *

### الحشوية وروايات كاذبة :

١– من ذلك ما روته الحشوية [2] المبطلة ان إبليس – فيما زعموا – قال : «ما حمل بمحمول قط إلا وأنا أعلم متى حمل به ، ولا يولد مولود الا وأنا أعلم به إذا ولد ؛ إلا عيسى بن مريم فإني لم أعلم به حين ولد» [3] .

وهذا القول كفرٌ بالله العظيم ؛ ورد لكتابه صراحاً والمساواة بين إطلاع الله ، عز وجل ، على علم الغيوب ، وبين اطلاع ابليس علي علم الغيوب لا فرق بين ذلك عندهم !

وفي قولهم نزل قول الله ، عز وجل : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [4] .

---

( ١ ) سورة النساء آية ٨٣ .

( ٢ ) الحشوية : قوم تمسكوا بالظواهر ، فذهبوا إلى التجسيم وغيره ، واجروا تفسير القرآن على ظاهره ، وسموا بذلك لانهم كانوا في حلقة الحسن البصري ، فوجدهم يتكلمون كلاماً ، فقال : ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة ، فهم الحشوية بفتح الشين .

- وقيل : سموا بذلك ، لان منهم المجسمة ، او هم أنفسهم المجسمة ، والجسم حشو ، وعلى هذا جاء قياس الحشوية نسبة إلى الحشو .
- وقيل : المراد بالحشوية طائفة – لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها ، بل يؤمنون بما أراده الله ، مع جزمهم بان الظاهر غير مراد ، ويفوضون التأويل إلى الله ، وعلى هذا فإن إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن .
- وقيل : الحشوية طائفة يجوزون ان يخاطبنا الله بالمهمل ، ويطلقون الحشو على الدين ، فإن الدين يتلقى من الكتاب والسنة ، وهما حشو اى واسطة بين الله ورسوله وبين الناس .

( ٣ ) روى عبد الرزاق بسنده عن ابي هريرة ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «ما من مولود يولد إلا مَسَّه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخاً من مسه إياه ؛ إلا مريم وابنها» . ثم يقول ابو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة آل عمران ٣٦ .. وروى ابن جرير نحوه عن ابي هريرة .. كماروى عنه ايضا ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة او عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم» .. وروى الليث ابن سعد بسنده عن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ : «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حيث تلده امه إلا عيسى بن مريم ذهب يطعن ؛ فطعن بالحجاب» رواه البخاري – ومسلم ( انظر ابن كثير ١ / ٣٨٥ – ٣٨٩ ) . وانظر الدراسة فقد شرحناه وبينا المراد منه باستفاضه .

( ٤ ) سورة الجن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

**نقد المجبرة في إكذابهم رب العالمين :**

**فنقول لهم** : أخبرونا أيهما أصدق عندكم ، الذى رويتم عن إبليس فى قوله فى عيسى ، صلوات الله عليه ، وفى سائر الخلق ،الأنبياء من نوح إلى محمد ﷺ ، أنه علم بهم حيث حمل بهم ، وحيث ولدوا إلا عيسى عليه السلام ، أم قول الله ، عز وجل : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [1] .

وقوله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [2] .

وقوله : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ [3] .. وكذلك إبليس لا يحمل بمحمول ولا يولد بمولود فى بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل إلا وهو يعلمه ، ويطلع عليه - على قولكم - وفى مذهبكم الباطل المبطل !! ..

**فأخبرونى** : أيهما أصدق عندكم روايتكم أم كتاب ربكم ؟! فإن قلتم ؛ روايتكم أصدق عندكم من قول الله ، عز وجل ، كفرتم بإجماع الأمة وخرجتم من الإسلام .

**وإن قلتم** : إن القرآن أصدق من روايتكم . رجعتم عن قولكم وفلجناكم وكان الحق معنا ، لا معكم ، بأوضح دليل وأبين شاهد .

**وإن قلتم** : إن كلا منهما صادق ، وروايتنا والقرآن كله صادق لا كذب فيه .

**قلنا لكم** : كيف يكون المتضادان المتنافيان المتخالفان صادقين جميعاً ! .. إذن لا يصح حق من باطل ولا يعرف صواب من خطأ أبداً ؛ وهذا ما لا يكون ولا تقبله العقول .

* * *

**فى نقد هذه الرواية الكاذبة :**

**ثم نقول لهم** : متى أخبركم إبليس ، عليه لعنة الله ، بهذه الرواية التى رويتم عنه فى الأنبياء وفى العامة وفى عيسى ، عليه السلام ؛ ومن سمعه يقول هذا القول[4] ؟!

---

( ١ ) سورة النمل آية ٦٥ . ( ٢ ) سورة الجن آية ٢٦ .

( ٣ ) سورة الأنعام آية ٥٩ .

( ٤ ) جاء فى الأثر عن ابن عون عن محمد أنه قال : إن هذا العلم دين فلينظر الرجل عمن يأخذ دينه ؛ انظر الدارمى ؛ ١ / ١٢٤ . ، وقال ، ﷺ . « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . رواه مسلم .

**فإن قلتم** : سمعه الصدر الأول ، الذى يجب ان يكونوا بعد عيسى ، صلى الله عليه؛ ١٤٢و/ لأنه أخبركم - زعمتم انه لم يعلم متى حمل بعيسى ، عليه السلام ، ولا متى ولد، وهذا القول يوجب أنه أخبركم به بعد عيسى، عليه السلام، لا شك فيه.

**فنقول لكم** : كيف وجب إخباره لكم بهذا الخبر امواجهة بكلام منه ، إليكم كان؟!

**فإن قلتم** : مواجهة بكلام ،كذبكم قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1]

**وإن قلتم** ؛ سمعوه سماعاً بآذانهم .

لزمكم ان تصحوا هذه الرواية ؛ مَنْ سمعها ومن يشهد عليها ؟!.. حتى يلزمنا خبره وصحة حجته ، ولن تجدوا ذلك أبداً ؛ لأنه باطل ، وانه لم يدع أحد من أهل الإسلام والعلماء والعارفين انه سمع الجن سماعاً دون المعاينة إلا رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ؛ فإن الله ، عز وجلّ ، أخبر عنه انه قال فى كتابه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُنذِرِينَ (٢٩) ﴾[2] .

ولم يخبرنا - عز وجل - عن أحدٍ غيره أنه سمع الجن ولا رآهم .

**وإن قلتم** ؛ إن إبليس كتب إلى مشايخكم وفقهائكم كتاباً بهذا الخبر .

سألناكم عن الكتاب كيف كان ، ومن الرسول الذى وصل اليكم بكتاب إبليس ، ومن قرأه .. حتى أعلمكم بهذا الخبر فى عيسى ، عليه السلام ؟!.

**وإن كان قد [3] قذفه فى قلوبكم . قلنا لكم فما الفرق بين قذف الله ، عز وجل ؛ فى قلوب الأنبياء والملائكة** المبلغين عنه الوحى إلى من دونه ، وبين قذف إبليس ومقدرته على قلوبكم باللطيفة التى لا يقدر على مثلها إلا رب العالمين ؟!..

فهنالك تبين فضيحتكم ، ويبطل قولكم ، وتفلج حجتكم ، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٧ .

(٢) سورة الاحقاف آية ٢٩ .

(٣) زيادة ليست فى الأصل .

**هل إبليس مضطر فى وسوسته لبنى آدم ؟!**

وإن كان إبليس – على قود قولكم – مضطراً إلى القذف فى قلوب بنى آدم ، وهو مسلط عليهم وهم مضطرون أيضا إلى ذلك من إبليس ، **فقد وجب عذرهم وعذره** ، ولاجناح عليه ولا عليهم ، لقول الله ، عز وجل : ﴿ إلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [1] فالله ، عز وجل ، لا يؤاخذ من اضطر إلى شئ من جميع الأشياء !

**وإن قلتم** : إنه يؤاخذ المضطر .

خالفتم القرآن ؛ ومن يخالف القرآن كفر بإجماع الأمة ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

**هل لإبليس منقار كما تدعى المجبرة ؟!**

وقد ذكر عن بعض من نظر فى هذا الباب من أنه وصف إبليس **بأن له منقاراً طويلاً** دقيقاً ، يدخله فى اذن الآدمى فيوصله إلي قلبه فيوسوس بذلك المنقار!

* * *

**نقد هذا الكلام السخيف :**

وهذا أحول المحال إذ جعل الله الحواس الخمس له على خلقه ليحسها ؛ فإذا غاب عن الحواس – مما لا تدركه – لم يلزمها فيه حجةٌ ، وكل من دخل فى اذنه شعرة فلابد أن ١٤٢ظ/ يحسها ، ويعلم بها ؛ إذ الحواس لابد لها من أن تحس ماوقعت / عليه أو وقع عليها .

وأنتم تعلمونَ وتشهدونَ لنا ، أنَ هذا المنقار لا علم لكم به ، إذا دخل فى الأذنِ ولا إذا صار فى القلب !

**فإن قلتم** : إن الله أقدره على ذلك .

لزمه الجور ، وأن لا قوة لنا على من فعل بنا هذا ، وأن حجتنا عليه قائمة ؛ إذ كلفنا ما لا نطيق ؛ وقد نهانا أن لا نطيع إبليس ؛ فكيف ينهانا عن أمر قد الزمناه بعد ما قال : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] و ﴿ إلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [3] ؟!.. ولا يكون

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٩ . (٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ . (٣) سورة الطلاق آية ٧ .

الجور إلا مثل هذا الذى وصفتم به خالقكم ، عزّ عن ذلك وتقدس وعلا علواً كبيرا[1] .

***

**المجبرة تبطل الشرع والعقل معاً :**

وهذا ، الذى قلتم ، يبطل درك الحواس ومعرفتها بممازجها ، وهذا مكابرةٌ العقول، ومن كابر العقول وجب أن لا يخاطب ، وما خرج من المعقول وجب إكذابه ، وما وجب إكذابه لم يكن بدين ، وما لم يكن بدين فهو ضد للدين ، وما كان ضد للدين أورث النار ! . .

أسأل الله ، سبحانه ؛ النجاة من النار برحمته والسلامة من الخطأ في دينه ، والقول عليه بما يخالف كتابه المبين من الجبر والتشبيه وإكذاب الوعد والوعيد ، وإزالة الحق عن معدنه ، والاحتجاج في تقوية إبليس وجنوده ، والتسوية بينه وبين من ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2] .

***

(١) يعتقد المجبرة : ان الله يامر ولا يريد ان يؤتى امره . وينهى وهو يريد ان يؤتى نهيه !

(٢) الشورى آية ١١ .

## الحجة الثالثة

## الله لا يفعل الجور ولا يضل العباد ولا يصدهم عن الرشاد

ومن الحجة لنا فى إبطال مقدرة إبليس ، عليه لعنة الله ، على الخلائق وضعفه وعظيم عجزه ، أن الله ، عز وجل ، لا يفعل الجور ولا الفساد ولا يضل العباد ولا يصدهم عن الرشاد .

فإنه حذرنا عن إبليس ، فى غير موضع من القرآن ( الكريم ) [1] ، وأمرنا ان لا نفعل كفعله ، من ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [2] .

وأنتم – ايها المخالفون لنا – تشهدون وتعرفون أن احداً لم يعبد إبليس قط ، ولم يصم ولم يزك ( له ) [3] ولم يحج ؛ وإنما المعنى فى ذلك يخرج على لغة العرب المعروفة بينهم ، وأن تلك العبادة [4] هى طاعة إبليس فى اتباع هواه ، والميل عن الحق إلى مراده ورضاه ، فسمي ذلك عبادة ، كما تقول العرب : فلان يعبد فلاناً . يعنون انه يطيعه ويصير إلى أمره وقال الشاعر [5] :

بجيش تظل البلقُ فى حجراتهِ .. ترى الأكم فيه سُجَّداً للحوافر [6]

يعنى أن الأكم مطيعه لحوافر الخيل .

وقال الله ، عز وجل : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ [7] ، والداخل لا يكون ساجداً ، ١٤٣ط/ وإنما المعنى فيه ادخلوا الباب مطيعين [8] ؛ فجاز ذلك فى / لغة العرب .

* * *

( ١ ) زيادة ليست فى الأصل . ( ٢ ) سورة يس آية ٦٠ .

( ٣ ) زيادة ليست فى الأصل .

( ٤ ) العبادة تعنى الخضوع للإله على وجه العظيم ، والعبودية : انقياد وخضوع ودول واستسلام .

( ٥ ) هو زيد الخيل ؛ ١ / ٣٥٨ الكامل للمبرد .

( ٦ ) هذا البيت من بحر الطويل ، ومعناه أن حوافر الخيل قد اقتلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت . وانخفضت ، تأويل مشكل القرآن ، ص٤١٧ ، وقد روى ( . .تضل البلق ) فى اغلب كتب اللغة ، انظر الاغانى ١٦ / ٥٢ ، والاضداد ، ص٢٥٧ .

( ٧ ) سورة البقرة آية ٥٨ .

( ٨ ) فى صفوة التفاسير : سجداً : خضعاً متواضعين خاشعين ، شأن التائب من ذنوبه .

**من عدل الله خطاب الخلق بما يعقلون ويفهمون :**

وليس يجوز في عدل الله ، جل ثناؤه ، أن ينهى عن أمر لا يقدر أحد على دفعه عن نفسه ، ولا يجوز أن يحذرنا عن أمر لا نعقله ، ولا نقف على كيفيته ، ولا نهتدى إلى وصفه ، ولا ندرى حتى يقع بنا من ليل أو نهار ، لا فى سفر ولا فى حضر ولا فى بر ولا فى بحر ؛ لأن هذا ليس من صفة العادل الحكيم الرحيم المتفضل الحسن الفعل الذى لا يجور ولا يظلم .

* * *

**قصة من الإمام أحمد للتقريب والتفهيم :**

**ثم نقول لمن خالفنا :** هل يجوز لرجل من علمائكم وأهل دينكم وأهل الورع والنصفه والكف عن القبيح منكم ، أن يخرج برجل من إخوانه إلى رأس جبل مرتفع فى الهواء ، ثم يوقفه على حرف الجبل ويريه الهوى البعيد ، الذى لو زلت فيه الطير لكادت أن تعطب مثلاً !

**ثم يقول له :** احذر فلان أن تسقط من هذا الرأس الطويل إلى هذا القرار البعيد فتهلك ، وتقطع قطعة قطعة .

ثم يتحيل عليه ثم يدفره [1] ، فإذا هو فى أسفل الحضيض ، فما يسمى ذلك الرجل أعادل أم غيرها عادل ، أظالم أم غير ظالم ؟!

**فإن قلتم :** إنه غير ظالم ولا جائر.

خرجتم من حد من يكلم وكفانا جهلكم من مناظرتكم .

**وإن قلتم :** إنه جائر غير عادل ، وظالم غير منصف .

كان ذلك من الحق ، ولزمكم أن تنزهوا خالقكم العادل الحكيم البر الرحيم ، عن الأوصاف التى تليق بالجورة الظالمين.

* * *

---

(١) دفره : دفعه فى قفاه أو فى صدره .

**لا يعقل أن يحذرنا النار ويدس علينا إبليس لنقع فيها:**

ونقول لكم : فهل يجوز - عندكم - على قياس هذا الكلام - أن ينزّل ربكم العظيم الكريم العادل الحكيم على نبيه ، ﷺ[1] ، يحذرنا عن النار ، وعن عمل يقربنا إلى الخلود فيها أبد الآبد ، فيقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾[2] ، ثم يدسُّ عليهم إبليس وجنوده في خفاء ، فيأتونهم من المواضع التي لا يقدرون على الحذر منها ولا الاتقاء لوقوعها ، ولا يدرون ما ينجيهم من ليل أو نهار، فيدخلهم في الخطايا ويأمرهم بها ، ويقدرهم عليها وهو قادر عليهم ، لا حيلة لهم عن دفعه عن أنفسهم ، ولا الحذر عما حُذروا منه .

فهو عند ذلك ؛ إن صح هذا القول هو الذي دفرهم فيجهنم ، كما دفر ذلك الرجل العابد الصالح صاحبه من رأس الجبل إلى الأرض ؛ لا فرق بين ذلك بمقياس شعرة ، فميزوا ما قلنا ، وجانبوا الهوى ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، فإنه لا يجوز على الله، عز وجل ؛ أن ينهى عن أمر ، ثم يوقع فيه ، عز عن ذلك ربنا وتعالى الرؤوف الرحيم .

* * *

**النفس هي التي توسوس لا إبليس:**

قال الله، عز وجل: ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝ ﴾[3] ١٤٣ظ/ فتجد النفس هي التي توسوس لا إبليس ، وقال الله ، عز وجل ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾[4] فنجد نفس هذا طوعت له قتل أخيه لا إبليس .

- وقوله ، عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾[5] فنجد الأنفس هي الموسوسة .

- وقال ، عز وجل : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[6] فلمْ تحملوا بعض هذا القول

---

(١) زيادة ليست في الأصل .

(٢) سورة التحريم آية ٦ .. وقد جاءت في الأصل هكذا ﴿ اتقوا النار التي وقودها ﴾ وهو خطأ .

(٣) سورة ق آية ١٦ .

(٤) سورة المائدة آية ٣٠ .

(٥) سورة المجادلة آية ٨ .

(٦) سورة يوسف آية ٥٣ .

الذى وصف الله ، عز وجل ، عن النفس ، كما جعله ، بل جعلتم ذلك كله من فعل إبليس ، وخالفتم القرآن ؛ لأن الله ، عز وجل ، أخبرنا بعظيم قدرته على الأشياء والقوة الباهرة التى بان بها عن ما خلق ، فقال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑯ ﴾ [1] فزعموا أن إبليس يوسوس فى قلب الآدمى!

* * *

**من زعم قرب إبليس كقرب الله منا ساوى بينهما :**

فصار إبليس أقرب إليه من حبل الوريد أيضاً !.. فإذاً لا فرق بينه وبين الله ، عز وجل ، فى القوة القاهرة ، والقوة الباهرة .

فإذاً القوم يوجبون من التعظيم والتقويه والعز والسلطان ، لعدوهم إبليس الذليل الضعيف ، مثل ما أوجبوا لله ، عز وجل ، من عظيم القوة والسلطان !.. وهذا غاية ما يكون من الجهل والعمى [2] وقلة النصفة والذهاب عن طريق الحق ، الذى لا يساوى الله ، عز وجل ، فى قدرته وقوته ولطائف صنعه أحد من جميع خلقه ، حاش لله من ذلك وعزَّ الله وعلا علواً كبيراً .

* * *

---

(١) سورة ق آية ١٦ .

(٢) فى الأصل : العما .

## الحجة الرابعة

## قال السامرى : سولت لى نفسى

ومن الحجة عليهم أيضًا ، إخبار الله ، عز وجل ، عن السامرى إذ قال لموسى ، صلى الله عليه : ﴿كَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ [1] ولم يقل وسوس إبليس .

* * *

**وجوه تفسير، وشاركهم فى الأموال:**

وأما ما ذكر الله ، عز وجل ، فى قوله : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [2] ، فقد قالت العلماء فيه بوجهين :

**أحدهما** : أن هذا على طريق التهدد والتخويف ، مثل ما تقول العرب للرجل : اذهب اقتل فلانا . على طريق التهدد له ، لا أنهم أرادوا قتله !

ومثل قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، صلوات الله عليه ، حيث قال لطلحة والزبير : اذهبا اخرجاها . يعنى عائشة ؛ يريد بذلك التقريع لهما ، وهو لا يريد خروجهما بها تحاربه ، ولا أن تعصى الله ، عز وجل ، فى خروجها من منزل رسول الله ، ﷺ وعلى آله وسلم ، الذى أمرها ، عز وجل ، أن تقرَّ فيه [3] ، وإنما هذا على حد التوقيف والتقريع ، ومثله كثير فى اللغة [4] .

**والوجه الآخر** : أنهم إذا زنوا صارت أولادهم أولاد حرام ، وكل حرام مشارك لمعصية إبليس ، وكذلك إذا تعاملوا بالربا صاروا مشاركين لإبليس فى معصيته ، عز وجل .

---

(١) سورة طه آية ٩٦ . (٢) سورة الإسراء آية ٦٤ .

(٣) قال تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣ .

(٤) عقد ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » باباً سماه « باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه » من ص٢٧٥ - حتى ٢٩٨ ، ذكر فيه تسعة وعشرين نوعاً من هذه الألفاظ ، أما ما خرج به الإمام أحمد آية الإسراء / ٦٤ ، فقد ذكره ابن قتيبة فقال : « ومنه أن يأتى الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد ، كقوله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ سورة فصلت / ٤٠ » ص ٢٨٠ .

**إنـه الهوى:**

وأمـا قـولـه ، عـز وجل ، : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ ١٤٤و / إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) ﴾ [1] .

ولا يخـرج هذا عندنا إلا إنـه الهـوى [2] الذى زين لهم وأطغـاهـم وسـوَّل لـهـم وأرداهم ؛ لانه يلزمهم لنا أن إبليس لم يخرج إليهم مواجهة ، ولم يروه عياناً ؛ لقول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [3] فقد سقط هذا الوجه .

**والوجـه الآخـر** : أن ليس فى قوته ولا مقدرته أنه يوسوس فى صدورهم يوم بدر جميعاً ، وهم عسكر عظيم فى ساعة واحدة ؛ إذ ذلك أمر لا يقدر عليه إلا الله ، عز وجل ، القوى القادر ، هذا وجه قد سقط أيضا [4] وفسد .

**والوجه الثالـث** : أنه – أى إبليس – لم يرسل إليهم رسولاً يخاطبهم عن نفسه .

**والوجه الرابـع** : أنه لم يكتب إليهم كتاباً يقرؤنه .

فكيف لنا بتصديق من خالفنا ، ونحن نجده ساقط الحجة داحض المقالة نازحاً عن الحق ؛ لأنه لم تصح دعواه ، ولم يخرج – فى واحد من هذه الوجوه التى لا يعرف الناس وصول الاخبار إلا بها ، ولا تَدُلُّ نزل العقول إلا عليها .

* * *

**زعم المجبرة أن لإبليس استطاعة على قلوب بنى آدم :**

**فإن قال قائل** : إن الله ، عز وجل ، جعل له الاستطاعة على قلوب بنى آدم ، وجعل لهم الاستطاعة على دفعه عن أنفسهم .

---

( ١ ) سورة الأنفال آية ٤٨ .

( ٢ ) روى الدارمى فى سننه ١٤ / ٣ / ١٠٣ عن الاوزاعى بسنده انه قال إبليس لاوليائه : من اى شئ تأتون بنى آدم ؛ فقالوا : من كل شئ . قال : فهل تأتونهم من قبل الاستغفار ؟

فقالوا : هيهات ، ذلك شئ قرن التوحيد ، قال : لابثنَّ فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه ، قال : فبثَّ فيهم الاهواء .

وكان الشعبى يقول : إنما سمى الهوى ، لانه يهوى بصاحبه ١ / ١٢٠

( ٣ ) سورة الأعراف آية ٢٧

( ٤ ) فى الأصل : أيضى .

**قلنا له** : هذا ما لا يجوز على الله ، عز وجل ؛ لان الله ، عز وجل ، خلق إبليس للعبادة لا للمعصية ، وكلف بني آدم الطاعة ، وجعل لهم السبيل إليها ؛ ولو كان إبليس يقدر على وسوسة قلوبهم بلطيفة لا يعلمونها ، لم يكن لهم إلى دفع ذلك سبيل؛ لدقته عليهم !

فكيف يدفعون عن أنفسهم أمراً - زعمتم - أنه يدق ويلطف عن فطن الخليقة وأذهانهم ، ثم يعطون الاستطاعة على دفع ما لا تقع عليه الاوهام ، ولا تبلغه الظنون ولا تدركه الحواس؟!..

وما لا تدركه الحواس فلا سبيل لاحد إلى معرفته إلا الله الواحد الذى دلَّ على نفسه معرفته بآثار صنعه الدقيق اللطيف ، فما الفرق بينه وبين من خلقه ؟!

**وإن قلتم** : الله اقدره على ذلك .

**قلنا لكم** : فقد خلق إذاً رباً - على قولكم - يساويه في القدرة والقوة والعز والسلطان وهو اعدى [1] الخلق له ، وقد قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ⑪ ﴾[2] !

فلا مخرج لكم من هذه الحجج إلا بالمكابرة والمغالطة والتسوية بين الله ، عز وجل ، وبين إبليس في القوة والقدرة ؛ لان الله ، عز وجل ، يقول ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾[3].. وزعمتم - أنتم - ان إبليس يحول بين المرء وقلبه ، فلا نجد فرقاً بين الله ، عز وجل، وبين عدوه الذليل الضعيف العاجز المقهور !

**فإن قلتم** : إن الله اقدره على بذلك .

**قلنا لكم** : فاين قوله ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ .

**فإن قلتم** : ليس هو مثله .

**قلنا لكم** : من كان قادراً كقدره الله ، عز وجل ، فقد ساواه .

---

(١) في الاصل : اعدا .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

(٣) سورة الانفال آية ٢٤ .

١٤٤ظ/ وأما قول إبليس ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [١] فإنه كذب على الله ، سبحانه ؛ لأنه لم يغوه .

وقال بعض أهل العلم : إنه يخرج على انه سماهُ غاوياً ، فقال : أغويتنى ،أى سميتنى غاوياً [٢] .

فأما ما خاطب الله ، عز وجل ، به إبليس فى بدء الأمر ، يوم عادى [٣] آدم ، فذلك له معانى يخرج عليها ، وقد يذكر بنى آدم وينسب بعض فعلهم إلى بعض ، مثل ما قال لقوم من بنى إسرائيل ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [٤] يريد بذلك اباءهم ، وهم [٥] لم يقتلوا ، وإنما أخبر عن اباتهم - عز وجل - فهو مثله سواء. لابدَّ لكم من ذلك .

ولا مخرج لكم منه ، حتى ترجعوا إلى الحق فتقولوا أن ليس أحد من جميع الخلق- لا إبليس ولا غيره - يقدر على وسوسة القلوب ولا تصريفها على مراده ، إلا الله، عز وجل ، لا نظير له ولا مساوٍ ولا مشابه ولا عديل ولا مثيل ، بوجه من الوجوه ، ولا سبب من جميع الأسْباب ، ومن لم يجبنا إلى هذا القول فقد كفر ؛ لأنه إن خالفنا ساوى بينه وبين خلقه !.. وهذا هو الشرك الأعظم والكفر الأفحش الذى لا كفر بعده .

* * *

---

(١) سورة الحجر آية ٣٩ .

(٢) انظرهذه المادة فى المعجم الوسيط ٢ / ٦٧٣ .

(٣) فى الأصل : عادا .

(٤) سورة البقرة آية ٩١ .

(٥) فى الأصل : هم هم

## الحجة الخامسة

## المجبرة تروى كثيراً من الأكاذيب عن الجن أو منهم !

ومن الحجة على من خالفنا ، أنا وجدناهم - جميعاً - إذا ذكروا الجن أو حدثوا عن اخبارهم ، لا يحدثون عنهم إلا بكلام نطقوا به ، وأخبار أخبروا بها ؛ لا وسوسة- كما ادعوا أنهم يوسوس - في صدورهم !

- من ذلك ما رووا عن حديث خفاف أيام مبعث النبي ، صلى الله عليه وعلى آله؛ إذ أخبر - على زعمهم - أنه كان له صديقٌ من الجن ، فكان يخبره بمبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وأنه كان يأتيه كل ليلة فيركضه برجله ، ويقول : انتبه ياخفاف فقد بعث رجل من بني عبد مناف ، رجل أتى بالعدل والإنصاف فارحل إليه ياخفاف . . !

وهذا خبر يطول ، وفيه أشعار للجن اختصر عامة ذلك ، فمما رووا من شعر الجن- زعموا - هذه الأبيات :

عجبت للجن وإبلاسها ... ورحلها العيس بأحلاسها

تمضي إلى مكة تبغي الهدى ... وما مؤمنوا الجن كأرجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينيك إلى رأسها [1]

* * *

---

(١) قارن ابا نعيم : دلائل النبوة ، ص ٣١ - ٣٢ .

والحديث بتمامه «روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال : بينا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قاعد في المسجد ، إذ مر رجل في مؤخر المسجد ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين ، أتعرف هذا المار ؟

قال : هذا سواد بن قارب ، وهو رجل من أهل اليمن ، له فيهم شرف وموضع ، وهو الذي أتاه رئيه بظهور رسول الله ، ﷺ .

فقال عمر : عليَّ به ، فدعي . . فقال عمر . . أنت سواد بن قارب .

قال : نعم . قال : فأنت الذي أتاك رئيك بظهور رسول الله ، ﷺ .

قال : نعم . قال : فأنت على ماكنت عليه من كهانتك ؟!

فغضب غضباً شديداً ، وقال يا أمير المؤمنين ، ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت .

فقال عمر : سبحان الله . . والله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك ، أخبرني بإتيانك رئيك بظهور رسول الله ، ﷺ .

=

وهذه الأحاديث والأشعار ، التي ادعوها ، توجب المواجهة وتبطل الوسوسة .

وزعموا أن الجن يكلمونهم ويرونهم في مواطن من الأرض معروفة ، منها مواضع

---

= قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني رئيي ، فضربني برجله !

وقال : قم ياسواد بن قارب ، فافهم واعقل ، إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها .. وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى .. ما خير الجن كأنجاسها

فارحل إلى الصفوة من هاشم .. واسم بعينيك إلى راسها

فلم أرفع بقوله رأساً . وقلت : دعني أنام ، فإني أمسيت ناعساً .

فلما أن كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله !

وقال : ألم أقل لك ياسواد بن قارب !!.. قم فافهم واعقل ، - إن كنت تعقل - إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته . ثم أنشأ الجني وجعل يقول :

عجبت للجن وأخبارها .. وشدها العيس بأكوارها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى .. مامؤمنوا الجن ككفارها

فارحل إلى الصفوة من هاشم .. بين روابيها وأحجارها

فوقع في نفسي حب الإسلام ورغبت فيه ، فلما أصبحت شددت على راحلتي ، فانطلقت متوجهاً إلى مكة ، فلما كنت ببعض الطريق ، أخبرت أن النبي ، ﷺ ، قد هاجر إلى المدينة ، فأتيت المدينة . فسألت عن النبي ، ﷺ فقيل لي : في المسجد . فانتهيت إلى المسجد ، فعقلت ناقتي ، وإذا رسول الله ، ﷺ ، والناس حوله .فقلت : اسمع مقالتي يارسول الله .

فقال أبو بكر : ادنه ادنه ، فلم يزل بي حتى صرت بين يديه .

قال : هات .. فأخبرني بإتيانك رئيك .

فقلت :

أتاني نجيي بعد هدوء ورقدة .. فلم أكُ فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة .. أتاك رسول من لؤي بن غالب

فشمَّرتُ من ذيل الإزار ووسطت .. بي الذعلب الوجناء بين السباسب

فأشهد أن الله لارب غيره .. وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة .. إلى الله يابن الأكرمين الأطائب

فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى .. وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة .. سواك ، تغني عن سواد بن قارب .

قال : ففرح رسول الله ، ﷺ ، وأصحابه بإسلامي فرحاً شديداً ، حتى رؤي في وجوههم .

قال : فوثب إليه عمر فالتزمه . وقال : كنت أحب أن أسمع هذا منك .

وقد أوردناها ليتبين القارئ بنفسه في أي فن من الفنون نضع هذه الروايات .

انظر أبو نعيم : دلائل النبوة ؛ ص١٣٢ ، ١٣٣ .

قد سموها ، وذكروها فى أشعارهم منها ، البدئ وعبقر ودسمار ، وكل هذا – عند ١٤٥و/ أهل العلم – باطل لا يجوز ؛ لقول الله ، عز وجل ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1] وإنما أجرينا هذا لدعواهم / علينا الوسوسة ، وروايتهم فى الجن أنهم يكلمونهم كلاماً ، فلاندرى أيهما نصدقهم فيه الوسوسة أم الكلام مشافهة ؟! وهذا ينقض بعضه بعضاً .

* * *

( ١ ) سورة الأعراف آية ٢٧ .

# الحجة السادسة

## إبليس الإنسان هواه

ومن الحجة لنا في الهوى قول الله ، عز وجل : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ⑭ ﴾[2] ، وقوله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾[3] ، وقوله ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ⑩ ﴾[4] .

وآيات كثيرة يطول بها الشرح ، فوجدنا الهوى هو الذى يميل بالآدميين عن الطاعة إلى المعصية .

* * *

**لا أساس لدعوى المجبرة في الوسوسة :**

وضح لنا ذلك ، ولم نجد الوسوسة – التى ادعوا – تصح ، ولا يقوم بها حجة إلا ما تعلقوا به من المتشابه ، الذى له التأويل الذى جهلوه ، وغلطوا في معانيه ، ولا حجة معهم يقهرون بها من خالفهم ، والحق أوضح من الشمس الطالعة .

وقد ذكرنا من الحجج ما فيه الكفاية – لمن أنصف من نفسه ورجع عن غلطه – والحمد لله رب العالمين .

* * *

**احتج المجبرة بما حدث لأيوب :**

ومما احتجوا به على أهل العدل ؛ قول الله ، عز وجل ، في النبي أيوب ، صلى الله عليه ، حيث قال ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ⑪ ﴾[5] ، وزعموا في رواياتهم أن الله ، عز وجل ، سلط إبليس على وليه ونبيه أيوب ، عليه السلام ، فأفنى[6]

---

(١) سورة ص : آية ٢٦ .

(٢) سورة محمد آية ١٤ .

(٣) سورة القصص آية ٥٠ .

(٤) سورة النازعات آية ٤٠ .

(٥) سورة ص : آية ٤١ .

(٦) فى الأصل : فافنا .

امواله، وقتل عيـاله ، ونفخ فى بـدنه فـأصـابه بالعلة التى مـرض منهـا دهراً من دهره ، حتـى جـرى الدود فى لحـمـه ، وذكـروا أن ذلك أصـابه لخطيـئـة عـصـى الله ، عـز وجل، فيها، ورووا فى ذلك أحاديث يطول شرحها اختصرناها لمعرفة الناس بها [١].

وزعـمـوا أن إبليس اسـتـأذنه فى هلاكـه ، فـقـال قـد سـلطتك على كـل شئ إلا على عقله وقلبه !..

وهذا نقض القـرآن ، والذى روى **الهـادى إلى الحق** [٢] ، صـلوات الله عـليـه ، أنه قـال: « إن أيوب ، صـلوات الله عليـه ، كـان صـاحـب قـراء وطعـام للنـاس ، وكـانت الأضياف تأوى إلى منزله ؛ لفضله وفعاله الجميل ، فلما كان فى وقت مـن ذلك غاب عن منزله ، صلوات الله عليه ؛ ثم غـدا راجـعـاً إلى أهله فلقـيه رجل قـد غـدا من منزل أيوب ، فسأله : من أين خالفه ، وأين بات ؟

فقال : بت في منزل أيوب ، قال : فما كنت وما قرؤك ؟

قال : بت عنده [٣] بلا عشاء ، فاغتنم أيوب ، صلى الله عليه ، لذلك، ومضى إلى

---

(١) انظر البخارى ، كتاب « الغسل » ، باب « التستر فى الغسل عند الناس » ١ / ٤٦١ . واحمد فى مسنده ٢ / ٢٤٣ .. ومواضع اخرى .. والطيالسى حديث ٢٤٥٥ . وابن كثير فى تفسير الآية ذكر الاثر كاملاً جـ ٤ / ٤٢ - ٤٣ . وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سـورة الأنبياء/ ٨٣ - جـ ٣ / ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسنى العلوى الرسى : إمام زيدى ولد بالمدينة سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م . وكان يسكن « الفرع » من أرض الحجاز ، مع ابيه واعمامه . ونشا فقيهاً عالماً ورعاً ، فيه شجاعة وبطولة . وصنف كتباً ، منها « الجامع » ويسمى « الإحكام فى الحلال والحرام والسنن والاحكام » و « المسالك فى ذكر الناجى من الفرق والهالك » ، وله رسائل كثيرة .

وراسله **أبو العتاهية الهمدانى** ، وكان من ملوك اليمن ودعاه إلى بلاده ، فقصدها ، ونزل بصعدة سنة ٢٨٣هـ فى فى أيام المعتضد ، وبايعه ابو العتاهية وعشائره وبعض قبائل خولان وبنى الحارث بن كعب وبنى عبد المدان ، وخوطب بامير المؤمنين ، وتلقب بالهادى إلى الحق . وفتح نجران ، واقام بها مدة .

وقاتله عمال بنى العباس ، فظفر بعد حروب . وملك صنعاء سنة ٢٨٨ ، وامتد ملكه ، فخطب له بمكة - سبع سنين ، وضربت السكة - باسمه . وفى أيامه ظهر فى اليمن **على بن الفضل القرمطى** ، وتغلب على اكثر بلاد اليمن، وقصد الكعبة سنة ٢٩٨ ليهدمها ، فقاتله الإمام يحيى ، وعاجلته الوفاة بصعدة ، ودفن بجامعها ، وكان قوى الساعد ، يمسك الحنطة بيده فيطحنها ؛ واسم فرسه الذى يقاتل عليه « أبو الجماجم » واكثر من ملك اليمن بعده من ائمة الزيدية هم من ذريته . ولعلى بن محمد بن عبيد الله العلوى ، كتاب فى « سيرته » . انظر الزركلى : الأعلام ٨ / ١٤١ .

(٣) زيادة بالهامش .

أهله فسألهم عن ذلك الضيف ، ولا مهم ؛ حيث غفلوا عنه وحلف لمرته ، وكانت مرته ، رحمة بنت يوسف بن يعقوب ، صلوات ( الله ) [1] عليهم ، فحلف ليجلدنها مائة ضربة ، إذ قصرت فى ضيفه ، فلما حلف ندم على يمينه ، إذ لم يلزمها ذلك / ١٤٥ط / الأدب الذى حلف لها عليه ، فجعل يقول : قد حلفت بالله لاضربنها ، هل يجوز لى ان احنث ، وقد حلفت بالله ؟!

ثم رجع إلى نفسه فيقول : ليس عليها لى ذنب وهذا أمر لا يلزمها ، فما زال كذلك يدبر فكره ويروض امره ، حتى اورثه ذلك غماً عظيماً داخل قلبه فمن شدة الغم لزمه المرض ، فمرض حتى نغل [2] لحمهُ وجرى فيه الدود ، وضاعت أمواله وتاذى به اهل البلد .

وقد ذكروا ان رجلاً كان يقول لاصحاب ايوب الذين اسلموا معه : لو كان الرجل على حق ودين ما اصابه كل هذا البلاء الذى اصابه ، ويأتى إلى القرية فيحذرهم ، وعن مرته ان تقربهم ، لحال ريحه وشدّة مرضه ، فذلك الرجل الذى عنى ، صلوات الله عليه [3] ، حيث قال : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [4] ، فكان ذلك الرجل شيطانه الذى هو من شياطين الإنس .

والدليل على ذلك أن الله ، عز وجل ، اخبرنا فى كتابه انه قال لإبليس ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [5] وايوب ، صلى الله عليه، من خيار عباده الذين اثنى عليهم ، فقال فيه خاصة : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [6] ولو كان ايوب عنى الشيطان الجنى حيث قال ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [7] للزمه انه من الغاوين ؛ وانَ [8] لإبليس عليه سلطاناً .

* * *

---

( ١ ) زيادة ليست فى الأصل .

( ٢ ) اى تغيرت رائحته وصارت نتنه .

( ٣ ) زيادة ليست فى الأصل .

( ٤ ) سورة ص آية ٤١ .

( ٥ ) سورة الحجر آية ٤٢ .

( ٦ ) سورة ص آية ٤٤ .

( ٧ ) سبقت قريباً .

( ٨ ) فى الأصل : ولأن .

### قاعدة القرآن لا يتناقض .. وكل معنى متشابه له تأويل:

والقرآن لا يتناقض ولا يختلف [1] ، وأن لكل معنى من هذا الجنس تأويل يرده إلى الحق والعدل والحكمة والبراءة من التناقض والعيب والفساد .

وقد رووا عن امرأة أيوب ، صلوات الله عليهما ، أنها باعت إحدى ضفير [2] برغيف ، فاتهمها وحلف ليجلدنها مائة جلدة ، وليس الخبر على ما قالوا ، وإنما وجه الخبر على ما ذكرنا ، ولذلك قال الله ، عز وجل : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3] .

فكيف يجوز أن يجلدها مائة جلدة ، ولا يقع الجلد إلا من زنا ؟!

وكيف تُتهم طاهرة صديقة بنت نبي ؟! .. وقد قال الله ، عز وجل ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [4] وهذا هو القول ، لا ما قالوا من جهلهم وإسنادهم إلى أولياء الله ، عز وجل ، كل ظلم وكل بليَّة ، لا تحسن في اليهود فضلاً عن غيرهم .

* * *

---

( ١ ) حثنا الإسلام على التفكير والتدبر والتعقل فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا .. ﴾ ، ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ، ﴿ إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب ﴾ ، فكيف ينهانا ، تعالى ، عن الهوى وترك عدم التعقل الفهم ثم تتناقض كلماته ! .. قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء ٨٢ .. لقد أمرنا ، تعالى ، بتدبر القرآن وفقه معانيه ومقاصده ومراميه الحكمة العظيمة الجليلة ؛ واليقين انه لا اضطراب ولا تناقض ولا اختلاف بين آياته ، فالقرآن لا يتعارض ، ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه التناقض والاختلاف وآثار التكلف والصنعة .

ولابد للمسلم من فهم المحكم منه ، ورد المتشابه إلى محكمه ، وسؤال أهل العلم الراسخين في فهمه عند جهل تفسيره وتأويله يروى عنه ، ﷺ ، أنه خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ، فكأنما يفقأ في وجهه حبُّ الرمان - من الغضب - فقال لهم : «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ، بهذا هلك من كان قبلكم» . قال : فما غبطت - أي الراوي - نفسي بمجلس فيه رسول الله ، ﷺ ، ولم أشهده ، ماغبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده» .

وعن ابن العاصي عن رسول الله ، ﷺ ، قال : «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به، وماتشابه منه فآمنوا به» . ولا يفهم القرآن على وجهه الذي أراده الله إلا أهل العلم والراسخين في تأويله ، قال تعالى: ﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ ، قال ابن كثير: أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها ، أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة .

( ٢ ) في الأصل . ظفيرتها

( ٣ ) سورة ص آية ٤٤ .

( ٤ ) سورة النور آية ٢٦ . وقد ورد في الآية خطأ فاحش في الأصل صححناه

## نقد المجبرة فى دعواهم أنه يجرى مجرى الدم

١- ومما احتجوا به أن إبليس يجرى من الإنسان مجرى الدم [١] ، وهذا خبر لم يأت في كتاب ولا سنة ، ولا أجمعت عليه الأمة ، وما ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ؛ فهو باطل ؛ لأن الله ، عز وجل ، يقول : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [٢] يعنى من أمور الدين .

وقال : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [٣] وهذا فلم يخبرنا به الرسول ، ﷺ .

وقال ( ﷺ ) [٤] : « لا تجتمع أمتى على ضلالة أبداً » [٥] .

ومن كان يجرى منا مجرى الدم فكيف نحذره ونتقيه ؟!

وكيف يخرج هذا في حق العادل الحكيم الذى لا يجور على عباده ؟!

وما نقض العدل ووافق الجبر ، فقد صح فساده بلا شك :

* * *

### كذبهم فى أنه ظهر ببدر:

٢- وقد رووا - أيضا - أن إبليس ظهر لقريش يوم بدر [٦] فى صورة سراقة بن مالك[٧] بن جعشم المدلجى ، حتى كلمهم . وقال : إنى جار لكم من بنى بكر حتى لا يخالف على مكة بعدكم .

---

( ١ ) سبق تخريج هذا الحديث ، وهذا الحديث رواه البخارى والدارمى وأحمد بن حنبل فى مسنده فكيف قال الإمام أحمد ( وهذا خبر لم يأت فى كتاب ولا سنة ؟! ) يبدو أنه لا يعترف بكتب الحديث التى جمعها أهل الحديث فى عصره من غير أهل البيت أو أوليائهم أو أتباعهم .. أو من غير المعتزلة والزيدية .. لعدم تمحيصهم متن الحديث اتباعاً للمنهج الذى ذكره الإمام أحمد من قبل .

( ٢ ) سورة الأنعام آية ٣٨ .

( ٣ ) سورة الحشر آية ٧ .

( ٤ ) ليست فى الأصل

( ٥ ) رواه ابن ماجة ، ٢ / ١٣٠٣ ( كتاب الفتن - باب السواد الأعظم ) ، وأبو داود فى سننه والدارمى ، والترمذى

( ٦ ) انظر مغازى الواقدى ، ص ٤١ - ٤٣ - ٥٤ ، ٥٥ ؛ وانظر ابن كثير فى التفسير ٢ / ٣٥١ .

( ٧ ) ليست فى الأصل .

فإن كان – هذا الباطل عندكم – حقاً فلا يخلوا ان يكون ما رووه أصح وأصدق من القرآن الذى قاله الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1] فلابد من صدق أحد القولين ، وكذب الآخر بحيلة محتال .

* * *

**نقد المجبرة فى أن إبليس يتصور فى صور شتى :**

**وقولهم** : إنه تصوَّرَ فى صورة سراقة . أعظم واجل – عند أهل العقول والأفهام – لأنه إنما كان يتصور إذاأراد فى صورة ويحوِّل نفسه عن ما أحب من صورته ، فهو قادر قاهر ، إذ كان هذا فعله فى نفسه من نفسه !..

فلا بعد قدرة هذا قدرة ، وقد ساوى الله ، عز وجل ، فى قدرته على الأشياء ، ووجب أنه غير عاجز !

**وإن قالوا** : إنما الله الذى أقدره على أن يتصور كيف شاء .

**قلنا لهم** : فما الفرق فى روايتكم فى جبريل ، صلوات الله عليه ، أنه يتصور ، إذا جاء إلى النبى ، صلى الله (عليه) [2] ، فى صورة **دحية الكلبى** [3] ، وأن النبى ، ﷺ ساله أن يريَهُ كيف صورته مع الملائكة فوعده إلى منى [4] ، ثم جاءه ناشراً جناحيه ، حتى سد الأفق وغشى على النبى ، صلوات الله عليهما ، حتى رجع له فى صورة الآدمى ، وأمسك على قلبه ، حتى رجعت إليه نفسه بعد الفزع [5] .

* * *

**بين جبريل وإبليس :**

فإذا كان الله ، عز وجل ، أقدر وليَّهُ الكريم عليه – وهو جبريل ، صلوات الله عليه ،

---

(١) قبيلة من قبائل العرب تسكن قريباً من مكة .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) كان سيدنا جبريل ، عليه السلام ، أشبه الناس بدحية الكلبى ، انظر طبقات ابن سعد ج٣١ / القسم الثانى ؛ ص ٥٢ ، والإمام أحمد فى مسنده ؛ ٢ / ١٠٧ – ٣ / ٣٣٤ ؛ والواقدى ؛ ص ٣٦٠ .

(٤) فى الأصل : منا

(٥) رآه النبى ، ﷺ ، على هيئته ، انظر البخارى ؛ ٧ / ٣٦١ (كتاب بدء الخلق ، باب ٧) ومسلم ، كتاب «فضائل الصحابة» ، والترمذى ، وأحمد ؛ ١ / ٣٢٢ ، والطيالسى ح ٣٥٨ ، ١٤٠٨ .

على هذه المنزلة الشريفة ، وفضله على غيره ، وأعظم عليه المنة ، لطاعته له وطول عبادته ، وأنه الروح الامين ، والسفير الذى يجرى بينه وبين رسله ، عليهم السلام، وأنه إنما يتصور فى تلك الصورة لطاعته ومكالمة رسله ( عليهم السلام ) [1] فى البنية التى يسكنون إليها .

ثم يجعل لإبليس – الملعون – عدوّه الكافر العاصى لأمره المغضب له ، من الدرجة ١٤٦ ط / والفضيلة والرفعة والمنزلة / الشريفة التى يتصور فيها إلى أوليائه الطاهرين ؛ ليضلهم ويغويهم ويعصيه فيهم ، ولا يفعل فيها له طاعة ولا رضاً ، فما الفرق – عندكم – بين جبريل ، صلوات الله عليه ، فى شريف الدرجة وبين إبليس – الملعون – الفاسق عن أمر ربه ؟!

وقال الله ، عز وجل ، في كتابه الصادق ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2] !..

والله ، تبارك وتعالى ، اجل واعظم واكرم واحكم وأعدل ، من ان يعطى معجزاته من كذب عليه .

* * *

**شبيه بما سبق مقالتهم فى فرعون:**

وهذا مثل قولهم فى فرعون ان الله عز وجل ، ارسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف [3] ، فما الفرق بين معجزة موسى ، صلى الله عليه ، فى العصا ، وفلق البحر ، وبين مجرى الماء يسير مع عدو الله فرعون إذا سار ، ويقف له إذا وقف ؟!

وكيف تلزم الأمة حجة موسى دون حجة فرعون ؟!.. وممن يجب ان يكون التخليط امن الناس أم ممن جعل مع موسى معجزةً ومع فرعون معجزة ؟!.. لايدرى الناس ايهما احق بالرسالة ؛ لأن كليهما قد جاء بمعجزة باهرة لعقول الخلق – على قود قولهم !

---

( ١ ) ليست فى الأصل . ( ٢ ) سورة ص آية ٢٨ .

( ٣ ) ربما فهموا ذلك – خطأ – من قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف ٥١ .

فيا سبحان الله العظيم كيف ذهبوا عن كتابه ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] فأى شئ أوضح من هذا الذى قالوا إفساداً، وأى أبطل منه؟!! .. ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[2] ، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3] .

* * *

**نقد المجبرة فى أن إبليس يعقد على المؤمن ثلاث عقد:**

٣- وقد رووا أن النبى ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ قال «**إن إبليس يأتى أحدكم فيعقده ثلاث عُقد**»[4] ؛ وهذا من أعجب العجب أن رجلا يعقد ثلاث عقد، أو يعقد عليه ثلاث عقد ، وهو فى ذلك لا يعلم بها ولا يدرى متى عقدت عليه؛ لقليل الحذر من إبليس ، وأن من حذره منه المحذر ، يلزمه أنه حذره من أمر لا يعرفه، ولا يدرى كيف يحذر من يعقد عليه ثلاث عقد !!

وهذا كلام المجانين ، ومن ينبغى أن لا يخاطب لجهله ، أو لحاجته فى المغالطة ١٤٧و/ تنكف عن الرجوع إلى الصواب فيها ، فالله المستعان .

* * *

**آيات تخرج على معنى الهوى:**

١- وأما قوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[5] فهذا يخرج على الهوى ، الذى هو رضاً للشيطان وطاعه له .

---

(١) صورة ص آية ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٠٠ .

(٤) رواه البخارى ؛ ٦١ / ٣٨٦ (كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده) حديث (٣٢٦٩) ، ونصه عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : «يعقد الشيطان على قافية أحدكم - إذا هو نام - ثلاث عُقد، يضرب على كل عُقدة مكانها : عليك ليل طويل ، فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عُقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» . وكذلك مسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، والموطأ ، وأحمد

(٥) سورة المائدة آية ٩١

٢- وقوله ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [١] فالشيطان لم يعمل الخمر ولا الميسر ولا الانصاب ولا الأزلام بل كل ذلك عمل بنى آدم ، كماعملوا الطنابير [٢] والملاهى، وقد صح انه لم يعملها ، وهى منسوبة إلى معصيته .

* * *

**العمل غير الوسوسة:**

٣- وزعموا انه يوسوس ، ثم وجدناها هنا عملا اتى عمله ، والعمل غير الوسوسة، ورأينا بنى آدم الذين عملوا الاعمال ، التى هى سخط لله ، عز وجل ، فكيف هذا الامر وهذا التخليط ؟!.. وإنما المعنى فيه انه من جنس عمل الشيطان ، كما قال موسى ، صلى الله عليه [٣] .

لانا لم نجد من عمل هذه الأعمال القبيحة غير بنى آدم ، وانه لم يعمل الخمر ولاالمعازف ولا غيرها من الباطل ، وكل ذلك عملهم لا يقدر احد ان يدفعنا عن ذلك من هذا القول ؛ لانه نظر العيان ، ومكابرة العيان لا تجوز ، ولا إبليس باضرٌ على الإنسان من نفسه ولا من عدوٍه من شياطين الإنس الذين صح فعلهم وضررهم .

وعمل إبليس - الذى قالوا - من الدقائق ولطائف الصنع ، إنما هودعوى بلا بينة، والرد عليهم ما قد ذكرناه فى كتابنا هذا ، وفيه الكفاية الشافية ، إن شاء الله .

* * *

---

( ١ ) سورة المائدة آية ٩٠ .

( ٢ ) جمع طنبور : آلة من آلات اللعب واللهو والطرب ذات عنق واوتار .

( ٣ ) يشير إلى قول موسى ، عليه السلام ، بعد ان قتل القبطى ، آسفاً متحسراً : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ القصص / ١٥ وهو يعلم ان الشيطان لم يشاركه فى قتل القبطى ولم ينفرد دونه بذلك .. وإنما قام به وحده ؛ وإنما قصد انه عمل من جنس عمل الشيطان .

## الحجة السابعة

## المقلوب من الكلام

ومن الحجة لنا على من خالفنا وصرف معاني القرآن ، على ما يظن هو ، قول الله ، عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [1] .

**فقال القائل** : كيف خلق من عجل والعجل منه هو ؟

**فعند ذلك يقال له** : إن أهل اللغة واللسان العربي يقولون : إن مجاز [2] ذلك مثل قولهم : عرضت الدابة على الماء ، بمعنى الماء على الدابة .

ومثل قوله - تعالى ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [3] ، وإنما الوجه أن تكون العيشة مرضية [4] .

كما تقول العرب للناقة : راحلة ، وإنما هي مرحولة .

* * *

---

( ١ ) سورة الأنبياء آية ٣٧ .

( ٢ ) انظر ابو عبيدة : مجاز القرآن ١ / ٣٨ - ٣٩ ( خلق العجل من الإنسان ) .

( ٣ ) سورة الحاقة آية ٢١ .

( ٤ ) من باب اطلاق اسم الفاعل ، والمقصود اسم المفعول .

## الحجة الثامنة

## معنى أن إبليس يشاركنا في أعمالنا سقوط العدل

١٤٧ط/ ومن الحجة أيضاً قول الله ، عز وجل ، في ذكر إبليس ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [١] ، وكل معصية لا تجوز في عدل العادل الحكيم ؛ لأنه لا يأمر بالباطل ولا يقضيه .

وكيف يشارك الشيطان الناس في الأموال والأولاد ؟

فالجواب لهم في ذلك وبالله نستعين ، أن نقول لهم : إن ذلك جائز في العربية ، أن يخرج الكلام في لغة العرب من المتكلم مخرج الأمر ، ومعناه خلاف ذلك ؛ وإنما هذا عندنا – وعند أهل العلم والقول بالعدل – على الوعيد والتهدد ، كنحو قول الرجل للرجل : أجهد جهدك واجهد جهدك . كل ذلك على الوعيد والتهدد .

وقد تقول العرب للرجل : اذهب اقتل فلاناً ، واذهب اضرب فلاناً . على الوعيد له ، وهم لا يريدون قتله ولا يحبونه ، ولا يريدون ذلك من الرجل الذي أمروه بفعله ، وهذا معروف في كلام العرب غيرمنكر ؛ وإنما نزل القرآن على لغة العرب وتصرفها فيما تعرف .

وأما ما ذكره من مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد فإن ذلك ليس – عند أهل العلم – كمشاركة الآدميين ، وإنما هو كنحو قول السحرة لفرعون ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ [٢] ، أي اصنع ما أنت صانع ، كل ذلك على التهدد والوعيد .

وأما قوله ، عز وجل ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ [٢] في لغة العرب جائز أن يسمى الصانع للشيء قاضياً له [٣] .

قال الشاعر [٤] يصف درعين على رجلين فقال :

---

(١) سورة الاسراء آية ٦٤ . (٢) سورة طه آيه ٧٢ .

(٣) انظر معاني القضاء في اللغة ، لسان العرب ٢٠ / ٤٧ ، ومقاييس اللغة ٥ / ٩٩ . وهي تدور حول الحتم والأمر والإعلام والعمل والفراغ .. وهذا الإمام صاحب الرسالة وآباؤه اهتموا بالتفسير اللغوي للقرآن الكريم اهتماماً بالغاً .

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي .

**وعليهما مسرودتان قضاهما داودُ قدرهـا الحكيـم وتُبَّـعُ [1]**

أى عملها « داود » .

وأما شركه لهم فى الأموال والأولاد ، فهو أن تؤخذ الأموال بغير حقها ، وأن يطاع الشيطان فى ذلك ، بطاعتهم له وفعلهم كفعله ، ومصيرهم إلى رضاه ؛ ومراده منهم؛ لأنه عدوهم وعدو أبيهم من قبلهم ، فصارت طاعتهم ، فيما أراد ، سبباً للشركة فى أولادهم وأموالهم .

ورووا عن جريج عن مجاهد فى قوله : ﴿ وشاركهم فى الأموال والأولاد ﴾ ، قال ما أكل من مالٍ بغير طاعة الله ، وأولاد الزنا [2] .

* * *

---

( ١ ) البيت فى ديوانه ، ص ١٩ ، وفى لسان العرب لابن منظور ٤ / ٣٧٩ ، ١٠ / ٧٧ وجاء فى شطره الثانى هكذا ..
( داود أو صنع السوابغ تُبَّعُ ) وفى اللسان : سمع أن داود ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، كان سخر له الحديد ، فكان يصنع منه ما أراد ؛ وسمع أن تبعاً عملها ، وكان تبع أمر بعملها ولم يصنعها بيده ، لأنه كان أعظم شأناً من أن يصنع بيده . والتبابعة : ملوك اليمن واحدهم تبع ، سموا بذلك ؛ لأنه يتبع بعضهم بعضاً ، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً فى مثل سيرته » .

( ٢ ) جاء فى تفسير ابن كثير ٣ / ٥٦ ، ٥٧ : « قال ابن عباس ومجاهد : ما هو ما أمرهم به من انفاق الأموال فى معاصى الله ، وقال عطاء : هو الربا ، وقال الحسن : هو جمعها من خبيث وانفاقها فى حرام » . وكذا قال قتادة .

وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أما مشاركته إياهم فى أموالهم فهو ما حرموه من انعامهم ، يعنى من البحائر والسوائب ونحوها ، وكذلك قال الضحاك وقتادة ، وقال ابن جرير : والأولى أن يقال : إن الآية تعم ذلك كله »وقوله : ﴿ والأولاد ﴾ قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد والضحاك : يعنى أولاد الزنا . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : هو ماكانوا قتلوه من أولادهم سفاً بغير علم » .

قال قتادة عن الحسن البصرى : قد – والله – شاركهم فى الأموال والأولاد مجسوا وهودوا وصبغوا على غير صبغة الإسلام وجزءوا أموالهم جزءً للشيطان ؛ وكذا قال قتادة سواء .

وقال أبو صالح عن ابن عباس : هو تسميتهم أولادهم عبد الحارس وعبد الشمس وعبد فلان . قال ابن جرير : وأولى الأقوال بالصواب ، أن يقال : كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله ، أو بإدخاله فى غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله ، أو وأده ، أو غير ذلك من الأمور التى يعصى الله بفعله به أوفيه ، فقد دخل فى مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه ؛ لأن الله لم يخصص ، بقوله : ﴿ وشاركهم فى الأموال والأولاد ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة .

وهذا الذى قاله متجه ، وكل من السلف رحمهم الله فسَّر بعض المشاركة فقد ثبت فى صحيح مسلم عن عياض ابن حماد أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « يقول الله ، عز وجل ، إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ ، قال : « لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتى أهله ، قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبداً » .

١٤٨و/ وأما ما رووا من الاحاديث في الشيطان ، وما أكثروا الرواية في ذلك عن النبي ، ﷺ ، وغيره فما أمكن التأويل في القرآن ، كان التأويل في الأحاديث أجدر وأحرى، وليس كل حديث روى يجب أنه حق ، لما قد عرفنا من كذب كثير من الأحاديث مما يبطله القرآن .

وقد قال ، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم : «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق الكتاب فهو مني ، وأنا قلته ، وما خالف الكتاب ، فليس مني ولم أقله»[١] .

وليس ينكر أن الشياطين تقارب الناس في اسباب تدنوا منهم في مواضع ولا سيما مع الفساق الفجار ؛ لأنهم من حيث لا يرونهم .

* * *

(١) روى الدارمي بسنده عن أبي هريرة ، قال : كان إذا حدث عن رسول الله ، ﷺ ، يقول : قال رسول الله ، ﷺ : «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» . فكان ابن عباس إذاحدّث قال : «إذا سمعتموني احدّث عن رسول الله ، ﷺ ، فلم تجدوه في كتاب الله ، او حسناً عند الناس فاعلموا اني قد كذبت عليه» ١ / ١٥٤ .

## الحجة التاسعة

## نقد المجبرة فى زعمهم إن الاستطاعة مع الفعل

ومن الحجة على أهل الجبر والقول بالاستطاعة مع الفعل ، أن يقال لهم : اليس أول الخلق آدم ، عليه السلام ، وأول من خالفه وعصى الله ، عز وجل ، فيه إبليس - الملعون ؟!

فإذا قالوا : بلى [١] .

قلنا لهم : فهل أمر الله ، عز وجل ، آدم بترك الشجرة [٢] ، وقد علم أنه قادر على تركها ، أم علم أنه ليس بقادر على تركها ؟..

فإن قالوا : علم الله ، عز وجل ؛ ان آدم لا يقدر على ترك الشجرة .

قلنا له : فهو إذاً قد كلفه ما لا يطيق !..

وقد قال الله ، عز وجل ، فى كتابه ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [٣] و﴿ إلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [٤] وهذا خارج من الحكمة والعدل أن يامر بترك ما لا يقدر على تركه ، فقد بطل هذا الوجه وصح فساده .

وإن قالوا : إن الله ، عز وجل ، أمر آدم بترك الشجرة ، وقد علم أنه يقدر على تركها .

بطل ما اعتقدوا من الجبر ، ورجعوا عن قولهم ، وصار القول قولنا بالعدل ، ولزمهم ان كل شئ جاء من بعد آدم ، عليه السلام ، يجرى على ما قد خرج فى هذا الباب ، وأن كل جبر قالوا به يبطل كما بطل هذا .

* * *

---

(١) فى الأصل : بلا .

(٢) قال تعالى آمراً عبده ورسوله آدم ، عليه السلام ، وزوجه حواء : ﴿ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ البقرة ٣٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٤) سورة الطلاق آية ٧ .

**وكذلك أمر الله إبليس بما يقدر على فعله فعصاه :**

**وكذلك إبليس نقول فيه** : أليس قد أمر الله ، عز وجل ، إبليس بالسجود لآدم[1]؟

**فإن قالوا** : بلى :

**قلنا لهم** : هل أمره بما يعلم أنه يقدر عليه ، أو بما علم أنه لن يقدر عليه ؟!.

**فإن قالوا** : أمره بما علم أنه لا يقدر عليه .

أكذبوا القرآن وردوا عليه قوله ، عز وجل ، ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] ، و﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [3] ، وإبليس مأمور منهي ، وهذا خارج من العدل والحكمة ، ولزم فيه ما لزم في آدم ، عليه السلام .

**وإن قالوا** : بل علم الله ، عز وجل ، أنه قادر على السجود .

رجعوا عن قولهم ، وصاروا إلى قولنا بالعدل ، وبطلت دعواهم في جميع الجبر .

* * *

**الاستطاعة قبل الفعل :**

ولزمهم – أيضا – في هذا الباب أن الاستطاعة قبل الفعل [4] ؛ لأن الله عز وجل ، ١٤٨ط/ في / عدله وحكمته لا يكلف نفساً إلا ما آتاها ، نطق بذلك الكتاب وشهدت به رسله .

---

( ١ ) هناك اجتهاد في مفهوم السجود هل كان لآدم ، أم لله شكراً على خلقه آدم بعد أن جادل الملائكة ربهم في أمر خلقه – وقد علموا ما سيكون منه ومن ذريته – فجاء هذا السجود خضوعاً وطاعة وامتثالاً لأمر ربهم – وإعلاناً منهم أن له أن يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء لا شريك له في خلقه ولا أمره فعصى إبليس أمر ربه بالسجود له – ظناً منه أنه ميز من هو أقل شأناً عليه !.

( ٢ ) سورة البقرة آية ٢٨٦ . ( ٣ ) سورة الطلاق آية ٧ .

( ٤ ) انظر القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ؛ ص ٣٩٠ وما بعدها . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ آل عمران / ٩٧ .. هذا في الحج . وقال : ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ المجادلة / ٤ . وهذا في كفارة الإيمان من الظهار .. وقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) ﴾ الأعراف / ١٩٧ .. ولو استطاعوا لنصروهم ؛ وقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ الأنفال / ٦٠ .. وهذا في الجهاد فإعداد العدة قبل القيام بمنابذة الأعداء ومواجهتهم وغير ذلك كثير .. فالاستطاعة قبل الفعل ، وهي عرض يحل في النفس يستشعر به المرء قدرته على القيام بفعل دون غيره .

**لقد أعطى الله آدم استطاعة يقدر بها على الفعل :**

فإن قالوا : قال مخالفونا : إنه أمر آدم بترك أكل الشجرة من قبل أن يعطيه الاستطاعة التي يقدر بها على الترك ، لزمهم أنه قد أمره بأمر هو خارج من طاقته ، وانه قد كلفه ( ما ليس في ) [1] وسعة ، وانتقض قوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] ، و ﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [3] .

ولزمهم أنه قد دانوا بإبطال القرآن ، وهو حجة الله التي لا ترد ولا تبطل ، وإن قالوا : إنه أمره بترك الشجرة (و) [4] ركب فيه الاستطاعة قبل الفعل .

رجعوا إلى القول بالعدل ، وكذلك يلزمهم في إبليس قبل ذلك سواء سواء [5] .

* * *

**وكذلك أعطى الله إبليس استطاعة :**

**فنقول لهم** : اخبرونا هل امر الله ، عز وجل ، إبليس بالسجود لآدم وهو قادر على السجود ، أم امره بالسجود لآدم وهو لا يقدر على السجود ؟!

**فإن قلتم** : امره بالسجود لآدم وهو لا يقدر عليه .

الزمتم الله ، عز وجل ؛ انه كلف غير الطاقة وخرج في ذلك من العدل والحكمة ، ولزم إبطال كتابه ؛ إذ يقول سبحانه ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [2] ، و﴿ إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [3]، وهذا كفر من قائله ، وهلك عند الله، عز وجل ، من دان به ، وافتضح – عند السامعين – من اعتقده .

**وإن قلتم** : إنه ، عز وجل ، أمر إبليس بالسجود لآدم ، وهو يعلم انه قادر على ما أمره به .

---

( ١ ) زيادة ليست في الأصل

( ٢ ) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

( ٣ ) سورة الطلاق آية ٧ .

( ٤ ) زيادة ليست في الأصل .

( ٥ ) تركيب لغوي كان معروفاً في هذا العصر ويقابله في عصرنا ما اشتهر على ألسنة الناس : « سواء بسواء » .. أو « مثلاً بمثل » والمقصود تساوي الشيئين وتماثلهما في الفعل أو تطابقهما في الوصف .

لزمكم انكم قد رجعتم عن قولكم ، وصرتم إلى قولنا بالعدل ، وأن الاستطاعة قبل الفعل ؛ وهذا يلزمكم في جميع الأمور كلها ، التي هي من هذا الجنس من بعد آدم، عليه السلام ، ومن بعد إبليس ، فهو لازم في جميع ما ادعيتم من الجور ، والقول بالاستطاعة مع الفعل إلى يوم القيامة ، وهما كانا أول من أُمر ونُهي ، فما لزم فيهما ، لزم فيما ياتي بعدهما إلى يوم القيامة .

وهذا أصل قوى فاثبت عليه ، وخذهم به وضيّق عليهم ؛ فإنهم لامخرج لهم منه ابداً ؛ لان الحق لا يُغلب ولا تبطل حججه ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

## ذهبت المجبرة إلى أن الشيطان سبب كفر الإنسان

ومما يحتجون به قول الله ، عز وجل ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) ﴾ [١] .

لهذا يخرج على ثلاث معان :-

١- واحد منها : أنه يجوز أنه عنى [٢] شيطان الجن ، وماكان من خديعته لآدم ، عليه السلام ،

٢- والآخر : أنه يجوز أن يكون شيطان الإنس أيضا .

٣- والثالث : الهوى وهو أشرها على بني آدم [٣] .

* * *

**الأمثال في القرآن ومقاصدها ،**

١٤٩و/ وقد قال ، عز وجل : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾ [٤] فاخبر انه قد ضرب امثالاً لا يعقلها إلا اهل العلم بها [٥] ، وليس يجوز قولهم في الوسوسة على أحد له أدنى عقل ، إذ لا حجة معهم توجب قبول ذلك ممن [٦] خالفهم . والدليل على الخلق الاضطرار إلى قبوله ، وليس معهم في الوسوسة حجة تضطر أحداً إلى قبولها ، فافهم هذا الباب وأحسن فيه النظر ، إن شاء الله .

* * *

---

(١) سورة الحشر : آية ١٦ . (٢) في الاصل : عنا .

(٣) يقول الزمخشري : «كمثل الشيطان» إذا استغوى الإنسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة ، والمراد استغواؤه قريشاً يوم بدر ، وقوله لهم : ﴿ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ ﴾ الانفال / ٤٨ - انظر الكشاف ، ٤ / ٥٠٧ . اما تفسير تنوير المقباس فقد ذكرانه ﴿ كمثل الشيطان ﴾ مثل المنافقين مع بني قريظة حيث خذلوهم او كمثل الشيطان مع الراهب ؛ ص ٤٦٥ .. وبذلك فسرها ابن كثير ٤ / ٣٦٠ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٣ .

(٥) يقول ابن كثير في تفسيرها : «اى وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه» ، وروى احمد في مسنده بسنده إلى عمرو بن العاصي ، رضى الله عنه ، قال : عقلت عن رسول الله ، ﷺ ، الف مثل .. وعنه قال : «ما مررت بآية من كتاب الله لا اعرفها إلا احزنني ، لاني سمعت الله ، تعالى ، يقول :﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾ ، ٣ / ٤٠٦ .

(٦) في الاصل : بما ..

**تزعم المجبرة أن إبليس قادر على نسيان الإنسان :**

ومما يحتجون به فى تقوية إبليس الضعيف – عليه لعنة الله – وتعظيم قدرته على وسوسة قلوب بنى آدم ، إذ زادوا – مع الوسوسة – انه يقدرأن ينسى الخلق عن شؤنهم ويذهلهم عن حوائجهم ، حتى ينسوا ما يحتاجون إليه ، ويذهلوا عن ما لا غنى بهم عنه !

* * *

**يجب النظر والتأويل وتنزيه القرآن عن التناقض :**

واحتجوا بقوله ، جل ثناؤه ، فى ذلك بقصة موسى ، عليه السلام ، وفتاه إذ قال : **﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾** [1] **فهذا قول يحتاج إلي جودة النظر ، وتنزيه القرآن عن الاختلاف والتناقض .**

ونحن نقول – لمن خالفنا :

اليس قد قال الله ، عز وجل : **﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) ﴾** [2] ؟!..

* * *

**شيطان الإنسان نفسه وهواه :**

فاى سلطان أقوى من أنه يقدر أنما ينسى الصالحين الطاهرين عن مصالحهم ومر افقهم ، مع ما أدعيتم له من القدرة على الوسوسة [3] !.، وهذا ما لا يجوز ؛لأنه قد

---

(١) سورة الكهف آية ٦٣ ... ولابن مسعود فى هذه الآية قراءة هى ﴿ .. اذكركه ﴾ .　　　(٢) سورة الإسراء آية ٦٥ .

(٣) وتامل ما يلى :

١– قال تعالى : ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ سورة يوسف ٤٢ ، يقول ابن كثير : فنسى الموصى ان يذكر مولاه الملك بذلك ، وكان من جملة مكائد الشيطان لئلا يطلع نبى الله من السجن ، هذا هو الصواب ان الضمير فى قوله ﴿ فانساه .. ﴾ عائد على الناجى ، كماقاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد .

ويقال : إن الضمير عائد على يوسف ، عليه السلام ، رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا ، وعكرمة وغير واحد ؛ ٢ / ٥٢٦ .

وهذا الاتجاه يسلم ان للشيطان قدرة على ان ينسى الإنسان ، وهو كلام فى منتهى الخطورة ، لانه يهدم التوحيد، ويلزمهم تناقض آيات الله ،فقد نسبوا للشيطان قدرة مساوية لخالقه على الفعل ، وهو باطل شرعاً وعقلاً .

٢– وقال تعالى : ﴿ . وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) ﴾ سورة الانعام ٦٨ .. انظر ابن كثير ٢ / ١٦١

=

جاء في الأخبار أن موسى وفتاه ، عليهما السلام ، إنما كان خبرهما أن شيطاناً من شياطين بني آدم ، أراد قتلهما ، وأغرى الظالمين ، فلزمهما خوفه أن ينسيا حوتهما .

فهذا الذي جاء به الأخبار ، وليس لإبليس – ولا كرامة – قدرة يقوى بها على أن يوسوس في الصدر ، وينسي الأمور ؛ لأن هذه القدرة لا يقدر عليها إلا اللطيف الخبير .

والدليل على ذلك قوله ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[1] فقد نسب الله ، عز وجل ، الوسوسة إلى النفوس ، في هذا الموضع ، فلمَ جعلتم كل ذلك إلى إبليس دون ما ذكر الله ، عز وجل ، ألا قلتم : إن بعض ذلك من النفس وبعضه من إبليس !! . .

وليس بأعجب من ترككم لشياطين بني آدم أن تضيفوا إليهم من أفعالهم شعرة واحدة ! . .

فإذا كان الله ، عز وجل ، أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، وأخبرنا بذلك ، دلالة منه لنا ١٤٩ ط / على وحدانيته وعظيم قدرته وعلو شأنه ، ولطائفه التي لا يقدر عليها أحدٌ غيره / ثم جعلتم لإبليس الذليل الضعيف من القرب إلى العباد مثل قرب رب العالمين !!

* * *

### ما الفرق بين القدرتين في زعمكم ؟

وإبليس – على قولكم – أقربُ في الوسوسة إلى قلوبنا من حبل الوريد والله ، عز وجل ، أقرب إلى قلوبنا من حبل الوريد ، فما الفرق بين القدرتين ، وما الفصل بين المنزلتين ،وما فضل الواحد القادر على العبد الضعيف الكافر ؟! . . بقوم جعلوا لإبليس هذه المنزلة وناظروا عليها ، ولا سيما من ادعى أنه موحد غير ملحد وكان اعتقاده – زعم – الذي يدين بهانه

---

٣– وقال تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ سورة المجادلة ١٩ ، يقول ابن كثير : «أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله ، عز وجل ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال أبوداود : بسنده عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول :«ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لاتقام فيهم الصلاة ، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» ٤ / ٣٤٦ .

والصواب في هذه الآيات ما قاله الإمام أحمد ، إذ إن الشيطان أنساهم لما فعلوا كفعله ووافق مرادهم ، أو هذه الشياطين من الإنس الذين يوافقونهم على هواهم ، أو أن هذا الشيطان هو الميول عن الحق واتباع الهوى والنفس ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ سورة يوسف آية ٥٣ ، والله أعلم .

(١) سورة ق آية ١٦ .

الله ، عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. ﴾ [1] افليس قولكم هذا يوجب لمثله شئ ، سبحان الله العظيم !..

ما أقبح هذا من قول ، واضل قائله عن التوحيد ، وأميله عن الطريق ، فالله المستعان .

* * *

**ماتقوله المجبرة قدح فى التوحيد :**

فكذلك يلزم من قال بالعدل ؛ ثم زعم ان الله سلط إبليس على خلقه ، فقد رجع عن الحق وانتقض قوله .

وللقرآن العظيم معانى جهلها أكثر الناس وغلطوا فى تأويلها ، مثل قولهم أن فى الجن أنبياء منهم مرسلين إليهم .

واحتجوا بقوله ، عز وجل ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [2] فذهبوا إلى ان الرسل من الفريقين جميعاً .

* * *

**الرسل لا تكون إلا من الإنس :**

وقد قال فى ذلك اهل العلم والتأويل ، ليست إلامن الإنس خاصة ، وشاهد ذلك ان آخر الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله عليه ، وهو خاتم النبيين من الله ، عز وجل ، قد اعلمنا انه رسول إلى الجن ، حيث قال : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) ﴾ [3] .

فهذا يدل على إقرارهم بنبوة موسى ومحمد ، صلى الله عليهما ، وأنهما لهم نبيان ،

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .

(٢) سورة الانعام آية ١٣٠ .

(٣) سورة الاحقاف الآيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

ولـم يـذكـر ان لهـم نـبـيـاً من انـفـسـهـم ، قـولـه ، عز وجـل : ﴿ الم يأتكم رسل منكم ﴾ يجوز في لغة العرب ، التي يخاطب بها الجميع بالشئ الذى هو فى البعض دون الكل [1] .

ومثل ذلك انه لو كانت رجال عدنان وقحطان مجتمعة جميعاً في موضع واحد ، وهم ١٥٠و/ العرب المعرفون بالعربية ، / فقال لهم رجل من الهند او من الروم او من غيرهم : يامعشر العرب اليس محمد ، ﷺ ، منكم ؟.. جاز لهم ان يقولوا : نعم ، محمد منا . إذ هم العرب ، وقد علموا انه من مُضر خاصة دون سائر القبائل .

ومن الحجة ايضا قول الله ، عز وجل ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] ، وقد علمت العرب والعجم ان اللؤلؤ والمرجان لا يخرج إلا من احد البحرين دون الآخر [3] ؛ وقد قال الله ، عز وجل ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4] ، وليس يخرج ذلك إلا من احدهما دون الآخر . فافهم هذا الباب ، إن شاء الله .

* * *

**جَعْلُ حكم وتسمية :**

واما قوله – عز وجل : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [5] ، فهذا جعل حكم وتسمية لا جعل جبر ، وقد قال الله ، عز وجل ، في قصة إبراهيم ، ﷺ ، حيث قال : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [6] .

**فقال القائل** : اليس هو الآن وليا للشيطان ؟!

**قلنا** : بلى ، ولكنه عني به ان يكون قريناً له في نار جهنم .

* * *

---

(١) عقد ابن قتيبة باباً سماه « مخالفة ظاهر اللفظ معناه » ، ص٢٧٥ ، وما بعدها .. ذكر فيه : « ومنه أن يجتمع شيئان ، ولاحدهما فعلٌ فيجعل الفعل لهما : كقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ سورة الكهف / ٦١ ، وقوله . ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ .. ﴾ سورة الانعام / ١٣٠ ، والرسل من الإنس دون الجن ، ص٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) سورة الرحمن الآيات من ١٩ : ٢٢ .

(٣) انظر ابن قتيبة : تاويل مشكل القرآن ، ص٢٨٧ ، وابن فارس : الصحابي ، ص٣٦١ .

(٤) سورة الرحمن آية ٢١ .

(٥) سورة الاعراف آية ٢٧ .

(٦) سورة مريم آية ٤٥

**الإنس تفعل فعل إبليس وتعصي الله كعصيانه :**

وما احتجوا به قول الله ، عز وجل ، يخبر عن إبليس يوم القيامة حيث قال : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾ (١) .

وقد يخرج هذا القول (٢) ، والله أعلم ، أنه عنى بذلك من مال إلى المعاصي والخطايا كميله وفعل كفعله ، ومثل ذلك قول الله ، عز وجل ، في قوم من بني إسرائيل حيث خاطبهم بفعل غيرهم : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ (٣) ، وهم لم يقتلوا انبياء الله ، وإنما الذين قتلوهم آباؤهم ، وكانوا راضين بفعل ابائهم ، فألزمهم ، عز وجل ، مارضوا به وصاروا إليه ، من اتباعهم لآبائهم على سنتهم وكفرهم ، فسماهم قاتلين للأنبياء ، صلى الله عليهم، وهم لم يقتلوهم فعلا .

هذا يخرج قول إبليس لهم إذ كانوا على سنته ومنهاجه وطاعته في مراده . وهذا يخرج على التوقيف لهم والتقريع .

وأما قوله : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ (٤) فهذا على انه عنى بذلك آدم وحواء ، عليهم السلام ؛ إذ شاركاه فيما حكى الله ، عز وجل ، عنهما إذ قال ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ (٥) ، الا ترى إلى قوله : ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ (٦) فهذا يخرج على ما ذكرت (٧) لك .

فافهمه ، أرشدك الله ووفقك .

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٢) يذكر ابن قتيبة أن ما يحدث من الشيطان للإنسان يحدث بالدعاء والوسوسة . ١ /٣٤٨ - ٣٤٩ ، وهو يصح إن توجه لشياطين الإنس .

(٣) سورة البقرة آية ٩١ .

(٤) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٩٠

قال «المفسرون» في قوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾ سورة الأعراف ١٨٩ .

إن «حواء» لما أثقلت أتاها «إبليس» في صورة رجل ، فقال لها : ما هذا الذي في بطنك ؟ وذلك أول حملها ، فقالت : ما أدري . =

## زعمت المجبرة أن لكل إنسان شيطان يغويه :

وقد ادعى من ادعى من مخالفينا ان لكل إنسان من بني آدم شيطان يغويه موكّل به[1]، لما انكرنا عليهم ان إبليس يذل ويقل ويضعف ، عن ما ادعوا من إغوائه للخلائق في البر والبحر والشرق والغرب ، فقالوا : إنما له اعوان يغوون له الناس !

وقد اجمع معنا ، من تكلم في هذا الباب من اهل القول بالعدل ، **أن الجن خلقوا ضربة واحدة ويموتون ضربة واحدة** . فلزمهم ها هنا ان من مات من بني آدم فقد بقي شيطانه بلا شغل ولا عمل ! . .

وقد زعموا ان لكل إنسان شيطاناً لابد منه ، وليس كذلك اخبرنا الله ، عز وجل ، انه خلقهم ، وإنما اخبرنا انه خلقهم للعبادة لا للمعصية ؛ فاوجب من خالفنا ان ليس لهم عمل إلا الإغواء ! . .

---

= فقال لها : ارايت إن دعوت ربي فولدته إنساناً اتسمينه بي ؟

فقالت نعم

وقالت هي وآدم : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

اى : لئن خلقته بشراً مثلنا ولم تجعله بهيمة . فلما ولدته آتاها «إبليس» ليسالها الوفاء ، فقالت : ما اسمك ؟ قال : «الحارث» ، فتسمي بغير اسمه ، ولو تسمي باسمه لعرفته ، فسمته «عبد الحارث» ، فعاش اياماً ثم مات ، فقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ الاعراف ١٩٠ .

وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعقد . . وقال الطبري : في «الاسم لا في العبادة» . . انظر ابن قتيبة ، ص٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والطبري التفسير ؛ ٩ / ١٠١ .

(٦) سورة إبراهيم آية ٢٢ .

(٧) ذكر ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» ، ص ٢٥٦ ، وما بعدها باباً في «الكناية والتعريض» قال فيه : «الكنايةُ انواع، ولها مواضع ، فمنها ان تكنى عن اسم الرجل بالابوة ؛ ليزيد في الدلالة عليه إذا انت راسلته او كتبته إليه ؛ إذ كانت الاسماء قد تتفق . او لتعظيمه في المخاطبة بالكنية ، لانها تدل على الحنكة ، وتخبر عن الاكتهال» .

(١) روى مسلم عن ابي سفيان عن جابر قال سمعت النبي ، ﷺ ، يقول : «إن الشيطان قد آيس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم» ، ١٧ / ١٥٦ ؛ وكذلك رواه احمد والترمذى ، انظر السيوطي : الجامع الصغير ؛ ١ / ٨٢

وعن جابر قال سمعت النبي ، ﷺ ، يقول : «إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فاعظمهم عنده اعظمهم فتنة» .

وعن جابر ايضا قال : قال رسول الله ﷺ يقول: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة . يجئ احدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، قال : ثم يجئ احدهم فيقول : ماتركته حتى فرقت بينه وبين امراته قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم انت ، قال الاعمش : آراه قال : فيلتزمه» .

وروى كذلك انه سمع النبي ، ﷺ ؛ يقول : «يبعث الشيطان سراياه فيفتنون الناس ، فاعظمهم عنده منزلة اعظمهم فتنة» .

فقد لزمهم أن من مات بقي شيطان بلا شغل ، وأن من كان يوسوسه وينال من قلبه ، مثل قدرة رب العالمين ، قد مات وفرغ وبقي بلا شغل ، وهذا فساد ولا يجوز .

ونحن من بعد هذا كله نقول لهم إن جاءوا بحجة قاهرة ودلالة باهرة ، تشهد عليها عقولنا ، وعقول من سمعها من غيرنا ، سلمنا لهم .

وإن لم يأتوا بحجة توجب لهم علينا أن لإبليس اللعين الذليل الضعيف ، قدرة أقدره الله، عز وجل ، كقدرته هو – تبارك وتعالى – الذى لا يقدر على مثل قدرته أحد غيره ، فالقول قولنا والحق معنا دونهم ، وليس قولنا هذا لشك داخلنا ، ولا يجوز أنهم يأتون بحجة[1] .

***

## منهج الإمام أحمد فى الإنصاف كمنهج الإمام على ، كرم الله وجهه :

وإنما قلنا هذا من طريق الإنصاف ، كقول أمير المؤمنين **على بن أبى طالب** ، صلوات الله عليه ، إذ غلبته أصحابه ومالوا إلى تحكيم الحكمين ، فلما عزموا على ذلك، وهو له كاره ، قال : فأما إذا عزمتم على إسالهما فيذهبا فيحكما بكتاب الله ، عز وجل ، فإن وجدا **معاوية** في القرآن أولى بالمقام منى فليسلما له ، وإن وجدانى فى القرآن أولى من **معاوية** فليسلما لى .

فاحتج عليه **الخوارج** [2] بهذا الكلام ، وقالوا : قد شككت فى نفسك فنحن فيك أشد شكاً .

---

(١) روى مسلم كذلك في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال ؛ قال : رسول الله ، ﷺ ، : « ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى إلا ان الله اعانني عليه فاسلم ، فلا يامرنى إلا بخير» .
وقد علقنا على هذه الاحاديث في الدراسة .. وبينا معانيها من حيث الحقيقة والتأويل ، ومن حيث العقيدة والخرافات الشعبية او الأساطير والروايات الموروثة .

(٢) الخوارج : فرقة من كبار الفرق الإسلامية ، وهم سبع : المحكمية والبيهسية والأزارقة والنجدات والصفرية والإباضية والعجاردة .
ومن عقائدهم تكفير مخالفيهم من أهل القبلة ، ومواراتهم وقتالهم وغنيمة أموالهم حلال .
كما قالوا بتكفير الرعية إن كفر إمامها ، الغائب منهم والشاهد وأوجبوا قتاله ، وتوقيع الحد عليه ، وعلى من رضى بحكمه ، أو طعن فى دين الخوارج ، أو صار دليلاً للسلطان . وجوزوا التقية فى القول والعمل ، والتوقف في دار التقية فلا يقاتل أهلها حتى يدعوا إلى دين الخوارج ، فإن امتنعوا قوتلوا .
وعدوا خروجهم من ديار أهل القبلة هجرة ، وأنها فرض وفضيلة ، وتبرأوا ممن يرجع من دار الهجرة إلى القعود ، وجوزوا قتل القاعدين عن حرب الذين كفروهم .

فقال لهم ، صلوات الله عليه : إنما قلت هذا من طريق الإنصاف . وقد قال الله ، عز وجل ، لنبيه ، الله ؛ ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٤٩) ﴾ [1] .

وقد علم ، صلوات الله عليه ، انهم لا ياتون بكتاب اهدى من كتابه ابداً ، وإنما ١٥١و/ هذا لحد الإنصاف .

فافهم / ما شرحنا لك ؛ من الاحتجاج فاعمل فيه نظرك .

**واعلم أن ليس مع أحد من الخلق حجة قاطعة ، يلزمنا بها إيجاب قدرة إبليس على الوسوسة في صدور الخليقة ، ولا يقع على كيفية ذلك ولا على تحديده وتوصيفه أحد أبداً** [2] .

إلا الدعوى التي لا تقوم ولا تقع عليها الأوهام ، بل تشهد عليهم بالإلحاد في صفة الله ، عز وجل ، فلا يبعد الله الا من ظلم ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ(٢٢٧) ﴾ [3] .

* * *

---

( ١ ) سورة القصص آية ٤٩ .

( ٢ ) الوسوسة في حق آدم وحواء حقيقة ، وفي حق ابنائه وذريته مجاز قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا ﴾ سورة الاعراف ٢٠ ، وقال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ سورة طه ١٢٠ .. ويلاحظ انه ، تعالى ، ذكر وسوسته للزوجين في الآية الاولى ، ولآدم منفرداً في الثانية ؛ وذلك لان إغراءات الغريزة تجمعهما في الاولى ، وفي الثاني لا يطمح إلى إغراءات الخلود سوى الرجل، فذكره ، تعالى ، منفرداً ؛ لانه لم يحدث إلا له وحده ، والله اعلم .

( ٣ ) سورة الشعراء آية ٢٢٧ . .

# الحجة العاشرة

## هل قدرة إبليس أكثر من قدرة الملكين الموكلين ؟

ومن الحجة عليه أن نقول لهم : اخبرونا أيهما أولى في حكمة الله ، عز وجل ، وحسن فعله ورحمته لعباده وبفضله عليهم ، وقوله ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [1] حيث أقدر إبليس - زعمتم - بإقدار الله ، عز وجل ، له ، ثم وكل على كل عبد ملكين [2] يكتبان الحسنات والسيئات ، وليس لهما من القدرة على القلوب، فلا على إجراء الخواطر في النفوس ، مثل ما أقدر عليه إبليس العاصي اللعين المعاند ؟!..

أفليس كان أولى به [3] ، عز وجل ، أن يجعل لهذين الملكين المؤمنين الطاهرين من القدرة ما يلقيان في قلوب بني آدم . من الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ما يردعهم عن الخطأ ، ويكون لهم فيه موعظة تكسر عنهم وسوسة إبليس ، فيكون ذلك أثبت للعدل ، وأدنى إلى الرأفة والرحمة ، ولا يفضل إبليس عليهما بهذه المنزلة التي هي أرفع من منزلتهما ؛ لأنهما لا يقدران على الخواطر في النفوس ، وإنما يكتبان ما ظهر لهما ، وأقدر إبليس على ما لم يقدرا عليه ، وهما ملكان وليان لله ، عز وجل، وإبليس عدوه ؟!!..

* * *

### لازم مذهب المجبرة :

وهذا يوجب عليكم أنا لم نؤت ذنوبنا إلامن قبل من أقدره ( الله ) [4] على الشر

---

( ١ ) سورة البقرة آية ١٨٥ ، وقد جاءت في الأصل﴿ يريد بكم .. ﴾ وهو خطأ .

( ٢ ) روى الإمام أحمد بسنده عن بلال بن الحارث المزني ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ، تعالى ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ، عز وجل ، له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، تعالى ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ، تعالى عليها بها سخطه إلى يوم يلقاه » قال الترمذي حسن صحيح وله شاهد في الصحيح . فقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال ، فإن أصاب العبد خطيئة . قال له : أمسك ، فإن استغفر الله ، تعالى ، نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها . رواه ابن أبي حاتم . انظر ابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٣٦ .

( ٣ ) في الأصل : أولا

( ٤ ) زيادة ليست في الأصل .

والضر ، ولم يقدر الملكين على الخيروالنفع !.. سبحان الله العظيم ، ماأعظم ما جئتم به، فنعوذ بالله من الجهل بتوحيده وعدله ، واتباع الهوى فيما خالف كتابه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

**الجن خلقوا مرة واحدة ويموتون مرة واحدة :**

وأما قوله ، عز وجل ، : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾ [1] ، فالذرية إنما هم الأولياء فى هذا الموضع ؛ لانه لا نسل له ، وقد قال ، عز وجل ، لجميع المسلمين ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [2] يجمع بينهم الناس كلهم ، وسماه أباً لهم ، وليس هو أباهم على الولادة ؛ لان ولد إبراهيم ، ﷺ ، خاصة يعرفون بولادته، وإنما هو أب المسلمين فى الدين لا فى الولادة .

١٥١ط / وكذلك قال فى قول لوط ، ﷺ : ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ [3] يعنى بناته فى الدين / لا فى الولادة ، ورووا أنه لم يكن له بنت [4] .

* * *

**كان العرب يعرفون معانى القرآن وتأويله :**

وللقرآن معانى تحتاج إلى التأويل والمعرفة باللغة التى خاطب الله ، عز وجل ، بها رسوله ، صلوات الله عليه ، وخاطب بها رسول الله ، ﷺ ، العرب الذين عرفوا عنه ما تلا عليهم ، ولم يخف عليهم من ذلك حرف واحد فى التلاوة ولا فى التأويل ؛ لانه لوعى عليهم حرف واحد ؛ لقالوا : هذا حرف لا نعرفه فى اللغة العربية ، ولو جهلوا

---

(١) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

(٣) سورة هود آية ٧٨ – سورة الحجر آية ٧١ .

(٤) قال تعالى : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨)﴾ سورة هود / ٧٨ .. ارشدهم ، عليه السلام ، إلي نكاح نسائهم فالنبى لامته بمنزلة الوالدلهم جميعاً ؛ فارشدهم إلى ما هو انفع لهم فى الدنيا والآخرة .. ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١)﴾ سورةالحجر / ٧١ . قال مجاهد : لم يكنْ بناته ، ولكن كن من امته ، وكل نبى ابو امته ، وكذا روى عن قتادة وغير واحد ابن كثير ، ٢ / ٤٩٦ .

شيئاً من القرآن لم تلزمهم به حجة . وقد قال الله ، سبحانه : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [1] .

والجن لا يناكحون ولا يتناسلون ، وإنما خلقوا ضربةً ويموتون ضربةً ؛ والدليل على ذلك ما احتججنا به ، على من زعَم ان الجن يحتاجون فى كل عصر وزمان إلى إمام هدىً ، وانه يُلزمنا ان نقول : لابد لهم فى كل عصر من إمام يقيم لهم الدين ، ويفزعون إليه ، كما يفزع الناسُ إلى الإمام فى كل عصر وزمان .

فكان الردُّ ، على من ادعى هذا ، أن قلنا : إنما خلقوا ضربةً ، وليس فيهم تناسل ، والدين ، الذى اخذوا عن محمد ، صلوات الله عليه ، هو الدين المفروض عليهم لا يحتاجون بعد محمد ﷺ [1] إلى احد بعده ؛ لانهم اخذوه جملة وهم احياء لا اختلافَ بينهم ولا فُرقة ، وهم على ما تركهم عليه ، صلوات الله عليه ، فمن اراد ان يبدل او يغير فذلك إليه ، لانهم مخيرون مجبورين ، والسلام .

واعلم - اكرمك الله - ان جوابنا هذا فيه الرد على فرق شتّى ؛ لان فيه الرد على المجبرة ، وعلى من قال بوسواس إبليس ، ممن يدعى القول بالعدل ؛ والرد - ايضا - على من يدعى القول بالتوحيد ثم اوجب لإبليس كقدرة الله ، عز وجل ؛ والرد على من قال بالاستطاعة مع الفعل ، فهو على ضروب شتى .

فافهم ما فى كل ذلك بعينه ولاتدخل شيئا منه فى شئ ، فإنك تفهم ذلك كله عند تدبره وقراءته ، إن شاء الله .

*تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ،*
*وصلى الله على رسوله محمد بن عبد المطلب ، نبى الرحمة ،*
*وسراج الأمة ، وعلى آله [3] وسلم تسليماً*

* * *

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٦ .

(٢) ليست فى الاصل .

(٣) فى الاصل : وعلى آله واهله ..

## ٨ - فهرس المراجع والمصادر


| مسلسل | المراجع والمصادر |
| --- | --- |

١- الإبانة عن أصول الديانة ، لأبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ؛ تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، ط مكتبة دار البيان ١٩٨١م.

٢- إحياء علوم الدين ، لمحمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى ؛ ابو حامد ، طبع دار البيان العربى ، د . ت .

٣- الآراء الكلامية والصوفية للقشيرى ؛ لإمام حنفى سيد عبد الله رسالة ماجستير ، ٢ ج ، بدار العلوم جامعة القاهرة .

٤- الإرشاد إلى قواعد الأدلة فى أصول الاعتقاد ؛ الإمام الحرمين عبد الملك بن عبدالله الجوينى، تحقيق أسعد تميم ؛ طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ط . أولى ١٩٨٥ م .

٥- الاصمعيات ؛ اختيار الأصمعى ؛ طبع فى مصر ١٩٥٥م.

٦- أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ، استانبول ، ١٣٤٦هـ.

٧- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، لابى بكر احمد بن الحسين البيهقى ، تحقيق احمد عصام الكاتب ، نشر دار الآفاق الجديدة ، ط . أولى ١٩٨١م .

٨- الاعلام ، لخير الدين الزركلى ؛ ط . ثامنة دار العلم للملايين ؛ ١٩٩٢م.

٩- أعلام النساء ، لعمر رضا كحالة ، طبع فى دمشق ١٣٥٩هـ .

١٠- الاغانى ؛ لأبى الفرج الأصفهانى ، ط . دار الكتب المصرية .

١١- الامالى ؛ لأبى على القالى ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢- الإمامة والسياسة ، لابن قتيبة ، ط . مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨١م .

١٣- البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل ، لابى بكر الباقلانى .

١٤- تاويل مشكل القرآن ؛ لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرح ونشر السيد أحمد صقر ، دار التراث القاهرة ١٩٧٣م.

١٥- التعريفات ؛ لعلى بن محمد السيدالشريف الجرجانى ؛ وتحقيق د/ عبد المنعم حفنى ، دار الرشاد القاهرة .

١٦- تفسير ابن كثير ، لعماد الدين ابو الفداء إسماعيل ابن كثير ، طبعة دار الخير ، بيروت ١٩٩٠م.

١٧- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، لابى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، تحقيق عماد الدين حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، ط أولى ١٩٨٧م .

١٨- التمهيد لقواعد التوحيد ، لأبى المعين النسفى ، تحقيق حبيب ، الله حسن أحمد ، دار الطباعة المحمدية ، بالأزهر ، د. ت .

١٩- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، جمع أبى طاهر بن يعقوب الفيروز ابادى ، طبع الانوار المحمدية القاهرة ، د . ت .

٢٠- التوحيد ، لأبى منصور الماتريدى ، تحقيق فتح الله خليف ، دار المشرق ، بيروت ١٩٧٠م.

٢١- جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، طبعة بولاق ١٣٢٩هـ .

٢٢- الجامع الصغير ، لجلال الدين السيوطى ، طبع مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

٢٣- جمهرة أشعار العرب ، لابن ابى الخطاب القرشى ، طبع دار بيروت .

٢٤- جمهرة الأنساب ، لأبى محمد ابن حزم الأندلسى ، طبع بمصر ١٩٤٨م.

٢٥- حسن المحاضرة ، جلال الدين السيوطى ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، ط . اولى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٧م .

٢٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ؛ لأبى نعيم الاصبهانى ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت د . ت .

٢٧- حى بن يقظان ، للدكتور يوسف زيدان ، هيئة قصور الثقافة .

٢٨- خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادى ، طبع بولاق ١٢٩٩ .

٢٩- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطى ، نشرة محمد أمين دمج ، دار العلمى العربى ، دمشق ١٩٤٨م .

٣٠- دلائل النبوة ، لأبى نعيم الاصبهانى ، مكتبة المتنبى د . ت .

٣١- ديوان أبى ذؤيب الذلى ، دار الكتب العلمية ، د . ت .

٣٢- ديوان الخنساء ، دار بيروت ، د. ت .

٣٣- ديوان لبيد ، دار بيروت ، د . ت .

٣٤- ديوان المتنبى ، المكتبة الثقافية بيروت ، د . ت .

٣٥- الرائق فى تنزيه الخالق، ليحيى بن حمزة العلوى ، تحقيق إمام حنفى عبد الله ، طبع دار الآفاق العربية ٢٠٠٠م.

٣٦- الرد على الحسن بن محمد بن الحنفية ، للهادى يحيى بن الحسين ، تحقيق د/ محمد عمار ضمن مجموع رسائل العدل والتوحيد جزءان فى مجلد واحد ، وطبع دار الشروق، ١٩٨٣م .

٣٧- الرد على الروافض ، للقاسم إسماعيل بن إبراهيم الرسى ، تحقيق إمام حنفى عبد الله ، طبع دار الآفاق العربية القاهرة ٢٠٠٠م .

٣٨- الرد على النصارى ، للقاسم الرسى ، تحقيق إمام حنفى عبد الله ، طبع دار الآفاق العربية ٢٠٠٠ م .

٣٩- سنن ابن ماجة ، لأبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى بن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط . عيسى الحلبى ١٩٥٢م .

٤٠- سنن ابو داود ، لابى داود سليمان بن الاشعث السجستانى ، دار الريان للتراث .

٤١- سُنَن الترمذى ، لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، نشر دار الكتب العلمية .

٤٢- سنن الدارمى ، لأى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمى ، طبع دار الريان للتراث .

٤٣- السنن الكبرى ، لأبى بكر البيهقى ، حيدر آباد ١٣٤٤هـ .

٤٤- سنن النسائى «المجتبى» ، لأبى عبد الرحمن بن شعيب بن على النسائى ، ومعه شرح

٤٥- الربى على المجتبى للسيوطى ، ط . الحلبى ١٩٦٤م.

٤٦- شرح الأصول الخمسة ، للقاضى عبد الجبار الهمذانى ، تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ط . ثانية ١٩٨٨م .

٤٧- شرح النووى على صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووى ، طبع دار الريان للتراث .

٤٨- شعب الإيمان ، لأبى بكر البيهقى ، دار الكتب العلمية د . ت .

٤٩- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، ط . الحلبى ١٣٥٠هـ .

٥٠- الصاحبى . لابن فارس ، ط . المؤيد ١٣٢٨هـ .

٥١- صحيح ابن حبان ، لأبى حاتم محمد بن حبان التميمى ، تحقيق أحمد شاكر ، ط . المعارف القاهرة ١٩٥٢م .

٥٢- صحيح مسلم ، لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، ط. عيسى الحلبى ١٩٥٥م .

٥٣- صحيح البخارى ، لمحمد بن إسماعيل البخارى ، ط . الأميرية ١٤١٣هـ .

٥٤- صراع بين النفس والعقل ، د/ عبد الكريم دهينة ، المكتب الثقافى القاهرة .

٥٥- صفوة البيان لمعانى القرآن ، لحسين محمد مخلوف ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، ط . ثالثة ١٩٨٧م .

٥٦- الصناعتين ، لأبى هلال العسكرى ، الآستانة ١٣٢٠هـ .

٥٧- الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة ، لأحمد بن حجر الهيثمى ، دار الكتب العلمية ط . أولى .

٥٨- الأضداد ، لابن السكيت ، الكاثوليكية بيروت ١٩١٣م .

٥٩- الطبقات الكبرى ، لابن سعد بن منيع البصرى ، ط . بيروت ١٩٥٧م .

٦٠- طبقات المعتزلة ، لأحمد بن يحيى المرتضى ، تحقيق سوسنه ديفلد - فلزر ، ونشر مكتبة دار الحياة بيروت ، د . ت .

٦١- عقيدة التنزيه عند المسلمين ، إمام حنفى عبد الله ، دار الآفاق العربية القاهرة ، ط . أولى ٢٠٠٠م .

٦٢- العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية ، لأبى الفرج بن الجوزى تحقيق خليل الميس ، ط . أولي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م .

٦٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى ، ط. السلفية القاهرة ١٣٨٠هـ .

٦٤- فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب ، للحافظ شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الديلمى ، قدم له وحققه ، فواز أحمد الزمرلى ، محمد المعتصم بالله البغدادى ، ط . دار الريان للتراث القاهرة .

٦٥- الفصل فى الملل والأهواء والنحل و لأبى محمد بن حزم ، تحقيق د/ محمد نصر ، وعبد الرحمن عميرة ، دار الجيل - بيروت .

٦٦- الفهرست ، لابن النديم ، ط . التجارية القاهرة ١٣٤٨هـ .

٦٧- فيض القدير ، وهو شرح على كتاب الجامع الصغير للسيوطى ، لمحمد عبد الرؤوف المناوى ، مصر ١٩٣٨م.

٦٨- الكامل ، للمبرد ، ط . مصطفى محمد ١٣٥٥هـ .

٦٩- كشاف اصطلاحات الفنون ، لمحمد على الفاروقى التهاونى ، ط . بيروت .

| مسلسل | المراجع والمصادر |
|---|---|


٧٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، لمحمود بن عمر الزمخشري د. دار الريان ، ثالثة ١٩٨٧م.

٧١- كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الحديث على السنة الناس ، لإسماعيل بن محمد العجلوني ، ط . دار التراث القاهرة ، د. ت .

٧٢- كيف نصنع المستقبل ، لروجيه جارودى ، دار الشروق ط . أولى ١٩٩٩م .

٧٣- كيمياء السعادة ، للغزالي ، تحقيق محمد عبد العليم ، مكتبة القرآن ١٩٨٧م.

٧٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال ، لعلاء الدين على الهندى ، حيد آباد ١٣١٣هـ.

٧٥- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، ط . بيروت .

٧٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلى بن ابى بكر الهيثمي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٣هـ .

٧٧- المحيط بالتكليف ، للقاضي عبد الجبار الهمداني .. وجمع تلميذه ابن متوية ، تحقيق عمر السيد عزمي ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٧٤م .

٧٨- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابورى ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨م.

٧٩- المسند ، للإمام احمد بن حنبل ، ط . الحلبي القاهرة ١٣١٣هـ .

٨٠- المعجم الفلسفي ، د/ عبد المنعم حفني ، دار ابن زيدون ، بيروت د. ت.

٨١- المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدى السلفي بغداد ١٩٧٩م .

٨٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٣٧٨هـ .

٨٣- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ط. أولى ١٩٩٣م .

٨٤- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مطبعة مصر ١٩٦٠م .

٨٥- المغازى ، لمحمد بن عمر الواقدى ، تحقيق مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت د. ت.

٨٦- المغنى فى أبواب العدل والتوحيد ، للقاضي عبد الجبار الهمداني ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٢م.

٨٧- مفتاح كنوز السنة ، وضع فنسنك ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع دار الحديث القاهرة .

٨٨- المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، لشمس الدين السخاوى ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٩م.

٨٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لابى الحسن الاشعرى ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٠م .

٩٠- الملل والنحل ، لابى الفتح محمد بن عبدالكريم ، الشهرستانى . تحقيق امير مهنا ، وعلى فاعور ، دار المعرفة بيروت ط. ثانية ١٩٩٢م .

٩١- المواقف ، لعضد الدين عبد الرحمن الإيجى ، ط . عالم الكتب بيروت د . ت .

٩٢- الموضوعات ، لابن الجوزى ، تحقيق عبد الرحمن عثمان دار الفكر ١٩٨٣م .

٩٣- الموطا ، للإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط . دار الشعب .

٩٤- نصرة مذاهب الزيدية ، للصاحب بن عباد ، تحقيق ناجى حسن ، ط . أولى الدار المتحدة للنشر بيروت ١٩٨١م.

٩٥- نهاية الاقدام فى علم الكلام ، لابى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، تحقيق الفرد جيوم ، لندن ١٩٣٤ - ومصورة عنها بمكتبة المتنبى .

٩٦- وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان ، لابن خلكان حققه د / إحسان عباس بيروت ١٩٦٨م.

***

# ٩ - الفهـــــرس

| الموضـوعــــات | صفحة |
| --- | --- |

| الموضوعــــات | صفحة |
| --- | --- |

| الموضوعـــات | صفحة |
| --- | --- |


***

**ثانياً: النص :**

| الموضوعات | صفحة |
|---|---|


***

# التعريف بالمؤلف

**الاســـم:** إمام حنفى سيد عبد الله

**مواليـد :** القاهرة ٢ / ٩ / ١٩٦٢

**خريج :** – كليـــة دار العلـوم جامعـــة القاهـــرة ١٩٨٤ .

– حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية ١٩٩٧ .

– كما حصل على دبلوم الخطوط العربيـة ١٩٩٠ .

– بالإضافـــة إلـى دبلـوم عـام فـى التربيـة ١٩٩٦ .

– وكـــذلك دبلـــوم خـاص فـى التربيـــة ١٩٩٧ .

– هذا بالإضافة إلى دورات عديدة في تحقيق التراث ، والقراءات ، وتعليم وتوجيه اللغة العربية والتربية الإسلامية .

**العـــمل :** – عمل المؤلف فى حقل التربية والتعليم مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية منذ وقت مبكر وحصل على العديد من شهادات التفوق والتقدير فى هذا المجال من مصر والكويت والسعودية .

– كما عمل المؤلف في حقل تحقيق التراث والمراجعة العلمية ، وشارك في إصدار العديد من الموسوعات الفقهية واللغوية ، من ذلك على سبيل المثال المغنى لابن قدامة طبعة « هجر » والطبقات الكبرى في رجال الشافعية للسبكى .

– للمؤلف إنتاج علمى وأدبى يعتز به ، حاز به إعجاب وتقدير العديد من الأساتذة المتخصصين

***

# المؤلفـــات

**أولا الدراســات :**

١ – الآراء الكلامية والصوفية للقشيرى « رسالة ماجستير غير منشورة » . .

٢ – عقيدة التنزيه عند المسلمين .

٣ – نقد المسلمين للثنوية والمجوس .

٤ – الإمامة عندا لمسلمين .

٥ – دراسة فى التحسين والتقبيح .

٦ – دراسة فى موقف الزيدية من الصحابة .

٧ – مقدمة فى الجهاد .

٨ – الخوارج طليعه التكفير فى الإسلام .

٩ – إبليس فى التصور الإسلامى بين الحقيقة والوهم .

**ثانيـا الأعمال المحققـة :**

*** أعمال يحيى بن حمزة العلوى ت ٧٤٩**

١٠ – الرائق فى تنزيه الخالق .

١١ – الجواب الناطق بالصواب القاطع لعرى الشك والارتياب .

١٢ – الجواب القاطع للتمويه عما يرد على الحكمة والتنزيه .

١٣ – الدعوة العامة .

١٤ – عقد اللآلى فى الرد على أبى حامد الغزالى .

١٥ – الكوكب الوقاد فى أحكام الاجتهاد .

١٦ – الوصايا .

١٧ – خواتم الحكم « لعلى دده » .

***

*** أعمال القاسم بن إبراهيم الرسى ت ٢٤٦ هـ**

١٨ – الدليل الكبير فى الرد على الزنادقة والملحدين .

١٩- الرد على الملحد ومناظرته .
٢٠- الرد على النصارى .
٢١- الرد على الرد على الرافضة .
٢٢- المسترشد .
٢٣- الرد على ابن المقفع .

***

*** أعمال أحمد بن يحيى ت ٣٢٥ هـ**

٢٤- النجاة .
٢٥- مسائل المجبرة عن وسوسة إبليس وسائر الشياطين .
٢٦- الرد على الإباضية .

***

٢٧- الخلاصة النافعة . **لأحمد بن الحسن الرصاص ت ٦٥٦ هـ**

*** أعمال غير مطبوعة وتصدر قريباً :**
٢٨- مصباح العلوم فى معرفة الحى القيوم « « « «

***

٢٩- الشمس الكاشفة لشبهة الفلاسفة الكاسفة
**لعبد الله بن على الهادى إلى الحق**
٣٠- التعليم عن بعد - مفهومه وآثاره فى التربية الرسمية
**بحث حصل على امتياز فى مناهج التربية - غير منشور**
بمعهد الدراسات التربية ١٩٩٧
٣١- المعجز «**للقاسم العيانى ت ٤٠٤ هـ**» .
* دواوين شعرية .
٣٢- أحلم بالقدس .
٣٣- بغداد صبراً .
٣٤- الأميرة التى سكنت بقلبى .
٣٥- ووقعت ببئر الأحزان .